أنقرة بعيدة عن السيطرة على منبج

ص3

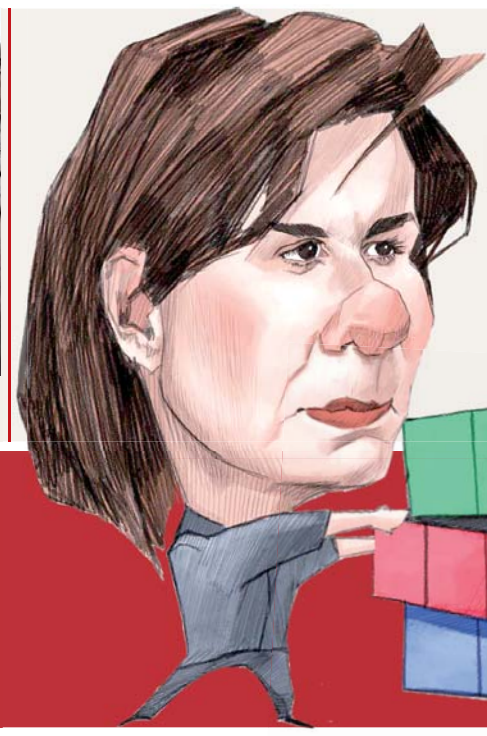

ريا الحسن

أول وزيرة داخلية عربية تؤمن بأن السياسة لا تخلق إلا الأزمات

ص8

إبراهيم الطنبولي: اللوحة المتمردة

ص12

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/02/10

05 جمادى الثانية 1440

السنة 41 العدد 11255

Sunday 10/02/2019

41st Year, Issue 11255

القاهرة ترتّب أوراقها بحثا عن مكان في أفريقيا الجديدة

● القوى المصرية الناعمة تحتاج إلى إعادة تأسيس لمواجهة صراع النفوذ المتصاعد في القارة

هل تستعيد القاهرة نفوذها القديم

❑ **القاهرة** – تستعد مصر لاستلام الرئاسة الدورية للاتحاد الأفريقي وسط آمال قوية بأن هذه الرئاسة ستعيد القاهرة إلى مجالها الحيوي التقليدي الذي نجحت بواسطته في تزعم القارة في فترة مقاومة الاستعمار ومن بوابة منظمة عدم الانحياز.

وتطرح هذه العودة تساؤلات بشأن فاعليتها وكيف يمكن أن توظفها مصر لتحقيق ريادة جديدة في عمقها الأفريقي، ولكن ما الذي سيتغير بين فترة جمال عبدالناصر التي طغى عليها بعد التحرر وسياسة المحاور المرتبطة بالحرب الباردة، وبين فترة عبدالفتاح السيسي وهل تكفي اللباقة الدبلوماسية للنفاذ إلى قلب قارة أصبحت محورا رئيسيا في صراع النفوذ بين قوى دولية كبرى مثل الصين والولايات المتحدة وروسيا وفرنسا، وقوى إقليمية باحثة عن إعادة التمركز مثل تركيا وإيران.

وقال المتحدث الرسمي باسم الرئاسة المصرية بسام راضي في بيان إن السيسي يقوم بزيارة تاريخية للعاصمة الإثيوبية أديس أبابا ستشهد تسلمه رئاسة الاتحاد الأفريقي، الأحد، ولمدة عام.

واعتبر راضي أن رئاسة مصر للاتحاد الأفريقي، للمرة الأولى منذ نشأته عام 2002 خلفا لمنظمة الوحدة الأفريقية، تعدّ تتويجا لجهود مصر بقيادة السيسي خلال السنوات الأخيرة لتعزيز العلاقات مع القارة الأفريقية سواء على المستوى الثنائي أو متعدد الأطراف، و"تجسيدا لاستعادة الدور المحوري المصري كإحدى الدول المؤسسة لمنظمة الوحدة الأفريقية الأم في ستينات القرن الماضي".

ولا تحتاج المساعي المصرية للعب دور محوري جديد في القارة سوى إلى رؤية جديدة تقوم على بناء علاقات على قاعدة المصالح المشتركة مع دول القارة منفردة، أو مع الاتحاد الأفريقي ككيان إقليمي صاعد، وهو ما نجح فيه المغرب إلى حدّ كبير من خلال التأسيس لشراكة اقتصادية مرحليا واستراتيجيا.

ويمكن أن تستفيد القاهرة من تجربة الرباط التي قلبت المعادلة تماما بأن جعلت الشراكة الاقتصادية مدخلا قويا للحصول على الدعم الأفريقي لوحدة أراضيها وانتصارا لرؤيتها في قضية الصحراء، وهو ما يعني أن مصر لا يمكن أن تبحث عن استعادة سيطرتها على مواقع القرار في الاتحاد الأفريقي دون أن تؤسس لشراكات على أساس المصالح المشتركة، وهو الخيار الذي سيعيد لها الريادة التي حازت عليها في فترة عبدالناصر.

وسيكون على مصر أن تمشي في هذا الطريق للمرة الثانية بعقلية مختلفة وبنظرة أبعد، فمرحلة الشعارات أو الرهان على الثقل الجغرافي والتاريخي للبلاد لم يعد ذا قيمة، وفكرة التحرر من الاستعمار التي استفاد منها عبدالناصر ذهبت كما ذهبت فكرة عدم الانحياز التي كانت الزعامة فيها تقوم على عناصر مغايرة تماما.

ويقول خبراء في الشأن الأفريقي إن القوى الناعمة المصرية تحتاج إلى إعادة تأسيس حتى تتحول إلى داعم حقيقي للنفوذ المصري بوجه صراع المصالح متعدد الأوجه في القارة، متسائلين ماذا يمكن أن يلعب الأزهر من دور لوضع مصر على سكة التأثير الفعال في المجال الديني ومقاومة التيارات المتشددة، وهو مجال مؤثر في ضوء حاجة دول أفريقية إلى دعم قوي لمواجهة التيارات المتشددة التي تسعى لنقل معاركها لأفريقيا بعد تطويقها في أفغانستان وسوريا.

وللأزهر مشاكل في مصر في ضوء سيطرة الرؤى التقليدية عليه، وهو يحتاج إلى أن يحل أزمته قبل أن يتم تكييف أدائه كقوة ناعمة في أفريقيا بمواجهة دور تركي وإيراني متصاعد. وفيما تتمدد إيران أيديولوجيا وماليا، فإن تركيا تتمدد بالمشاريع والتسليح وتملأ الفراغ الناجم عن تراجع الدور التقليدي لمصر في مجالها الحيوي.

ويعتقد الخبراء أنه لا يمكن التعويل على لباقة دبلوماسية لا يساندها شيء موضوعي عدا بعض الحنين إلى الماضي، أو بقايا تأثير في مجالات جانبية مثل الرياضة، مشيرين إلى أن الأفارقة مثلا يعرفون ماذا يريدون من الصينيين، الذين يضخون الأموال والقروض مستجيبين إلى المطالب العاجلة للدول الأفريقية، لكنهم لا يعرفون بالضبط ماذا يريدون من مصر التي تنكفئ إلى الآن على نفسها بسبب أزمات هيكلية في اقتصادها.

لكن يمكن للقاهرة أن تستفيد من خطوات المحور السعودي الإماراتي التي قطعها خصوصا في القرن الأفريقي من خلال التأسيس لعلاقات جديدة تنبني على المصالح المشتركة والبحث عن فضاء جغرافي جامع يحقق الأمن الإقليمي للدول المطلة على البحر الأحمر.

وساهم هذا المحور في تقريب المواقف بين مصر وكل من السودان وإثيوبيا، ما يساعد على التوصل إلى حل يحافظ على مصالح القاهرة في حصص المياه الخاصة بالنيل. وربما تكون القمة المرتقبة، الأحد، بين الرئيس المصري ورئيس وزراء إثيوبيا أبي أحمد والرئيس السوداني عمر البشير على هامش أعمال القمة الأفريقية مدخلا إلى تفاهم يقوي خيار القاهرة باستعادة نفوذها القاري.

وإذا كانت القاهرة لا تمتلك ثقلا اقتصاديا يساعدها في ذلك، فإنها قادرة على لعب أدوار أخرى ذات أهمية.

ويقول أشرف سويلم الذي يرأس مركز القاهرة لتسوية النزاعات وحفظ وبناء السلام، إن مهمة مصر "سوف تركز على الأرجح على الأمن وحفظ السلام".

رئاسة مصر للاتحاد الأفريقي اختبار لنفوذها القاري

ص4

ظريف في بيروت لتحدّي الضغوط على حزب الله

❑ **بيروت** – تأتي زيارة وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف إلى بيروت المقررة اليوم كرد مباشر على دعوة مجلس الأمن الدولي إلى سحب أسلحة الفصائل في لبنان، والمعني بها حزب الله بشكل مباشر. كما أنها تتزامن مع ضغوط إسرائيلية لإجبار الحزب الموالي لإيران على وقف تهريب السلاح عبر سوريا.

وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية بهرام قاسمي إن ظريف سيجري محادثات مع كبار المسؤولين اللبنانيين حول العلاقات الثنائية بين البلدين، والأوضاع الإقليمية ذات الاهتمام المشترك.

وكان قاسمي قد أعرب عن ترحيب إيران بتشكيل الحكومة الجديدة في لبنان، والتي حافظ فيها حزب الله على نفوذه القوي.

وكان حسن نصرالله، أمين عام حزب الله قال الأربعاء الماضي، إن ما يجري في المنطقة، هو حرب أميركية على إيران منذ العام 1979 إلى اليوم، وإنها لن تكون وحدها عندما تشنّ أميركا عليها الحرب.

وتأتي هذه الزيارة مباشرة بعد أن دعا مجلس الأمن الدولي الحكومة اللبنانية إلى نزع سلاح جميع الفصائل، "حتى لا تكون هناك غير أسلحة الدولة"، وهو موقف كان يستهدف بالدرجة الأولى سلاح حزب الله الذي تحوّل إلى سيف مسلط على رقاب اللبنانيين، سواء من الأصدقاء أو الخصوم، ما يجعل نقد حزب الله ولو جزئيا أمرا ممنوعا.

وأكد المجلس أن "القوات المسلحة اللبنانية هي القوات الشرعية الوحيدة في البلاد، كما هو وارد في الدستور واتفاق الطائف (1989)".

ودعا المجلس "الأطراف اللبنانية إلى تنفيذ سياسة النأي بالنفس عن أي نزاعات خارجية". ورحب بتشكيل حكومة وحدة وطنية في لبنان، مثنيا على "ترشح أربع نساء في الحكومة الجديدة بما في ذلك منصب وزير الداخلية للمرة الأولى في تاريخ لبنان".

كما أعلن رئيس الحكومة اللبنانية سعد الحريري أن الجيش هو المعني الوحيد بالدفاع عن سيادة وسلامة أراضي لبنان.

وتعتقد أوساط لبنانية أن زيارة ظريف إلى لبنان الهدف منها إظهار الدعم لحزب الله بوجه الضغوط الداخلية والخارجية التي تحرك حاليا قضية سلاح الحزب، وهي قضية ربما تكون محورية بعد تشكيل الحكومة، وفي ظل التطورات التي يشهدها الملف السوري وسط حديث عن أن أي حلّ سياسي يشترط أولا إجبار إيران وحزب الله على سحب الميليشيات من سوريا.

الحوثيون يغرقون كبير المراقبين الأمميين في الإجراءات التفصيلية

● المتمردون ينجحون في إعادة جدولة الأولويات في الحديدة ● اتفاق هزيل في عمان انتهى إلى تبادل الجثامين بدلا من الأسرى

صالح البيضاني

❑ **عدن** – لم يكن كبير المراقبين الأمميين الجديد مايكل لوليسغارد أفضل حالا من سلفه باتريك كاميرت، فقد وجد نفسه غارقا في الجزئيات التي أراد له الحوثيون أن يغرق فيها حتى لا يطالبهم بتسريع تنفيذ اتفاق ستوكهولم.

وأكدت مصادر قريبة من اجتماعات لجنة تنسيق إعادة الانتشار في الحديدة التي اختتمت أعمالها، الجمعة، عدم إحراز أي نتائج ملموسة في ظل إصرار ممثلي الميليشيات الحوثية على إعادة جدولة الأولويات في الخطة التي تقدم بها رئيس بعثة المراقبين الأمميين السابق.

ونفت مصادر في الحكومة اليمنية صحة الأنباء التي ترددت عبر قنوات تابعة للأمم المتحدة أشارت إلى التوصل إلى اتفاق مبدئي، مؤكدة أن كبير المراقبين الأمميين المعين حديثا، ما زال يحاول الإمساك بزمام الملف، وأنه طلب مقترحات جديدة من الجانبين لتنفيذ خطة إعادة الانتشار.

ووفقا لمصادر "العرب" فقد تشبث الحوثيون بمطالبهم في البدء بتنفيذ انسحاب في محيط الحديدة لمسافة 15 كلم قبل الشروع في بحث خطط الانسحاب من موانئ الحديدة والصليف ورأس عيسى، أو حتى التعاطي مع مقترحات أممية بفتح ممرات ذات طابع إنساني لتسهيل وصول المساعدات الإغاثية، وهو ما اعتبره الجانب الحكومي إخلالا باتفاق السويد وانتقائية تعزز من سياسة الأمر الواقع الحوثية.

وقال الباحث السياسي اليمني سياف الغرباني في تصريح لـ"العرب" من الحديدة، إن الاجتماعات العائمة للجنة الثلاثية المشتركة، انتهت من دون أي نتائج عملية يمكن أن تؤسس لخطوات تنفيذية لاتفاق الحديدة.

وأضاف الغرباني "كان يفترض أن تركز الأمم المتحدة والرئيس الجديد لبعثة المراقبين على وضع آلية لتنفيذ خطة إعادة الانتشار في المدينة والموانئ، بالتوازي مع تثبيت وقف إطلاق النار في المدينة، وفتح الطرقات، وإزالة الحواجز والألغام والعبوات، وتفكيك الحاويات والصهاريج المفخخة في أرجاء المدينة".

لكن ما يحدث الآن هو إعادة تفسير لاتفاق ناجز، وهذا تكييف أممي يتماشى مع شروط الحوثيين الذين يرفضون الاتفاق أصلا، مع الإشارة إلى أن بقاء بعثة الرقابة في البحر الأحمر، تقويض بحد ذاته لمهمتها المتعلقة بيوميات الاحتكاك في نقاط التماس وخطوط المواجهة داخل المدينة.

وعلى ذات المنوال وبالرغم من التصريحات التي أدلى بها المبعوث الأممي إلى اليمن مارتن غريفيث حول سير اجتماعات لجنة الأسرى التي عقدت في العاصمة الأردنية عمان (بين 5 و8 نوفمبر) بشكل إيجابي، إلا أن اللجنة، وفقا لمصادر من داخلها، أنهت أعمالها باتفاق هزيل حول تبادل الجثامين بدلا من الأسرى.

وفي رد على الرؤية الحوثية التي تقترح تجزئة عملية تبادل الأسرى، أكد وزير الإعلام اليمني معمر الإرياني الحرص على البدء "في عملية تبادل وإطلاق جميع الأسرى والمعتقلين دون تجزئتها".

واعتبر الباحث السياسي اليمني منصور صالح لـ"العرب" أن تحويل الحوثيين ملف تبادل إطلاق الأسرى والمعتقلين إلى ملف لتبادل الجثامين، محاولة إضافية لإفشال اتفاقات السويد وإفراغها من محتواها وتحويلها إلى وسيلة لكسب الوقت.

وتؤكد المؤشرات القادمة من كواليس اللقاءات فشل اتفاق السويد تماما في ملفيه الحديدة والأسرى، نتيجة انقلاب الميليشيا الحوثية على هذا الاتفاق، ووضع المزيد من العراقيل أمام الاتفاق وتجزئته وتطويله إلى ما لا نهاية.

صنعاء شهيدة «تصدير الثورة» الإيرانية

خيرالله خيرالله

» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الحزب الحاكم بالجزائر يعلن ترشيح بوتفليقة رسميا لولاية خامسة

جناح إخواني يقود مساعي توحيد المعارضة لمواجهة مرشح السلطة

اختار حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم، السبت، الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة مرشحه للانتخابات الرئاسية المقررة في 18 أبريل، وستوفر إعادة انتخابه نوعا من الاستقرار على الأمد القصير بالنسبة للنخبة في حزب جبهة التحرير، فيما تتحرك أحزاب إسلامية لتوحيد صفوف المعارضة أملا في منافسة الرئيس المريض.

صابر بليدي

الحزب الحاكم يتحدى الجزائريين

❑ **الجزائر** – أعلن حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم بالجزائر، السبت، ترشيح الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة، رسميا، لولاية خامسة في انتخابات الرئاسة المقررة في 18 أبريل القادم.

جاء ذلك على لسان منسقه العام، معاذ بوشارب، في خطاب أمام الآلاف من قيادات ومناضلي الحزب، خلال مهرجان شعبي نظم بالقاعة البيضوية بالمركب الرياضي 5 يوليو بالعاصمة.

وقال بوشارب "أعلن أن جبهة التحرير الوطني رشحت عبدالعزيز بوتفليقة للانتخابات الرئاسية القادمة تقديرا لحكمة خياراته وتثمينا للإنجازات الكبيرة تحت قيادته". وتابع "هذا مطلبكم وقراركم الصائب والحكيم بكل حرية وسيادة ومن أجل مصلحة الجزائر (..) ندعوكم من الآن للاستعداد لخوض الحملة الانتخابية القوية لصالح مرشحنا".

ورغم إعلانات ترشحيه من قبل حزبه جبهة التحرير الوطني وأحزاب الموالاة الأخرى، يلتزم بوتفليقة (81 عاما)، الذي يحكم منذ 1999، الصمت كما لم تعط الرئاسة أي إشارات حول القضية.

وكما جرت العادة سابقا يفصح بوتفليقة عن موقفه في آخر لحظة من المهلة القانونية لإيداع ملفات الترشح، التي تنتهي في 3 مارس القادم في وقت يدعوه معارضون للانسحاب بسبب وضعه الصحي الصعب.

ولا يزال يتعين على الرئيس أن يعلن هو ترشحه رسميا، وهو ما سيتم على الأرجح عبر رسالة تقرأ نيابة عنه، قبل الثالث من مارس..

وقالت وزارة الداخلية إنها تلقت 200 طلب ترشيح، بينهم عبدالعزيز بلعيد، رئيس حزب جبهة المستقبل، الذي ترشح عام 2014، كما أعلنت حركتا "مجتمع السلم"، و"البناء الوطني" الإسلاميتان ترشح رئيسيهما على التوالي عبدالرزاق مقري وعبدالقادر بن قرينة.

وأجرت أحزاب وشخصيات معارضة مشاورات خلال الأيام الأخيرة من أجل التوافق على مرشح واحد لدخول سباق الرئاسة لكنها لم تفض إلى أي قرار حتى الآن.

ودخل رئيس جبهة العدالة والتنمية الجزائرية عبدالله جاب الله، على خط الحراك السياسي المتصل بالانتخابات الرئاسية المرتقبة، بالشروع في اتصالات مع مرشحين وقوى سياسية، من أجل توحيد صفوف المعارضة، والدخول بمرشح توافقي للاستحقاق الرئاسي، بغية ضمان حظوظ التنافس أمام مرشح السلطة.

وكشف القيادي ورئيس الكتلة النيابية لثاني الأحزاب الإخوانية في الجزائر لخضر بن خلاف، بأن "الجولة الأولى من الاتصالات السياسية التي باشرها عبدالله جاب الله مع مرشحين وقوى سياسية ستشارك في الانتخابات الرئاسية، كانت إيجابية ومشجعة"، لافتا أن "جاب الله سيشرع في جولة ثانية خلال الأسبوع القادم، لتشمل أحزابا وشخصيات مستقلة، وناشطين سياسيين".

وكان عبدالله جاب الله، قد التقى مع المترشحين علي بن فليس عن حزب طلائع الحريات، والجنرال المتقاعد علي غديري، فضلا عن قادة أحزاب الفجر الجديد طاهر بن بعيبش، وممثل اتحاد القوى الديمقراطية نورالدين بحبوح، وعن الاتحاد الديمقراطي الاجتماعي (غير معتمد) كريم طابو، ومحمد سعيد من حزب الحرية والعدالة.

وأشار إلى أنه لمس تجاوبا وردود فعل إيجابية، إزاء بلورة مشروع توحيد صفوف المعارضة في الانتخابات الرئاسية، من أجل ضمان المنافسة ضد مرشح السلطة.

وتتطلع الأنظار إلى اللقاء المنتظر بين صاحب المبادرة، ومرشح حركة مجتمع السلم عبدالرزاق مقري، قياسا بالعلاقة المتوترة بين الطرفين منذ سنوات، لاسيما في الفترة التي أعقبت إجهاض تكتل تنسيقية الحريات والانتقال الديمقراطي عام 2017، بسبب انسحاب الإسلاميين للمشاركة في الانتخابات التشريعية والمحلية.

ويمثل حزبا عبدالله جاب الله، وعبدالرزاق مقري، جناحي تيار الإخوان في الجزائر، وتجمعهما خلافات سياسية ومرجعية عميقة يأتي على رأسها الموقف من خيار المشاركة مع السلطة المنتهج من طرف حمس بداية من منتصف التسعينات من القرن الماضي إلى غاية العام 2011، والارتباط مع القطب المركزي للتيار العالمي.

وسبق أن وجه النائب البرلماني حسن عريبي، عن جبهة العدالة والتنمية الإخواني، انتقادات حادة لحركة مجتمع السلم، وصلت إلى حدّ "التخوين"، بسبب انسحابها من تكتل المعارضة من أجل خوض انتخابات العام 2017، وعلى خلفية المساعي والاتصالات التي قام بها عبدالرزاق مقري، خلال الأسابيع الماضية، مع شقيق ومستشار رئيس الجمهورية سعيد بوتفليقة، من أجل تأجيل موعد الانتخابات الرئاسية إلى العام 2020، والذهاب إلى توافق وطني بين جميع الأطراف.

وذكر بن خلاف بأن "جاب الله، سيلتقي الأسبوع القادم عددا من الناشطين والحقوقيين والشخصيات المستقلة، على غرار مصطفى بوشاشي، محند أرزقي فراد، وأحمد بن بيتور، فضلا عن مرشحي حركة مجتمع السلم عبدالرزاق مقري، ورئيس حركة البناء الوطني عبدالقادر بن قرينة، ورئيس التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية محسن بلعباس.

ويطرح الجناح الإخواني مشروعا انتخابيا موحدا للمعارضة، لمواجهة مرشح السلطة، وهو ما يضع المعارضة المنقسمة بين المشاركة المفككة ومقاطعة الانتخابات، على محك حقيقي، في ظل كثرة المرشحين وطغيان السياسة البراغماتية لدى الطبقة الحزبية.

وكان الجناح الثاني في تيار الإخوان قد أعلن عن عدم مشاركته في الانتخابات الرئاسية، وألمح إلى إمكانية دعمه لأحد المرشحين، قبل أن يطلق رئيسه مبادرة توحيد صفوف المعارضة، وهو الطموح المستبعد في الظرف الراهن قياسا بتقاليد عقدة الزعامة، لاسيما في صفوف الإسلاميين، الذين طرحوا أكثر من مرشح في هذا الاستحقاق، في حين ذهبت حركة الإصلاح لمساندة ترشيح بوتفليقة لولاية رئاسية خامسة.

اتفاق بين النقابة والحكومة ينهي أزمة التعليم في تونس

❑ **تونس** – أعلنت نقابة التعليم الثانوي في تونس، السبت، التوصل إلى اتفاق مع وزارة التربية لتنهي بذلك أزمة استمرت لأشهر تسببت في إضرابات واحتجاجات وتعطل للدروس والامتحانات.

وتوصلت النقابة التابعة للاتحاد العام التونسي للشغل ووزارة التربية إلى اتفاق، بعد أن صادقت الهيئة الإدارية للنقابة، السبت، على مقترحات من الحكومة تخص منح مالية وامتيازات اجتماعية كانت محل خلافات بين الجانبين.

ووصف أمين عام اتحاد الشغل نورالدين الطبوبي إنهاء أزمة التعليم بالانتصار للإرادة وللروح الوطنية وللمربين والتلاميذ. واعتبره "خطوة هامة باتجاه إنجاح السنة الدراسية وتدارك ما فات".

وأوضح أمين نقابة التعليم الثانوي لسعد اليعقوبي للصحافيين السبت "جاءت اقتراحات (من الحكومة) قابلة للنقاش، ناقشناها البارحة وكانت تحتاج إلى تعديلات ضرورية من أجل قبولها. تم التوصل اليوم إلى تفاهمات في علاقة بهذه التحفظات".

وأضاف اليعقوبي "التنقيحات التي أضيفت ترتقي إلى الحد الأدنى الذي طلبه المدرسون".

وفي ضوء هذا الاتفاق، ستتخلى النقابة عن الإضراب والاعتصام وحجب العلامات وسيعود الأساتذة إلى العمل لإنجاح السنة الدراسية. وتطالب النقابة خصوصا بالتقاعد المبكر وبعلاوات وتحسين ظروف العمل في الثانويات.

ويأتي الاتفاق بعد أشهر من المفاوضات المتعثرة التي تزامنت مع اعتصامات وإضرابات للأساتذة منذ نوفمبر الماضي، ما تسبب في تعليق الامتحانات والدروس واحتجاجات للطلبة.

وقد تظاهر الآلاف من مدرسي التعليم الثانوي في العاصمة التونسية الأربعاء للمطالبة بعلاوات وتحسين ظروف عملهم، وذلك بعد أشهر من مقاطعتهم إجراء الاختبارات في المدارس الثانوية. وقاطع مدرسو التعليم الثانوي بكثافة تسليم علامات الاختبارات منذ أكتوبر الماضي رغم دعوات قيادة المركزية النقابية القوية (الاتحاد العام التونسي للشغل) لوقف هذه المقاطعة.

كما نفذ أولياء أمور الطلبة احتجاجات في الشوارع أيضا للمطالبة باستئناف الدراسة والنأي بأبنائهم عن الأزمة.

وسيتيح الاتفاق استئناف الدروس بدءا من الاثنين بعد أن كان العام الدراسي على شفا "سنة بيضاء".

ويأتي الاتفاق بعد يوم واحد من اتفاق مماثل بين الحكومة والاتحاد بشأن أزمة الزيادات في الأجور لأكثر من 650 ألف موظف في الوظيفة العمومية والقطاع العام، ما مهد لإلغاء إضراب عام كان مقررا في 20 و21 من الشهر الجاري بعد إضرابي 22 نوفمبر و17 يناير الماضيين.

جماعة العدل والإحسان تلتف على القوانين المغربية لعقد اجتماعات سياسية

محمد ماموني العلوي

❑ **الرباط** – حاولت جماعة العدل والإحسان المغربية استغلال هامش الحرية الذي يسمح به القانون المغربي لعقد اجتماعات ذات طابع سياسي، ولم تنجح هذه المساعي إذ أغلقت السلطات منازل كانت تستعملها الجماعة المحظورة لاستضافة "تجمعات عامة غير مرخصة".

وأكد رشيد لزرق الباحث في العلوم السياسية، في تصريح لـ"العرب"، أن جماعة العدل والإحسان تتجه إلى استخدام مجال الحريات قصد عقد تجمعاتها المكثفة بعيدا عن أعين السلطات، عبر توظيف المجال الخاص لعقد تجمعات خاصة وأنشطة سرية. واعتبر أن رد فعل جماعة العدل والإحسان على قرار غلق منازل تابعة لأعضائها هدفه تجنب أي صدام مع الدولة.

وشدد لزرق على أن التنظيمات الإسلامية ومن بينها جماعة العدل والإحسان باتت في مأزق وأنها تعي أن أي مواجهة مع الدولة ستكون مغامرة غير محسوبة النتائج.

وأشار الباحث المغربي إلى أنه لا يمكن التعويل على الضغط الأميركي كما كان الأمر إبان ولاية الرئيس السابق باراك أوباما، والذي قامت سياسته في المنطقة على تشجيع وصول الإسلاميين إلى السلطة في سياق ثورات ما سمي بـ"الربيع العربي".

وكانت السلطات المغربية قد قامت بإغلاق البعض من المنازل التابعة لأعضاء جماعة العدل والإحسان بكل من القنيطرة وإنزكان وعين الشق بالدار البيضاء. واعتبرت الجماعة القرار الرسمي "خطوة عدائية وانتقامية غير مبررة قانونيا وسياسيا".

لكن السلطات برّرت قرار الإغلاق بأن الأعضاء الثلاثة المنتمين إلى الجماعة قد قاموا بـ"عقد اجتماعات عامة غير مرخصة". وقالت الجماعة، الجمعة، "إن الدستور والقانون والمواثيق الدولية تعطي الحق لأي مواطن في استضافة من يشاء من الضيوف في أي وقت يشاء وكيف يشاء، لأنها اجتماعات خاصة في أماكن خاصة".

واعتبرت مصادر مطلعة أن خطوة الدولة جاءت بناء على الصلاحيات القانونية المخولة للسلطات وفي احترام تام للمقتضيات القانونية والتنظيمية المعمول بها. وكان الغرض من فتح تلك المنازل هو العبادة، الأمر الذي يتناقض مع أحكام القانون المتعلق بالأماكن المخصصة لإقامة شعائر الدين الإسلامي.

وعلق فتح الله أرسلان، الناطق الرسمي باسم جماعة العدل والإحسان على قرار غلق المنازل بأن "هدف السلطات من تشميع بيوت أعضاء الجماعة هو استفزازنا ومحاولة جرِّنا إلى ردود فعل، لكننا لن ننجر خلف هذه الاستفزازات".

وأضاف بأن هذا القرار "يعكس منهجية في التعامل مع جماعة العدل والإحسان، وليس معزولا عن الحرب المتواصلة عليها منذ إنشائها".

لكن مصدرا حكوميا قال إن الدولة تصنف جماعة العدل والإحسان كـ"جماعة غير قانونية"، ومع ذلك فهي تشتغل في حدود معينة لا يمكن تجاوزها وإلا يكون الرد من حجم التجاوز. ويعد إغلاق السلطات المحلية لمنازل البعض من أعضاء الجماعة ومن بينهم أمينها العام محمد العبادي منسجما مع الصلاحيات التقديرية الممنوحة للسلطات المحلية بموجب القانون.

وشددت قيادة جماعة العدل والإحسان في بيان تلاه عبدالواحد المتوكل رئيس الدائرة السياسية للجماعة، في ندوة صحافية عقدت بمنزل العبادي الجمعة، على استهداف السلطة للجماعة.

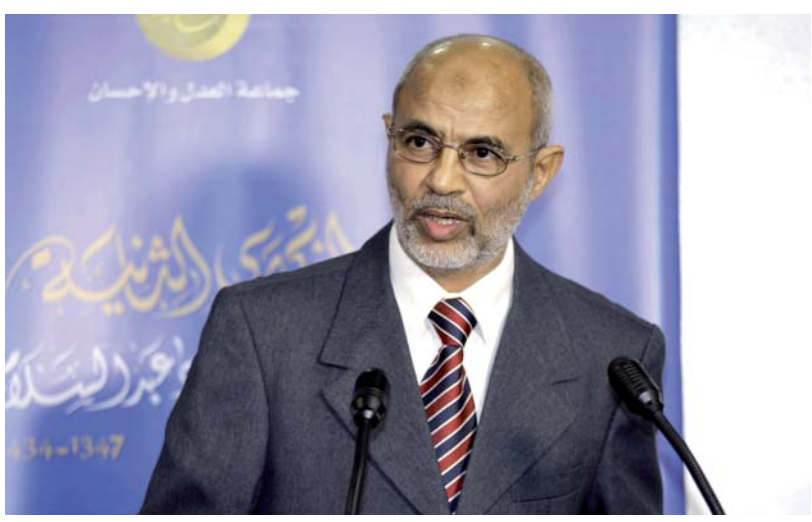

اتهام لجماعة العدل والإحسان بتجاوز القانون

وقال المتوكل "بالنسبة إلينا الأمور واضحة، النظام يريد أن يسقط هذا التيار المعارض الذي نمثله، لأنهم يرون في جماعة العدل والإحسان قوة تأطيرية تشتغل بدينامية قوية، رغم الحصار والعراقيل.. لذلك يريدون إخراسنا".

ورغم تأكيد الجماعة على أن المنازل التي شملها قرار الغلق مأهولة، ويملك أصحابها كافة الوثائق الإدارية، في إشارة إلى أن "القانون والدستور يجرمان الإغلاق باعتباره تجاوزا خطيرا وانحرافا كبيرا في استعمال السلطة"، إلا أن مصادر مطلعة رأت أن تلك المنازل لا تتوفر فيها مواصفات المنازل المأهولة وإنما تم استغلالها كأماكن للعبادة ومقرات لتنظيم الاجتماعات.

وتؤكد المصادر أن جماعة العدل والإحسان خرقت أحكام قانون التجمعات العمومية الصادر في العام 1958، لاسيما المادة الثالثة منه والتي تنص على احترام القوانين قبل الإقدام على عقد أي اجتماع. كما أكدت عملية المعاينة بكل وضوح أن بنايات الجماعة كانت عبارة عن أماكن للعبادة ومقرات لتنظيم الاجتماعات، تم التحايل بشأنها على أساس أنها منازل خاصة وتم تسجيلها باسم أعضاء الجماعة.

وكانت السلطات الأمنية قد أصدرت قرارا في 25 مايو 2006 بتشميع بيت العبادي في مدينة وجدة، إضافة إلى بيوت قيادات أخرى بالمدينة نفسها ومدن أخرى.

وما فتئت الجماعة تخرج في كل مناسبة ببيانات ومواقف تعبر فيه عن رأيها في العديد من القضايا والملفات. لكن الجماعة ورغم وفاة زعيمها الروحي عبدالسلام ياسين في العام 2012 لازالت لم تتخذ خطوات متقدمة لتجاوز ما هو روحي وتربوي في أيديولوجيتها في اتجاه الملفات السياسية.

ويقول متابعون للشأن السياسي في المغرب إن سلوك الجماعة التقليدي وهيمنة جيل الزعيم السابق هو ما يحول دون التحول من الدعوي إلى السياسي.

> رغم وفاة زعيم جماعة العدل والإحسان الروحي عبد السلام ياسين في العام 2012 لازالت الجماعة لم تتخذ خطوات متقدمة لتجاوز ما هو روحي وتربوي في أيديولوجيتها في اتجاه الملفات السياسية

ورغم أنه لم يثبت أن أحد المنتمين إلى جماعة العدل والإحسان كان ضمن تنظيمات إرهابية، إلا أنها تدعو صراحة إلى ما تسميه "القومة"، الثورة ضد الأنظمة وإقامة "الخلافة على منهاج النبوة". وتزعم الجماعة أنها لا تعارض التحالف مع مخالفيها أيديولوجيا، في الوقت الذي ينتقد أمينها العام المرجعيات اليمينية والاشتراكية والليبرالية ويصفها بـ"الفاشلة".

ووفق مراقبين فإن الجماعة لا تعرف ماذا تريد بالضبط، وما يزيد ضبابية في مواقفها أنها تدعو حينا إلى "القومة" وحينا آخر تلجأ إلى التمسك بالحوار مع من يخالفها كسبيل لحل المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ويقول مراقبون إن عقد اجتماعات داخل منازل معدة في الأصل للسكن بمثابة تحايل على القانون وطريقة غير مقنعة في التواصل تحيل إلى العمل السري، وأيضا تثير الشكوك حول طرق تمويل تلك البنايات التي ثبت أن إيجاراتها مرتفعة.

تناقضات تركية حول التنسيق بشأن الشمال السوري

التطورات الميدانية تؤكد أن أنقرة بعيدة عن السيطرة على منبج بعد الانسحاب الأميركي

يُبرز تناقض تصريحات أنقرة أنها تعيش مأزقا مع اقتراب انهيار متوقع لآمالها بشأن السيطرة على منبج، مما يضيّع فرصها في إخلاء المنطقة من وحدات حماية الشعب الكردية. وكانت أنقرة قد أعلنت أنها اتفقت مع واشنطن على تشكيل قوة عسكرية مشتركة لتنسيق الانسحاب الأميركي من سوريا في غياب تأكيد لذلك من جانب واشنطن، وقبل ذلك أعلنت تركيا أنها توصلت إلى تفاهم مع روسيا في ما يتعلق بمنبج رغم أن الوقائع على الأرض تبين العكس.

وجود ينسف آمال أنقرة

❏ **واشنطن** – تكشف التصريحات التركية بشأن خارطة الطريق المرتقبة بشأن الشمال السوري عن تناقضات كبيرة في الموقف التركي، حيث قالت أنقرة إنها تنسق مع واشنطن بشأن الانسحاب الأميركي من سوريا بعد أن كانت قد صرحت في السابق أنها اتفقت مع موسكو في هذا الشأن.

وأعلن وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو، تشكيل قوة مهام مشتركة بين أنقرة وواشنطن بهدف تنسيق انسحاب القوات الأميركية من الأراضي السورية، وفق ما نقلت وكالة الأنباء التركية الأناضول عقب مشاركته في اجتماع وزراء خارجية الدول الأعضاء في التحالف الدولي لمكافحة تنظيم داعش.

لكن تصريحات وزير الخارجية التركي وتأكيده على الاتفاق مع واشنطن بشأن الشمال السوري بعد انسحاب القوات الأميركية، لم يقابلها أي تأكيد من جانب واشنطن التي أوضحت أنها لم يتم التوصل إلى أي تفاهم أو تنسيق معلن.

وكانت مسؤولة أميركية قد أوضحت "نجري مفاوضات مع نظرائنا الأتراك حول ما يمكن القيام به بالنسبة إلى المنطقة العازلة"، دون أن تكشف عن المزيد من التفاصيل حول

> إعلان وزير الخارجية التركي التنسيق مع واشنطن بشأن الانسحاب الأميركي من سوريا، لم يقابله أي تأكيد من جانب واشنطن، التي أوضحت أنها بصدد مناقشة الخطة المحتملة فقط مبينة أنه لم يتم التوصل إلى أي تفاهم أو تنسيق معلن

طبيعة القوة الدولية التي يمكن أن تشرف على منطقة مماثلة.

وكان الرئيس الأميركي دونالد ترامب ونظيره التركي رجب طيب أردوغان تحدثا عن خطة لإقامة "منطقة آمنة" على الحدود التركية السورية، لكن تعقيدات كثيرة تحول دون ترجمتها على الأرض.

وتحمل تصريحات جاويش أوغلو في حد ذاتها الأمر ونقيضه في الوقت نفسه، ففي حين أكد أنه جرى التنسيق مع واشنطن مشيرا إلى وجود نوع من السرعة في تطبيق خارطة الطريق حول منبج السورية، رغم الظروف الجوية السيئة.

فقد قال "إن كان المقصود بالمنطقة الآمنة، هو إنشاء منطقة عازلة للإرهابيين، فإن تركيا سترفض هذه الخطوة"، في دليل واضح على أن الاتفاق لم يتم بعد وأن الطرفين ما يزالان في مرحلة التفاوض.

وتسعى تركيا لإنشاء منطقة آمنة بدعم لوجستي من الحلفاء وتقول إنها تريد إخلاء المنطقة من وحدات حماية الشعب الكردية المدعومة من الولايات المتحدة.

وتبرز التناقضات التركية أيضا في ذكر جاويش أوغلو أن بلاده تبحث مع المسؤولين الروس فكرة إنشاء المنطقة الآمنة على غرار التنسيق القائم بين أنقرة وواشنطن حول هذا الموضوع. ويبدو هذا الأمر بعيدا جدا عن الواقع خاصة أن الوزير التركي أكد أن الموقف التركي رافض للسماح للموالين للنظام السوري بملء الفراغ في المناطق التي ستنسحب منها القوات الأميركية، في ظل دعم موسكو لنظام بشار الأسد.

وتعلق تركيا آمالها على الاستيلاء على منبج، منذ أن أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب قرار انسحاب القوات الأميركية من سوريا، مما سيمكنها من ملاحقة عناصر حزب العمال الكردستاني في العمق السوري.

وقال جاويش أوغلو إن عناصر حزب العمال الكردستاني، الذي تصنفه أنقرة "إرهابيا"، ما زالوا داخل منبج داعيا إلى ضرورة إخراجهم من هذه المنطقة.

لكن موسكو تعارض بشدة مساعي أنقرة لفرض سيطرتها على منبج. وأصبحت الحدود الشمالية لسوريا موضع مساومة رئيسية بين روسيا وتركيا وإيران، منذ إعلان القرار الأميركي.

ويعد 80 بالمئة من سكان منبج من العرب السنة فيما يمثل الأكراد 15 بالمئة من السكان والبقية أقليات تركمانية وشركسية. ويفضل العرب عودة النظام السوري مدفوعين بشعور معادي لوحدات حماية الشعب الجماعة المسلحة الكردية التي ترأس قوات سوريا الديمقراطية التي تدعمها واشنطن، وفق تقرير لمعهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط.

كما يشكك السكان المحليون في الجماعات غير المنتمية لوحدات حماية الشعب والتي ينظر إليها على أساس أنها بديلة لسيطرة النظام، إذ يرفض سكان منبج وفق ما وصفه معهد واشنطن "خيار الحماية التركية".

ولا يرغب سكان المنطقة في عودة سيطرة الجيش السوري الحر المدعوم من تركيا على أساس أن فترة سيطرته تميزت بالفوضى والابتزاز والاختطاف.

وتشير العديد من التقارير إلى وجود قوي للمسلحين الموالين لنظام الأسد في منبج إلى جانب علاقاتهم الجيدة مع القبائل العربية هناك.

فيما تشير الدوريات المشتركة بين "قوات سوريا الديمقراطية" والقوات الروسية في الفترة الأخيرة في شمال منبج إلى أن فرضية تسليم واشنطن للمنطقة لأنقرة تبدو غير ممكنة.

وتعد استعادة نظام الأسد لسيطرته على منبج تمهيدا لبسط سيطرته على كامل منطقة شرق الفرات.

الأردن ينفي تورط مسؤولين بالديوان الملكي في قضية مصنع الدخان

❏ **عمان** – نفت الحكومة الأردنية، السبت، صحة معلومات متداولة حول تورط مسؤولين من الديوان الملكي في قضية الفساد المعروفة باسم "مصنع الدخان المقلد".

وقالت الحكومة في بيان رسمي إن "المعلومات التي يتمّ نشرها عبر تلك الصفحة ويتبادلها البعض من المواطنين، حول تورّط مسؤولين حاليين وسابقين وعدد من الشخصيّات الجديدة في قضيّة الدخان غير صحيحة بالمطلق، وتهدف إلى التشكيك بسلامة الإجراءات وإعاقة سير التحقيقات في القضيّة".

ودعا البيان المواطنين إلى "عدم الالتفات للشائعات والأخبار المغلوطة، واستقاء المعلومات الدقيقة فقط من مصادرها الرسمية".

وأثارت صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي الجدل بعد أن نقلت تصريحا على لسان مدير الجمارك العامة السابق وضاح الحمود، الموقوف على ذمة القضية، يقول فيه إنه كان يتلقى تعليمات من جهات سيادية في الديوان الملكي لتسهيل أعمال مالك المصنع.

وكان المدعي العام لمحكمة أمن الدولة الأردنية قد وجه الخميس تهما بالفساد بحق 54 شخصا، بينهم مسؤولون بارزون سابقون، في قضية تزوير وتهريب الدخان التي شغلت الرأي العام الأردني.

ومن أبرز المتهمين في القضية وزير المياه السابق منير عويس ومدير الجمارك السابق اللواء المتقاعد وضاح الحمود والمستشار السابق وهب العواملة.

وأبرز التهم "إساءة استعمال السلطة" و"التهريب الجمركي" و"التهرب من الضريبة العامة على المبيعات" و"قبول الرشوة" و"تقديم رشوة".

كما اتهموا بـ"القيام بأعمال من شأنها تعريض سلامة المجتمع وأمنه والموارد الاقتصادية للخطر"، و"القيام بأعمال من شأنها تغيير كيان الدولة الاقتصادي أو تعريض أوضاع المجتمع الأساسية للخطر".

وكانت وزيرة الدولة لشؤون الإعلام الناطقة الرسمية باسم الحكومة جمانة غنيمات قد أعلنت، في 23 يوليو الماضي، أن قرارا اتّخذ بالقبض على 30 شخصا يشتبه بتورطهم في قضية إنتاج وتهريب مادة الدخان بطرق غير قانونية إلى السوق الأردنية.

وفي يوليو الماضي، أعلنت الأجهزة الأمنية أنها داهمت مصنعا لإنتاج السجائر في جنوب العاصمة عمّان، في إطار القضية التي هزت الرأي العام.

وخلال افتتاح الدورة التشريعية الثالثة في أكتوبر الماضي، حذّر العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني من انعكاسات ترويج الشائعات مشددا في الوقت ذاته على ضرورة عدم السماح بتحول الفساد إلى مرض مزمن ينخر اقتصاد البلاد.

تصعيد العنف في الساحل الأفريقي يعكس زيادة قدرات الجهاديين

❏ **برلين** – قال تقرير لمؤتمر أمني دولي إن تصعيدا في الهجمات العنيفة المرتبطة بالجماعات الإسلامية في منطقة الساحل بغرب أفريقيا يعكس القدرات المتزايدة لهذه الجماعات ومقدرتها على التواصل عبر الشبكات.

وذكرت مقتطفات من التقرير الذي تم إعداده لمؤتمر ميونخ الأمني السنوي واطلعت رويترز عليها، الجمعة، أن ثلاثة أرباع المعارك التي وقعت مع قوات الأمن الحكومية خلال 2018 بادرت بها هذه الجماعات.

وستبحث أشغال مؤتمر ميونخ، قضايا الأمن والإرهاب، الذي سينعقد من 15 إلى 17 فبراير الجاري بمشاركة أكثر من 600 من زعماء الحكومات وصناع القرار الآخرين. ومؤتمر ميونخ الدولي للأمن بدأ عقده إبان الحرب الباردة، ويعتبر هذا المؤتمر أهم ملتقى للخبراء في مجال السياسة الأمنية على مستوى العالم.

ونقل التقرير، الذي سينشر الاثنين، عن بيانات المركز الأفريقي للدراسات الاستراتيجية توضيحه أن عدد القتلى نتيجة النشاط الإسلامي المسلح زاد إلى 1082 بالمقارنة مع 2017.

وكانت هناك أيضا "كثافة في الحركة الأمنية" بشكل متزايد للقوات العسكرية في المنطقة بما في ذلك بعثة للأمم المتحدة وعملية بارخان الفرنسية وأربع بعثات من الاتحاد الأوروبي لتدريب الجيش والشرطة ومجموعة الخمس (جي 5) الإقليمية التي أنشئت في 2015.

ويوجد في مالي نحو 4500 جندي فرنسي في منطقة الساحل يشاركون في عملية بارخان التي تستهدف الإرهابيين الإسلاميين والمسلحين في تشاد وموريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر. وقد تم القضاء على "العشرات من الإرهابيين" في يناير في عمليات مشتركة بين بارخان والقوات المالية.

وقال التقرير إن من بين التحديات الأمنية حجم المنطقة الواسع والاتجار بالبشر والتغير المناخي والزيادة السكانية السريعة.

وأثار العنف في منطقة الساحل أيضا قلق ألمانيا والولايات المتحدة التي أرسلت الآلاف من الجنود هناك للتصدي للقاعدة والجماعات المرتبطة بتنظيم داعش.

ويشير الخبراء إلى أن مقاتلي الجماعات المرتبطة بتنظيم الدولة الإسلامية تمكنوا من جمع ترسانة فعّالة بفضل العمليات التي نفذوها ضد قواعد عسكرية واستحواذهم على الأسلحة خلال الهجمات، إلى جانب عمليات تهريب السلاح من دول أفريقية أخرى.

وسمح ازدياد تهريب الأسلحة في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى إلى تنظيم الدولة الإسلامية "ولاية غرب أفريقيا" بالحصول على معدات "أكثر تطورا"، قادمة تحديدا من القرن الأفريقي والشرق الأوسط عبر السودان، بحسب يان سان بيير، وهو خبير في مجال مكافحة الإرهاب لدى مجموعة الاستشارات الأمنية الحديثة التي تتخذ من برلين مقرا لها.

وسبق أن حذّر وزير الأمن بدولة مالي، ساليف تراوري في تصريحات سابقة، أن الحدود الواسعة في منطقة الساحل تساعد الجماعات الإرهابية على تقوية صفوفها، فضلا عن استغلالها لتهريب المخدرات بسبب غياب المراقبة اللازمة للحدود.

ورغم التهديدات الإرهابية تتواصل الجهود الأمنية بمنطقة الساحل الأفريقي. وقال الجيش ومصادر مخابرات في تشاد السبت، إن القوات المسلحة احتجزت العشرات من المتمردين في شمال البلاد عقب ضربات جوية نفذت قبل عدة أيام لصد توغل تم عبر الحدود من ليبيا.

كما أعلنت قيادة أركان الجيش التشادي في بيان أن "القوات التشادية أسرت أكثر من 250 إرهابيا بينهم أربعة من القادة"، إثر دخول قافلة من المتمردين إلى تشاد من الأراضي الليبية في نهاية يناير الماضي.

وقال الجيش في بيان إن "أكثر من أربعين سيارة" دمرت، كما صودرت "المئات من قطع السلاح"، مضيفا أن "عمليات التطهير تتواصل" في منطقة أنيدي في شمال شرق تشاد على مقربة من الحدود مع ليبيا والسودان.

وبحثت دول منطقة الساحل الأفريقية إشكالية محاربة الجهاديين في واغادوغو، بداية فبراير الجاري، غداة مقتل 14 شخصا في هجوم إرهابي في بوركينا فاسو. وتمثل منطقة شمال بوركينا فاسو،المتاخمة لمالي والنيجر أيضا ملاذا للمتطرفين الإسلاميين الذين يهاجمون أيضا بشكل منتظم السكان المدنيين.

وأجمعت دول منطقة الساحل الأفريقي على ضرورة تعزيز التنسيق في المعركة ضد الجهاديين الذين تسببوا بمقتل المئات من المدنيين وبأضرار اقتصادية.

واندلع التمرد الإسلامي في منطقة الساحل في أعقاب الفوضى التي اجتاحت ليبيا عام 2011، فشهد شمال مالي هجمات جهادية عنيفة. ومع ارتفاع حصيلة الضحايا، تم إطلاق خطة تدعمها فرنسا العام 2015 لنشر قوة مشتركة مكونة من 5 دول وتضم 5000 عنصر.

لكن نقص التمويل والتدريب والمعدات من الأمور التي شكلت جميعها عوامل قوضت المبادرة. وتعرض مقر القوة في مالي في يونيو الماضي إلى هجوم انتحاري مدمر أعلنت مجموعة مرتبطة بالقاعدة مسؤوليتها عنه.

ونظرا لهذه التحديات، بدت "قوة مجموعة دول الساحل الخمس" غير نشطة لفترة طويلة. لكن قائدها الجنرال الموريتاني حنانة ولد سيدي أعلن الأحد الماضي أنها شنت ثلاث عمليات عسكرية منذ 15 يناير دون تفاصيل إضافية.

وبعد تشتيتها خلال التدخل الفرنسي في 2013، استعادت الجماعات الجهادية نشاطها في شمال مالي ووسطها على الرغم من وجود 12 ألف جندي من قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة وقوة بارخان الفرنسية التي تضم أربعة آلاف رجل.

في ملاحقة المتشدّدين

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

رئاسة مصر للاتحاد الأفريقي اختبار لنفوذها القاري

تهديدات الأمن القومي المباشر تحدد أولويات القاهرة حيال القضايا الإقليمية

تتمتع مصر، التي تتسلم الأحد رئاسة الاتحاد الأفريقي لعام 2019، بموقع استراتيجي يجعلها بمثابة ترانزيت بين مختلف الدول الأفريقية من جهة وبينها وبين قوى إقليمية مؤثرة من جهة أخرى. وتترأس مصر المنظمة الأفريقية، في هذه المرحلة المليئة بالتجاذبات والمتغيرات في القارة التي أصبحت مكتظة بالقوى الأجنبية المتنافسة. وإذا أحسنت مصر الاستفادة من هذه المكانة وأدارت بذكاء وبعقلية مختلفة الوضع، فإنها ستقدر على إعادة تثبيت موازين القوى التي تغيّرت خلال العقد الأخير، وستتمكن من استعادة لياقتها الأفريقية كما الحفاظ على أمنها القومي المباشر وغير المباشر، والحفاظ على مصالحها.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

منذ نهاية عهد الرئيس المصري الراحل أنور السادات، أصبح الدور الإقليمي للقاهرة يتوقف على تهديدات ومقتضيات الأمن القومي المباشر، وتمت صياغته بالصورة التي تجعله يدور في هذا الفلك، لتحاشي الوقوع في تجارب جديدة باهظة، عقب النقمة التي خلفتها معارك عبدالناصر السياسية والعسكرية.

هل تستعيد القاهرة لياقتها الخارجية من البوابة الأفريقية

❑ **القاهرة** – تمنح القاهرة أولوية كبيرة للقارة الأفريقية، وتسعى إلى توظيف تسلمها رئاسة الاتحاد الأفريقي لمدة عام، بدءا من اليوم الأحد، لتدشين توجهات شاملة ومكتملة الأركان السياسية والأمنية والاقتصادية والثقافية والإعلامية والرياضية، بعدما تكبّدت خسائر فادحة ألحقت أضرارا بالغة بعدد من مقومات الأمن القومي نتيجة الإهمال النسبي للقارة على مدار نحو عقدين.

يحاول الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، استعادة لياقة بلده الخارجية، من خلال حركة دؤوبة بين ربوع القارة الأفريقية، وهو ما جعل البعض يتصورون أن هناك استدارة استراتيجية، قد تمثل خصما من رصيد القاهرة العربي، وأن ثمة تبدلا في الدوائر التي تهمّ الأمن القومي، حيث تصبح الدائرة الأفريقية في المرتبة الأولى على حساب العربية.

> مصر قرأت خارطة التحولات في القارة الأفريقية ووجدت ضرورة في التعامل معها والتجاوب مع مفرداتها، قبل أن يتسع نطاق المخاطر الناجمة عن الأطروحات الجديدة لدى بعض القوى التي تجد في القارة مجالا واعدا. وترى القاهرة في رئاسة الاتحاد الأفريقي مناسبة جيدة لترتيب الأوراق بما يقلل الخسائر الراهنة ويساعد في الحفاظ على المصالح

قد يكون حديث الدوائر والمكعبات السياسية جذابا، وفي الحالة المصرية يحلو للكثيرين عند الحديث عن أفريقيا اجترار الماضي، والوقوف عند فترة الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر، الذي أولى للقارة اهتماما لافتا. ولأن الأحداث والتطورات وفقا للأزمنة والأشخاص والأهداف متغيّرة، فإنه لا يُفضل الوقوف عند هذه النوعية من المقارنات، ولن تكون منطقية أو مجدية، وتحتاج إلى مساحة كبيرة للخروج بنتائج واستخلاصات محددة.

تراجع الدور الإقليمي

غابت الكثير من القواسم العربية المشتركة، وتقلص العمل الجماعي في ملفات كثيرة، وانحصر الدور المصري الفاعل لسنوات طويلة في القضية الفلسطينية، وبقيت القضايا الأخرى العربية، تأتي في مرتبات تالية، وهو ما أوجد تقسيما بات رائجا في الأدبيات المصرية يقوم على التفرقة بين مفهومي الأمن القومي المباشر وغير المباشر.

يقتصر الأول على القضايا الملحّة، ولذلك أصبح قطاع غزة محل تركيز أكثر من القضية الفلسطينية الأمّ، لأن روافد الأحداث في غزة ألقت بأثقالها القاتمة على مصر في سيناء ومناطق مختلفة، نتيجة تشابكات أمنية وسياسية متعددة.

تأتي غالبية التحركات المصرية العاجلة مؤخرا انطلاقا مما يتعرض له القطاع، الذي يمكن أن يلقي بحممه السكانية والأمنية والاقتصادية على مصر في أي لحظة، وتحول إلى باب خلفي لكثير من ممارسات دول في عداد المنافسين للقاهرة في المنطقة وأصبح نافذة لتسويق سيناريوهات غامضة على حساب المصالح المصرية.

عندما بدأت تداعيات الأزمة الليبية تلقي بظلالها المباشرة على مصر خلال السنوات الماضية، جرى منحها أولوية لا تقل عن قطاع غزة، لأن التهديد واحد تقريبا، ويدور حول تصاعد حدة الإرهاب القادم من كليهما، ونمو بؤر متشددين تمثل خطرا حاليا ومستقبليا على الأمن المصري، من الواجب التعامل معها بمستوى عال من الحذر والمسؤولية.

يشمل المفهوم الثاني، أي الأمن القومي غير المباشر، جميع المناطق محل التأثير على المصالح الحيوية. ويتم ترتيبها وفقا لحجم الأضرار، عاجلة أم مؤجلة، فقد تصبح منطقة الخليج مجالا للأمن العاجل لمصر، إذا حدثت تهديدات مباغتة، أو رأت القاهرة ضرورة في إطلاق تصريحات تحذير للخصوم، أو طمأنة للحلفاء بشأن الوقوف معهم ضد أطماع إيران.

تلعب القاهرة أدوارا ثانوية في أزمات عربية مختلفة، تتقدم أو تتأخر، تتسع أو تضيق، حسب درجة التهديدات، والقوى المؤثرة فيها، فاندلاع الأزمة السورية كانت له سلبيات متباينة على مصر، بحكم العطب الذي أصاب ما يعرف بالجبهة العسكرية الشمالية. ولأن التحديات جسيمة ولا تملك القاهرة مقومات كبيرة للتصدي لها، احتفظت بهامش ضئيل للحركة، والانفتاح على أطراف كثيرة ومتصادمة، للحد من الخسائر، والتدخل كلما سنحت توازنات القوى الإقليمية والدولية بالحد الأدنى لذلك.

يمكن القياس على هذه التقديرات ومعرفة طريقة التعامل المصري مع الكثير من القضايا والأزمات الإقليمية في العراق ولبنان واليمن مثلا، وفقا لدرجة الأهمية والأولوية، وهو ما فهمه البعض على أنه انسحاب أو تراجع للدور المصري، بينما يحلو للمسؤولين في القاهرة وصفه بـ"الواقعية" التي تفرضها معطيات إقليمية معقدة، تتطلب حنكة والرشادة في التجاوب والتنافر معها، لأن الظروف التي تمر بها مصر لا تمكنها من التسلح بجرأة سياسية كافية، في ظل توازنات متغيرة، قد يؤدي الخطأ في حساباتها إلى تحمل خسائر متعاظمة.

اتسعت المخاطر وتزايد نطاق التهديد المباشر خلال السنوات القليلة الماضية، ولم يعد قاصرا على قطاع غزة وليبيا، وشمل البحر الأحمر ومضيق باب المندب بعد تدخلات إيران في اليمن، وحوض البحر المتوسط مع تنامي اكتشافات الغاز وتهديدات تركيا، وحوى دول وادي النيل أيضا وسط الحديث عن مشروعات تنموية للاستفادة من المياه والطاقة. ناهيك عن تغوّل الجماعات المتشددة وتمددها في قلب دول أفريقية كثيرة، وما يمثله الإرهاب الناجم عنها من تحديات عميقة، تستوجب مراقبته عن كثب.

منطقة حوض النيل

اتخذت مصر خطوات عسكرية واقتصادية مهمّة بشأن التهديدات المباشرة القادمة لها من جهة البحر المتوسط، ومضت في الاتجاه ذاته في البحر الأحمر، من خلال الحصول على فرقاطات عسكرية وحاملات طائرات متنوعة، وكذلك ملف الإرهاب.

وبقيت منطقة حوض النيل مكشوفة، ويصعب اتخاذ إجراءات أو استعدادات مسلحة معها، على غرار ما تقوم به القاهرة في مناطق التهديدات الأخرى، في كل من غزة وليبيا والأحمر والمتوسط، وحتى الحدود الجنوبية مع السودان.

ظلت منطقة حوض النيل محط اهتمام باعتبارها من المصادر المباشرة للأمن القومي. واستراحت مصر للصيغة التي نسجتها تاريخيا، ولم تلتفت لحجم التحولات فيها.

وحدثت تطورات أخلّت بعقيدتها الراسخة، انعكست في شكل تغير في الثوابت التي ارتاحت لها من قبل وحفظتها قوانين وأعراف وتقاليد أفريقية.

ظهرت بوادر الأزمة بقوة مع إثيوبيا مع شروع الأخيرة في بناء سد النهضة، الذي يؤثر على حصة مصر ونسبتها السنوية التاريخية في مياه نهر النيل (55.5 مليار متر مكعب)، وأخفقت جميع الأدوات الدبلوماسية في تحاشي النتائج السلبية للسد، ووجدت القاهرة نفسها أمام خصوم متفرقين، لا تستطيع التعامل معهم بالقوة العسكرية، وتفتقر للقدرات السياسية والاقتصادية، وتلاشت أدوات القوة الناعمة للتأثير في توجهاتهم.

يمثل نهر النيل شرياناً للحياة في مصر، وهو أحد مصادر الخطر المباشر، الذي لا تصلح معه القوة الخشنة، وظل مهملا على مدار عقدين كاملين تقريبا، شهدت فيهما القارة تغيرات متسارعة، كانت حصيلتها وضع الكثير من العقبات أمام الحفاظ على المصالح المصرية، وعندما استفاقت القاهرة من غفوتها السياسية، كانت الأزمات تراكمت بما يجعل صعوبة كبيرة في تسويتها بالأدوات التقليدية، ويفرض تبني مقاربات حديثة، تتجاوز التقييمات الجامدة.

قرأت مصر خارطة التحولات في القارة، ووجدت ضرورة كبيرة في التعامل معها والتجاوب مع مفرداتها، قبل أن يتسع نطاق المخاطر الناجمة عن الطروحات الجديدة لدى بعض القوى التي تجد في القارة مجالا خصبا واعدا.

ورأت القاهرة في رئاسة الاتحاد الأفريقي مناسبة جيدة لترتيب الأوراق، بما يقلل الخسائر الراهنة ويساعد في الحفاظ على المصالح في المستقبل.

تعول مصر على هذه الاستدارة، في الحد من التحركات السلبية التي تستهدف التأثير على أمنها القومي المباشر، من خلال عدم التوسع في المشروعات المزمع تشييدها داخل دول حوض النيل، أو التوصل إلى تفاهمات تقلل المخاطر الواقعة عليها.

من الصعوبة أن تقوم مصر بأدوار مؤثرة في ربوع القارة خلال فترة وجيزة، لأن هذه مسألة تحتاج إلى وقت وقدرات كثيفة واستعدادات متكاملة، ربما تفتقر لها القاهرة في الوقت الراهن، ولذلك سوف تجتهد في التوصل إلى شبكة مصالح سياسية لمنع وقوع تهديدات لأمنها القومي المباشر، إلى حين تتوافر لها أجواء مناسبة لحصد المكاسب.

قمة ثلاثية بين مصر وإثيوبيا والسودان

❑ **القاهرة** – أعلنت مصر، السبت، عن عقد قمة رئاسية، الأحد، في العاصمة الإثيوبية، أديس أبابا، تشمل السودان والبلد المضيف.

ووفق ما نقلته وكالة الأنباء المصرية الرسمية، "يعقد الرئيس عبدالفتاح السيسي، صباح الأحد قمة ثلاثية مع كل من رئيس وزراء إثيوبيا أبي أحمد والرئيس السوداني عمر البشير وذلك على هامش أعمال القمة الأفريقية".

وتتناول القمة الثلاثية العلاقات المشتركة بين الدول الثلاث. وتأتي بعد أيام من قمة ثنائية جمعت البشير بالسيسي في القاهرة وتطرقت لملف سد النهضة الإثيوبي. واتفق الرئيسان، في قمة في 27 يناير الماضي، وفق المصدر السابق، على "أهمية التوصل إلى اتفاق حول سدّ النهضة في أقرب وقت".

وقال البشير وقتها في مؤتمر صحافي "تكملة الاتفاقيات حول سد النهضة حول الملء والتشغيل مهم، ونحن على تواصل مع إثيوبيا ومصر لضمان حقوق مصر والسودان في مياه النيل وعدم التأثير عليها".

ورغم تواصل اجتماعات مصر والسودان وإثيوبيا بشأن الدراسات الفنية لبناء سد النهضة، بين وقت وآخر إلا أنه لم يتم الوصول إلى حل يرضي الدول الثلاث.

وتتخوف القاهرة من تأثير سلبي محتمل للسد الإثيوبي على تدفق حصتها السنوية من مياه النيل.

العدالة الانتقالية على مائدة القمة الأفريقية

❑ **القاهرة** – تنطلق الأحد القمة الأفريقية الـ32 لرؤساء دول وحكومات الاتحاد (يضم 55 دولة)، لمدة يومين. ومن بين الملفات المنتظرة في تلك القمة: اللاجئون والنازحون، النزاعات والإرهاب، جواز السفر الأفريقي الموحد، الاندماج الاقتصادي وعملية الإصلاح المؤسسي للاتحاد وتمويله. وتترأس مصر الاتحاد الأفريقي للمرة الأولى منذ نشأته في 2002.

وعشية القمة، رفع وزراء الخارجية الأفارقة، مشاريع قرارات، لقمة الاتحاد الأفريقي بأديس أبابا، لاعتمادها من بينها سياسة الاتحاد للعدالة الانتقالية والوضع الإنساني بالقارة. وتتضمن التقارير انتخاب الجزائر وكينيا وبوروندي ونيجيريا وليسوتو كأعضاء جدد في مجلس السلم والأمن الأفريقي، وترشيح المغرب وموزمبيق وناميبيا لتقديم مرشحين كقضاة جدد معينين في المحكمة الإدارية للاتحاد الأفريقي.

كما رفع المشاركون تقارير بينها تقرير الفريق الوزاري المعني بتنفيذ مقررات المؤتمر بشأن المحكمة الجنائية الدولية والمذكرة التفاهمية بشأن الموضوع العام للقمة الأفريقية بعنوان "اللاجئون، والعائدون والنازحون داخليا: نحو حلول دائمة للنزوح القسري في أفريقيا". وقالت الخارجية المصرية في بيان إن "اعتماد تلك التقارير يأتي في إطار حرص الدول الأفريقية على النهوض بالقارة".

صنعاء شهيدة «تصدير الثورة» الإيرانية

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ سيمرّ بعد أيام شهران على توقيع اتفاق ستوكهولم بين "الشرعية" في اليمن من جهة والحوثيين من جهة أخرى. لم يتحقق أيّ تقدم حقيقي حتّى اللحظة باستثناء أن الحوثيين، أي "أنصارالله" حصلوا من الاتفاق على يريدونه. هذا هو فهمهم للاتفاق الذي جعل منهم "الشرعية الأخرى" في اليمن بعد استبعاد مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة مارتن غريفيث أي أطراف أخرى عن المفاوضات. اختزل الأزمة اليمنية بـ"الشرعيتين" الممثلتين بالرئيس الانتقالي عبدربّه منصور هادي وعبدالملك الحوثي.

> يصعب فصل الوضع اليمني عن المشروع التوسعي الإيراني الذي يقوم أساسا على سياسة النفس الطويل وتفتيت المجتمعات والمؤسسات في الدول العربية. شئنا أم أبينا، خرج الحوثيون المنتصر الأوّل والأخير، ربّما، من الثورة الشعبية التي قامت ضد نظام علي عبدالله صالح في العام 2011

بعثت المفاوضات، التي جرت أخيرا بين ممثلي الشرعيتين على سفينة مرابطة قبالة ميناء الحديدة، بإشارات عدة. من بين هذه الإشارات أنّ "أنصارالله" باقون في الحديدة ويرفضون إخلاء المدينة والميناء والمناطق المحيطة بهما. كلّ ما يهمّ الحوثيين هو تثبيت أمر واقع في اليمن. من جملة ما يريدون تثبيته وقف إطلاق النار في الحديدة. ليس سرّا أن تصرفات الحوثيين لم تعجب الضابط الهولندي باتريك ماكيرت الذي تخلّى عن موقع قائد قوة المراقبين التي يفترض أن تشرف على انسحاب "أنصارالله" من الحديدة. هؤلاء يريدون البقاء في المدينة وفي الميناء من أجل تكريس وجود لإيران على البحر الأحمر. هذا كلّ ما في الأمر. هناك استخدام إيراني للأمم المتحدة من أجل خلق أمر واقع جديد في اليمن يكون فيه كيان حوثي عاصمته صنعاء ويمتلك موقع قدم، في غاية الأهمّية، على البحر الأحمر هو ميناء الحديدة.

في خضم ما يشهده اليمن حاليا، هناك تجاهل كامل للوجود الحوثي في صنعاء المحتلة منذ الحادي والعشرين من أيلول – سبتمبر 2014. يجري إلهاء المجتمع الدولي بالحديدة ومستقبل الحديدة في حين لا كلام عن الموضوع الأساسي الذي يتمثل في وجود "أنصارالله" في العاصمة. ماذا يفعل الحوثيون في صنعاء التي وضعوا يدهم عليها بسبب أخطاء كثيرة ارتكبتها "الشرعية" التي حصرت مهمّتها في مرحلة معيّنة في التضييق على علي عبدالله صالح الذي دفع في نهاية المطاف ثمن الحروب الست التي خاضها مع الحوثيين بين 2004 و2010 والتي رفض حسمها في إحدى المرّات عندما سمحت له الظروف بذلك.

الأكيد أنّ من يخطط للحوثيين ليس عبدالملك الحوثي. هناك من يفكر بدلا عنهم في إيران وفي بيروت. ليس سرّا عمق العلاقة القديمة والعميقة، في آن، بين "أنصارالله" و"حزب الله". تقوم الإستراتيجية الحوثية على مقولة "خذ وطالب". هذا ما يفعله "حزب الله" في لبنان. وهذا ما تفعله إيران في العراق. وهذا هو الأمر الذي لم يتنبه إليه أولئك الذين استخفوا منذ البداية بمدى التعاون والتنسيق بين النظام السوري من جهة وايران وأدواتها من جهة أخرى. ليس القرار الاتهامي الذي أصدرته المحكمة الدولية في لاهاي التي تنظر في قضية اغتيال رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005 سوى دليل على ذلك.

أكان في اليمن أم العراق أم لبنان، تسعى إيران على تحقيق اختراقات في كلّ الاتجاهات. عندما وضع الحوثيون يدهم على صنعاء تحركوا في اتجاه تعز والجنوب اليمني. ما زالوا موجودين في تعز، حيث هناك جيب زيدي. لكن ما لا يمكن المرور عليه مرور الكرام أن لديهم أيضا مؤيّدين في صفوف أهل تعز وهم شوافع وأن المدينة لا تزال إلى الآن تعاني من الحلف غير المعلن القائم بين الحوثيين والإخوان المسلمين، أقلّه مع قسم من هؤلاء يرون أن لديهم مصلحة في اقتسام اليمن بين الجانبين.

لولا التحالف العربي الذي خاض وما زال يخوض حربا من أجل إخراج إيران من اليمن، لكان "أنصارالله" ما زالوا في عدن التي سيطروا عليها لفترة قصيرة وفي ميناء المخا الذي يمكن التحكّم من خلاله بمضيق باب المندب. أقام "أنصارالله" تحالفات مع مجموعات في جنوب اليمن. هناك اليوم جنوبيون في الحكومة التي شكلها الحوثيون في صنعاء. ما يحصل حاليا هو فصل آخر من المعركة مع إيران في اليمن حيث يستغلّ الحوثيون أي ثغرة تبرز أمامهم من أجل الوصول إلى مرحلة يصبح فيها الكيان الخاص بهم واقعا لا يمكن تجاوزه.

يصعب فصل الوضع اليمني عن المشروع التوسعي الإيراني الذي يقوم أساسا على سياسة النفس الطويل وتفتيت المجتمعات والمؤسسات في الدول العربية. شئنا أم أبينا، خرج الحوثيون المنتصر الأوّل والأخير، ربّما، من الثورة الشعبية التي قامت ضد نظام علي عبدالله صالح في العام 2011. لم يدرك الإخوان المسلمون الذين ركبوا موجة الاحتجاجات الشعبية وقتذاك والذين حاولوا عبر أذرعتهم اغتيال الرئيس السابق في الثالث من حزيران – يونيو من تلك السنة أن كلّ ما يفعلونه يصبّ في مصلحة إيران.

مضت إلى الآن أربع سنوات ونصف سنة على سيطرة الحوثيين على صنعاء. ما شهدناه طوال هذه المدّة هو تراجع للمشروع الإيراني في اليمن بفضل "عاصفة الحزم" من جهة مع تثبيت له في جزء من اليمن من جهة أخرى. إنّ أي صيغة جديدة لليمن لا يمكن إلّا أن تأخذ في الاعتبار وجود كيان حوثي بات يحظى بغطاء دولي، خصوصا بعد الضغوط التي مورست من جهات دولية عدّة على التحالف العربي منذ شهر أيّار – مايو الماضي من أجل تفادي أي حسم عسكري في الحديدة.

عاجلا أم آجلا، سيتبين هل هناك جدّية أميركية حقيقية في مواجهة إيران. المؤسف أن تجربة اليمن لا توحي بذلك. هناك سياسة قضم إيرانية تمارس حيث توجد أدوات لطهران. ليس صدفة أن لا حكومة عراقية مكتملة على الرغم من وجود رئيس للوزراء ومن أن الانتخابات النيابية أجريت في الثاني عشر من أيّار – مايو 2018، أي منذ ما يزيد على ثمانية أشهر. في سوريا، حصل تغيير ذو طبيعة مرتبطة بالتركيبة السكانية في مناطق عدّة، خصوصا في دمشق ومحيطها وعلى طول الحدود الدولية بين لبنان وسوريا. وفي لبنان، لم تتشكل حكومة الرئيس سعد الحريري إلّا بعد تأكد إيران من أنّها اخترقت السنّة والدروز بعد اختراقها الواسع للمسيحيين الذي عمره عمر الاتفاق الذي وقعه ميشال عون مع حسن نصرالله في السادس من شباط – فبراير 2006.

في انتظار معرفة هل سيحصل التغيير في إيران ومدى تأثير العقوبات الأميركية على سلوكها خارج حدودها، سيلحق مزيد من الأذى باليمنيين والسوريين والعراقيين واللبنانيين. هذه ثورة حقيقية قامت قبل أربعين عاما أطاحت بنظام الشاه، لكنّها لم تستطع جعل إيران والإيرانيين في وضع أفضل. أقامت هذه الثورة نظاما في حال هروب مستمرّة إلى خارج حدوده. ليست صنعاء سوى شهيد من شهداء شعار "تصدير الثورة" الذي لم يكن سوى تصدير للخراب والدمار والتخلّف والفتن المذهبية والطائفية لا أكثر...

دولة عاجزة وضعيفة.. هذا ما تبشر به «ثورة» الحوثيين إيرانية الصنع

المنطقة الأمنية شرق الفرات: صراعات ومقترحات وغموض أميركي

رانيا مصطفى
كاتبة سورية

❏ تتمسك أنقرة بأولويّاتها في سوريا حول تأمين حدودها الجنوبية من خطر تعاظم قوة حزب العمال الكردستاني الذي تصنّفه "إرهابيا"؛ حيث جدد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في خطابه أمام أعضاء غرفة التجارة الأميركية والمجلس التركي الأميركي بأن "تركيا تملك كل الوسائل اللازمة لإقامة المنطقة الآمنة بنفسها، ما دام حلفاؤها سيقدمون لها الدعم"، وأنه متحمّس لإنشاء شقق سكنية للاجئين في المنطقة الآمنة لضمان عودة أكثر من 3 ملايين سوري مهجّر في تركيا.

لكن، لا يزال الغموض يلفّ الاستراتيجية الأميركية حول ملفّ شرق الفرات ومنبج، عدا عن تثبيت نواياها بالانسحاب وتحديد موعده في نهاية أبريل المقبل، حسب ما ورد في صحيفة وول ستريت الأميركية، رغم أن الانسحاب بات مرهونا بإنهاء داعش، بعد أن صوّت الكونغرس منذ أيام بأغلبية ساحقة، وبقيادة الجمهوريين، على قرار يحذر الرئيس من الانسحاب، والذي ردّ على القرار بإعلان أن داعش سينتهي في سوريا خلال أسبوع.

هذا الجدل في واشنطن حول الانسحاب من سوريا، وحول سياسات ترامب عامة، يظهر أن الموقف الأميركي نفسه غير محسوم حول ترتيبات الوضع في سوريا؛ حيث لا يزال الملف عرضة للمساومات التي أطلقها ترامب منذ إعلان نيّته الانسحاب من سوريا في 19 من ديسمبر من العام الماضي.

تركيا غير مطمئنة من الموقف الأميركي، رغم التنسيق بين الطرفين، وتشكيل "قوّة مهام مشتركة" بين أنقرة وواشنطن لتنسيق الانسحاب الأميركي.

لم تقدم واشنطن لأنقرة سوى تطمينات "كلاميّة" "بضرورة الاستجابة لمخاوف الأتراك الأمنية حول الحدود"، لكن مع تطمينات مماثلة لوحدات حماية الشعب الكردية، بأن واشنطن لن تتخلى عن حمايتها.

بالتوازي مع كلّ ذلك تنسّق تركيا مع الحليف الروسي، حول كيفية ملء الفراغ بعد الانسحاب الأميركي من شرق الفرات، إضافة إلى تنسيقٍ حول ملفّ منبج، وملفّ إدلب الذي بلغ درجة عالية من التنسيق بعد اتفاق المنطقة العازلة في 17 سبتمبر الماضي.

تبحث أنقرة عن تنسيق عال مع موسكو شرق الفرات، يشكّل غطاء يُقوّي موقفها في مفاوضاتها مع واشنطن حول ملف الانسحاب والمنطقة الأمنية؛ لكن موسكو بدورها تتلاعب بالرغبة التركية في تأمين حدودها، وتطرح عودة النظام، وسريان اتفاق أضنة بينه وبين الأتراك لعام 1987.

عودة النظام لا تطمئن تركيا، ليس بسبب موقفها الداعم للمعارضة، ولكن بسبب الهشاشة التي وصل إليها، واعتماده على ميليشيات طائفية، وقوة علاقته مع حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، كما أن التوجه الدولي العام، والأميركي خاصة، هو باتجاه إدانته اقتصاديا، وبالتالي إضعافه أكثر.

روسيا، التي سيّرت دوريات مشتركة مع قوات سوريا الديمقراطية شمال منبج، تصرّ على عودة النظام إليها، مدفوعة بأن الأكراد فيها يشكلون أقلية، وقيادات وحدات حماية الشعب التي تسيطر عليها أتت من كوباني والقامشلي، أما الغالبية العربية فهي قبائل عُرفت بولائها للنظام، ما يجعل موسكو طامحة لضمّها إلى فيلقها الخامس، لتحسين موضعها في السيطرة على جيش النظام ضد التوغل الإيراني. وتركيا غير راغبة بعودة النظام إلى منبج، رغم أنه سيترافق مع طرد قوات سوريا الديمقراطية منها، لأنه سيقوي موقف روسيا الضاغط على تركيا في ملف المنطقة الأمنية.

ملفّ شرقي الفرات أكثر تعقيدا من منبج، بسبب التركيبة الديموغرافية للمنطقة، حيث تتواجد نسبة لا بأس بها من الأكراد المتخوفين من سيطرة فصائل عربية ذات طبيعة إسلامية تدين بالولاء لتركيا، كما هو الحال في عفرين وجرابلس والباب؛ أما المقاتلون العرب، بمن فيهم المشاركون في قوات سوريا الديمقراطية، وكذلك المهاجرون إلى مناطق ريف حلب، فلا يمانعون في سيطرة تركيا، بالضد من ممارسات وحدات حماية الشعب ضد عرب المنطقة.

ضمن هذه التعقيدات وتضارب الأجندات، يتجدّد عرض رئيس تيار الغد السوري المعارض أحمد الجربا لخطة ملء الفراغ، يطرحها على مسؤولين أميركيين وأتراك ورئيس إقليم كردستان العراق السابق مسعود البارزاني، بنشر قوة عسكرية قوامها 10 آلاف مقاتل عربي كردي، في المنطقة الأمنية المزمع إنشاؤها على طول الحدود الشمالية مع تركيا، لفصلها عن وحدات حماية الشعب داخل الأراضي السورية.

6 آلاف مقاتل من قوات "روج" يشاركون في هذه القوة العسكرية، التي تشكّلت في إقليم كردستان العراق في مارس 2012، من أكراد منشقين عن الجيش النظامي وهاربين ومتطوعين، لم يشاركوا في المعارك السورية، وتم تدريبهم من قبل ضبّاط البيشمركة القدامى على حمل السلاح الخفيف والمتوسط، وتم إعدادهم بتوجيه من البارزاني لخدمة المصالح الكردية في حال حدوث فراغ أمني. وباقي القوة العسكرية هي من قوات النخبة العربية التابعة للجربا.

ويراهن الأخير على قبول تركيا هذا العرض، كون قوات "روج" تتبع للبارزاني من جهة، والذي يتعاون مع أنقرة حول ملاحقة عناصر تنظيم حزب العمال الكردستاني في العراق، وتتبع من جهة أخرى للمجلس الوطني الكردي، الذي يشكّل مظلة سياسية لهذه القوات، وتدعمه تركيا ضمن دعمها لتشكيلات المعارضة السورية.

خطة أحمد الجربا، رغم واقعيتها، تواجه تحديات؛ فتركيا مازالت تفضّل انتزاع المنطقة الآمنة بالقوة، وتحشد قواتها لهذا الغرض، وروسيا تريد عودة النظام واتفاقية أضنة، وقوات سوريا الديمقراطية تريد أن تعمل قوات "روج" الكردية والنخبة العربية تحت إمرتها، فيما تتخبط واشنطن في نواياها الغامضة حول ملف المنطقة برمّتها، إضافة إلى تحدي كيفية توزيع هذه القوات على الأرض بالشكل الذي يراعي الحساسيات العربية – الكردية، كشرط أساسي لتحقيق الاستقرار.

«الأمين المساعد في الحروب القذرة» يريد صنع السلام في فنزويلا

عودة إليوت أبرامز.. تأكيد على سعي واشنطن لتغيير نظام نيكولاس مادورو

❑ **واشنطن** – عندما أعلن وزير الخارجية الأميركية مايك بومبيو في أواخر يناير الماضي عن تعيين الدبلوماسي السابق إليوت أبرامز مسؤولا على "مساعدة الشعب الفنزويلي لاستعادة كامل الديمقراطية والازدهار في بلاده"، توقع المراقبون تصعيدا خطيرا في هذا البلد ومعركة كسر عظم بين الرئيس نيكولاس مادورو وزعيم المعارضة خوان غوايدو.

ومنذ انطلاق حملته الداعمة لغوايدو، أكد الرئيس الأميركي دونالد ترامب أن "جميع الخيارات مطروحة على الطاولة" لضمان إزالة حكومة نيكولاس مادورو، حتى أنه تحدث علانية إلى الصحافيين والقادة الأجانب بشأن إطلاق عمل عسكري.

وفي الأسابيع الأخيرة، عزز البيت الأبيض الضغوط والعقوبات ضد نظام مادورو، واعترف بخوان غوايدو كرئيس شرعي للبلاد. لكن لا يوجد دليل أفضل من عودة إليوت أبرامز للتأكيد على التزام الإدارة الأميركية بتغيير النظام في فنزويلا.

وتشهد فنزويلا تصعيدا كبيرا منذ نصّب غوايدو نفسه رئيسا مؤقتا في فنزويلا، في خطوة زاد من تعقيدها انقسام المجتمع الدولي، حيث تدعم الولايات المتحدة وعدد من دول أميركا اللاتينية غوايدو، كما اعترفت ألمانيا و12 دولة أخرى في الاتحاد الأوروبي برئيس البرلمان الفنزويلي الشاب رئيسا انتقاليا شرعيا للبلاد.

وفي المقابل، تدعم روسيا والصين وتركيا المكسيك وبوليفيا ودول أخرى مادورو الذي وصف غوايدو بأنه دمية في يد الإدارة الأميركية التي كشفت عن مخططها في فنزويلا بتعيين أبرامز، المعروف بلقب بـ"السكرتير المساعد للحروب القذرة".

وكتب المحلل الفرنسي أليكس لوسبيتال، في مجلة "لو كلوب" الفرنسية قائلا "لم نتوقع رؤية هذا السياسي البالغ من العمر 71 عاما في أروقة البيت الأبيض. إليوت أبرامز هو مؤيد قوي للدكتاتوريين ومجرمي الحرب، ويشجع أي تدخل أميركي كارثي".

مبعوث للسلام أم للحرب

تورط أبرامز عدة مرات في انقلابات وتدخلات في عدة بلدان، خلال توليه مناصب سياسية في حكومات رونالد ريغان وجورج بوش الابن. وبعد أن غاب اسمه لمدة، جاء به الرئيس الأميركي دونالد ترامب ليكون مبعوثه الخاص إلى فنزويلا لبحث سبل "استعادة الديمقراطية." ويشكك مثل هذا الاختيار في المصير الذي ترغب الولايات المتحدة في تحقيقه لفنزويلا، وفق لوسبيتال.

وسلطت وسائل الإعلام الضوء على تصريح إليوت، الذي أعلن فيه عن عودته، بقوله "من الرائع أنني عدت. إن الأزمة الفنزويلية عميقة وصعبة وخطيرة. أتطلع إلى العمل عليها". وليست هذه محاولة إليوت أبرامز الأولى في أميركا اللاتينية.

وفي ذات السياق أشارت صحيفة واشنطن بوست إلى أن عودة إليوت أبرامز تعني عودة سيطرة المحافظين الجدد على البيت الأبيض، وبالتالي توقع استراتيجيات مشابهة لما حدث في العراق وأفغانستان في التعامل مع التطورات في فنزويلا.

ووفقا للتقارير، تتمثل مهمة أبرامز في مساعدة وزير الخارجية مايك بومبيو في توجيه قضية غوايدو إلى المجتمع الدولي. وتشير واشنطن بوست إلى أنه بالنظر إلى تاريخ أبرامز، يبعث تعيينه برسالة قوية إلى فنزويلا، لذلك يجب على الأميركيين أن يقلقوا من هذه الخطوة. وكتب أستاذ التاريخ براين ديهسلير، مشيرا إلى أن أبرامز عمل سابقا بلا رحمة على تنفيذ أجندته، ولم يترك أي عائق، بما في ذلك الشرعية أو إشراف الكونغرس، يقف أمام أهدافه في أميركا اللاتينية والشرق الأوسط. وقد أثبتت السياسات التي اتبعها كارثيتها. ومن شأن هذا أن يثير أسئلة خطيرة حول خططه (وخطط ترامب) المتعلقة بفنزويلا.

ينتقد لوسبيتال أبرامز قائلا إن هذا المحامي ادعى العمل على تعزيز الديمقراطية في الخارج، في جميع مناصبه، وكذلك في أعماله الخاصة أين يشغل مناصب في إدارة المعهد الديمقراطي الوطني ومشروع القرن الأميركي الجديد. ومع ذلك، سرعان ما أصبح معروفا بسياساته التي غالبا ما كانت غير أخلاقية وغير قانونية.

وفي ذات السياق، يقول أستاذ التاريخ براين ديهسلير، في تقريره بصحيفة واشنطن بوست، إن أبرامز نفسه صوّر كمدافع ومروّج لحقوق الإنسان والديمقراطية. لكنه أيّد مفهوما ضيقا لهذا المجال. فقد كان أكثر اهتماما بالحقوق الفردية والسياسية، على حساب العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية أو الدفاع عن كرامة الإنسان.

وقام أبرامز، خلال توليه وظيفة مساعد وزير الخارجية الأميركي للديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل في عهد ريغان، بتغطية الادعاءات المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان خلال الحرب الأهلية في السلفادور. وقللت الإدارة من أهمية قتل النشطاء والمدنيين الأبرياء بنسبهم إلى الثوار أو المهاجمين "غير المعروفين". وكشف تقرير الأمم المتحدة للحقيقة أن 85 بالمئة على الأقل من جميع جرائم القتل التي تم التحقيق فيها، ارتكبتها قوات الأمن السلفادورية.

كما طهّر أبرامز مذبحة قرية الموزوت، أين قتلت أكثر وحدات النخبة العسكرية في السلفادور ما يقرب من ألف مدني، معظمهم من النساء والأطفال. ونفى أبرامز هذه المجزرة في شهادته أمام الكونغرس. وتقول واشنطن بوست إن المسؤول الأميركي كذّب لتأمين التمويل المستمر للحكومة السلفادورية ولمنع الثوار السلفادوريين (جبهة فارابوندو مارتي للتحرير الوطني)، من الإطاحة بالحكومة وإقامة نظام شيوعي في أميركا الوسطى. فقد اعتبر أبرامز والبيت الأبيض حكومة جبهة فارابوندو مارتي للتحرير الوطني تهديدا للأمن القومي للولايات المتحدة.

دفعت أكاذيب أبرامز إلى تعميق الالتزام الأميركي تجاه الحكومة السلفادورية الذي استمر حتى مذبحة القساوسة اليسوعيين سنة 1989، والتي دفعت الكونغرس إلى التشكيك في دعم الأمة لهذا النظام الوحشي.

سجل في الخداع

قلل أبرامز من شأن خطورة انتهاكات حقوق الإنسان في غواتيمالا المجاورة. وأثناء محاولته إقناع الكونغرس برفع الحظر المفروض على تزويد الجيش الغواتيمالي بالأسلحة الفتاكة، جادل أبرامز بأن البلد قد أحرز "تقدما كبيرا"، تحت قيادة الجنرال إفراين ريوس مونت، في تحسين سجله في مجال حقوق الإنسان.

وامتد سجل أبرامز في الخداع إلى أكبر فضيحة في إدارة ريغان: الجهد المبذول لتزويد حلفاء شبه عسكريين من قوات الكونترا في نيكاراغوا. وحين منع الكونغرس الإدارة من استخدام الأموال الحكومية لدعم الكونترا المعروفة بانتهاكاتها لحقوق الإنسان، ابتكر موظفو البيت الأبيض خطة جديدة، شملت تحويل عائدات مبيعات الأسلحة السرية إلى إيران إلى هذه القوات.

وانتهكت هذه الممارسات تعهّد ريغان بعدم "التفاوض مع الإرهابيين". ورغم أنه من غير الواضح ما إذا كان أبرامز على علم بالمخطط، فإنه أقر بأنه حجب معلومات من الكونغرس، متمثلة في الجهود السرية لمساعدة العصابات المسلحة. ومنع إثر ذلك من ممارسة القانون. وبدلا من أن ينهي الحادث حياته المهنية، عفا جورج دبليو بوش عن أبرامز، ثم منحه مقعدا حكوميا جديدا، مما مكنه من استخدام أموال الصندوق الوطني للديمقراطية، وهو مؤسسة خاصة غير ربحية تم إنشاؤها في ظل إدارة ريجان لتعزيز الديمقراطية.

وأيد أبرامز تدابير لإفشال عملية السلام في أميركا اللاتينية، التي أطلقها رئيس كوستاريكا أوسكار أرياس.

واستخدم أموال الصندوق لإطاحة الجبهة الساندينية للتحرير الوطني في انتخابات نيكاراغوا العامة سنة 1990. فحققت الانتخابات ما لم يحققه عقد من الحرب الاقتصادية والتخريب. وعزز هذا الإجراء من رؤية أبرامز الضيقة للديمقراطية. ومادامت هناك انتخابات، فلا يهم ما إذا كانت عادلة أو خالية من التدخل الأجنبي. وخلال إدارة جورج دبليو بوش، أعاد أبرامز تركيزه على الشرق الأوسط، داعيا إلى تغيير النظام في العراق.

معارض لترامب

تلفت واشنطن بوست إلى أن أبرامز كان معارضا لترامب كمرشح رئاسي، وكتب مقالة بعنوان "عندما لا تستطيع أن تتحمل مرشحك"، قارن فيها ترشح ترامب بحملة جورج ماكغفرن سنة 1972. لكنه سرعان ما غيّر لهجته عندما تبنى ترامب أحد أفكاره المفضلة: السياسة المتشددة تجاه إيران. وعندما تعلق الأمر بفنزويلا، تبنى ترامب الجهود التي طالما دافع عنها أبرامز. وكما حدث في نيكاراغوا، وجهت الملايين من الدولارات إلى المعارضة الفنزويلية في محاولات غير ناجحة لإطاحة بمادورو على مدار عدة انتخابات. كما أيد أبرامز أيضا انقلابا فاشلا ضد سلف مادورو، هوغو تشافيز، في سنة 2002.

ويخلص براين ديهسلير، محذرا الدول والحكومات المؤيدة لغوايدو، قائلا إن مادورو أساء التعامل مع اقتصاد فنزويلا ودمّر البلاد، لكن مع التدقيق في التاريخ، يجب أن "نكون حذرين من دوافع أبرامز وحلفائه، ويجب أن نشعر بالقلق من احتمال حدوث كارثة أخرى في السياسة الخارجية، والتي يمكن أن تكون مدمرة للفنزويليين".

ويضيف أن إزالة مادورو تمثل جزءا من حملة أوسع لمحاولة عكس "المد الزهري" للقادة الإصلاحيين والاشتراكيين المنتخبين في أميركا اللاتينية منذ 11 سبتمبر. ورفضت هذه الحكومات المشاركة في مختلف الأنشطة غير الشرعية التي اعتمدتها إدارة بوش، بما في ذلك التسليم السري للأشخاص، والإيهام بالغرق، وتكثيف الاستجواب وغيرها من أشكال التعذيب المرتكبة في المواقع السوداء. وأثار هذا الرفض غضب المحافظين الجدد مثل أبرامز.

حرب ضد الصين

يسعى المحافظون الجدد إلى وقف الاختراق الاقتصادي الصيني لأميركا اللاتينية. ويريدون العودة إلى أيام الحرب الباردة، عندما كانت واشنطن تستطيع الاعتماد على قادة المنطقة في دعم جدول أعمالها، بغض النظر عن مدى وحشية أنظمتها، أو مدى سوء الظروف التي خلقتها.

وفي فنزويلا، يمكن أن تدفع واشنطن بالأمور خارج نطاق السيطرة.

ولن يتحول الاستياء بالضرورة إلى دعم المعارضة أو تغيير النظام. ولم تضع معارضة فنزويلا جدول أعمال واضح أو حتى رسالة متماسكة بخلاف الإطاحة بمادورو. وعلاوة على ذلك، أغرب الداعمون الرئيسيون للبلاد (روسيا والصين)، عن تأييدهم لمادورو. ويعني هذا أن دعم الانقلاب (أو خلقه) يمكن أن يتسبب في حرب أهلية مريرة، وفوضى في منطقة أخرى من العالم شبيهة بما يعيشه الشرق الأوسط اليوم، ضحية سياسات أبرامز وإدارته.

> أبرامز كان معارضا لدونالد ترامب كمرشح رئاسي، وكتب مقالة بعنوان «عندما لا تستطيع أن تتحمل مرشحك»، قارن فيها ترشح ترامب بحملة جورج ماكغفرن سنة 1972. لكنه سرعان ما غيّر لهجته عندما تبنى ترامب إحدى أفكاره المفضلة: السياسة المتشددة تجاه إيران

ويذهب في ذات التقييم، القيادي في حزب اليسار الألماني، أندري هونكو، مشيرا إلى أنه "من الواضح تماما" أن غوايدو لا يمتلك حاليا سلطة حقيقية في فنزويلا.

وقال هونكو إن "الاعتراف به كرئيس يعتبر عملا غير مسؤول من شأنه مواصلة تصعيد النزاع الخطير بالفعل"، محذرا من خطر اندلاع حرب أهلية أو تدخل عسكري في فنزويلا.

وتأتي تحذيرات هونكو على خلفية تقديم حزب اليسار لتقرير للبرلمان الألماني (بوندستاغ) آثار تساؤلات بشأن شرعية الاعتراف الدولي بزعيم المعارضة خوان غوايدو.

وجاء في التقرير أن هناك "أسبابا قوية للاعتقاد" بأن الاعتراف بغوايدو يعتبر تدخلا في الشؤون الداخلية لفنزويلا.

الإدارة الأميركية على اتصال مباشر بجيش فنزويلا وتحث على الانشقاق

لوك كوهين ومات سبيتالنيك وروبرتا رامبتون

❑ **واشنطن** – أعلن مسؤول كبير في البيت الأبيض أن الولايات المتحدة تجري اتصالات مباشرة مع أفراد في جيش فنزويلا وتحثهم على التخلي عن الرئيس نيكولاس مادورو، كما تجهّز لعقوبات جديدة بهدف زيادة الضغوط عليه.

وأضاف المسؤول في مقابلة مع وكالة رويترز، أن إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب تتوقع المزيد من الانشقاقات في صفوف الجيش الفنزويلي إلا أن عددا قليلا من كبار الضباط أقدم على هذه الخطوة منذ إعلان زعيم المعارضة خوان غوايدو نفسه رئيسا مؤقتا الشهر الماضي. واعترفت الولايات المتحدة والعشرات من الدول بغوايدو رئيسا لفنزويلا.

وقال المسؤول الأسبوع الماضي طالبا عدم ذكر اسمه "نعتقد أنها مجرد قطرة أولى قبل أن نرى الغيث. مازلنا نجري محادثات مع أفراد في نظام مادورو السابق وأفراد في الجيش لكن هذه المحادثات محدودة للغاية".

وامتنع المسؤول عن الإدلاء بتفاصيل عن المناقشات أو مستواها. ولم يتضح ما إذا كانت مثل هذه الاتصالات ستحدث شقوقا في دعم الجيش للزعيم الاشتراكي، وهو دعم محوري لسيطرته على مقاليد السلطة.

وفي ظل استمرار موالاة الجيش لمادورو على ما يبدو، عبّر مصدر في واشنطن مقرب من المعارضة عن شكوكه في ما إذا كانت إدارة ترامب قد أرست ما يكفي من القواعد لإثارة العصيان في صفوف الجيش الذي يشتبه بأن العديد من ضباطه يستفيدون من الفساد وتهريب المخدرات.

وقال إيريك فارنزوورث، نائب رئيس مجلس الأميركيتين، وهو مؤسسة بحثية مقرها واشنطن، إن أفراد قوات الأمن في فنزويلا يخشون أن يستهدفهم مادورو أو يستهدف أسرهم إذا ما انشقوا، لذلك يتعيّن على الولايات المتحدة أن تقدم لهم شيئا يدحض هذه المخاوف.

وأضاف "يعتمد الأمر على ما يقدمونه. هل ستجعل هذه الحوافز الناس يفكرون مرة أخرى في ولائهم للنظام؟".

ويقول غوايدو إن انتخابات مايو 2018 التي فاز من خلالها مادورو بولاية ثانية في الرئاسة كانت صورية واستخدم في 23 يناير بندا دستوريا لإعلان نفسه رئيسا ووعد بإجراء انتخابات حرة ونزيهة.

وقال المسؤول الأميركي إن الحكومة الأميركية تتوقع أيضا أن يفعل الحلفاء الأوروبيون المزيد على الأرجح لمنع مادورو من تحويل أو إخفاء أصول الحكومة خارج البلاد.

وانضمت دول أوروبية كبرى للولايات المتحدة في دعم غوايدو لكنها أحجمت عن العقوبات النفطية والإجراءات المالية واسعة النطاق التي فرضتها واشنطن.

وذكر المسؤول الأميركي أن إدارة ترامب تعد في الوقت نفسه للمزيد من العقوبات المحتملة على فنزويلا. وأوضح أن واشنطن تملك كل الأدوات للضغط على مادورو.

وقال مسؤول أميركي ثان إن الحكومة الأميركية تبحث أيضا عقوبات محتملة على مسؤولين في الجيش والمخابرات في كوبا، إذ تقول إنهم يساعدون مادورو على البقاء في السلطة.

وتقرّب غوايدو لأفراد الجيش بوعود بالعفو والمعاملة القانونية الخاصة إذا تنصلوا من مادورو ولم يمتثلوا لأوامره، كما عززت واشنطن الأسبوع الماضي من احتمالات رفع العقوبات عن ضباط كبار في جيش فنزويلا في حالة اعترافهم بغوايدو.

لكن مادورو مازال يحظى بدعم القيادة العليا للجيش ويظهر حاليا بشكل روتيني في احتفالات مسجلة داخل قواعد عسكرية ومن ورائه ضباط يرددون شعارات مثل "أنصار على الدوام.. لا خونة".

التجسس صار أسهل في عصر الهواتف الذكية

الشركات تعجز عن حماية معلوماتها الحساسة من الموظفين الجواسيس

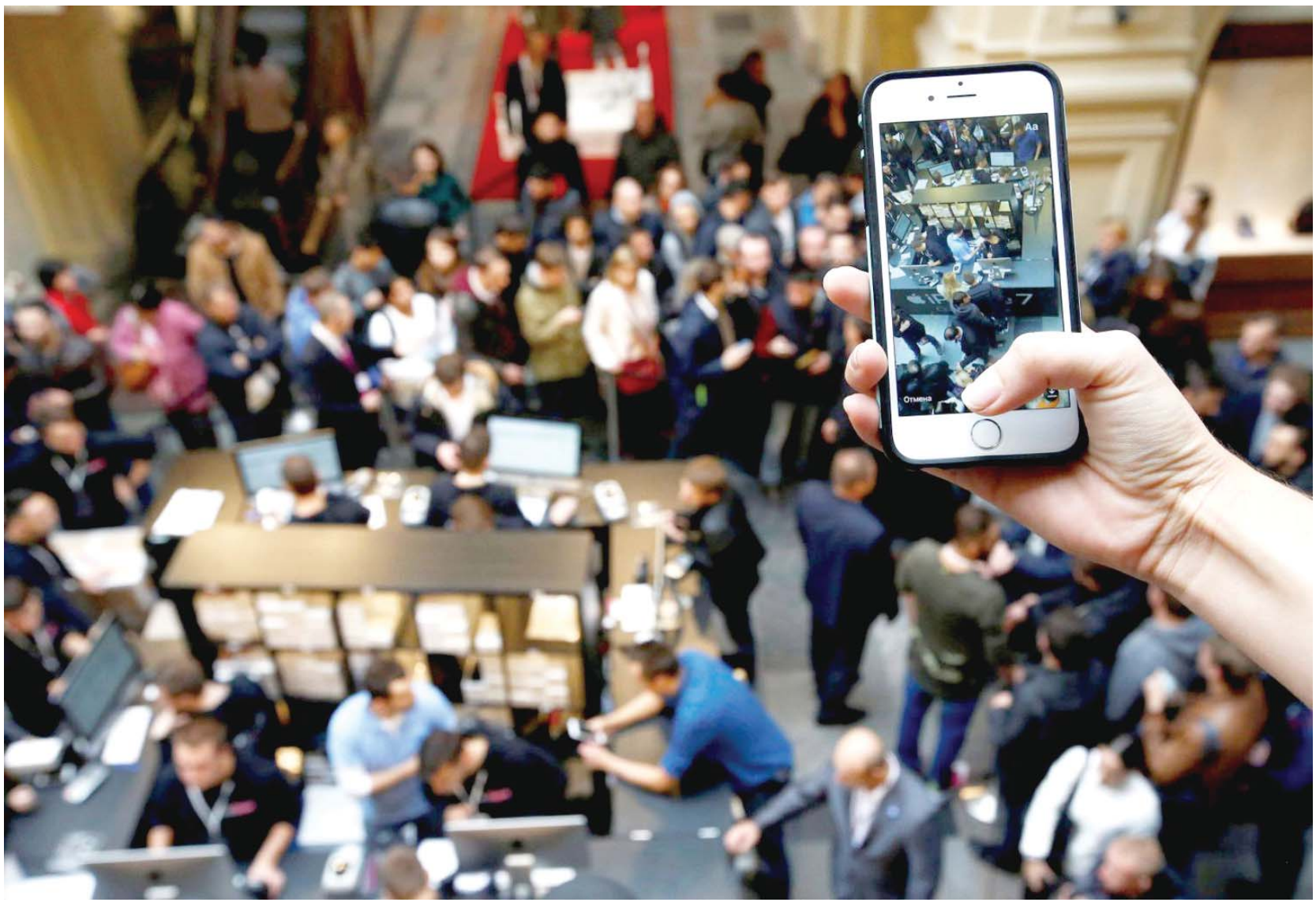

بدلا من كاميرا مهربة، كل موظف يمتلك هاتفا يسهل له تصوير المستندات أو المعلومات الحساسة

❏ **واشنطن** – تعتمد الحرب الباردة بين واشنطن وبكين على التجسس على الشركات الذي يعد أحد أهم وأقوى الأسلحة في هذه الحرب.

تركز هذه الحرب على ضرب مكامن التفوق التكنولوجي واختراق مؤسسات ذات بنية استراتيجية حيوية، مثال ذلك شركة أبل، التي أعلنت مؤخرا عن القبض على مهندس يعمل في برنامج السيارات الأوتوماتيكية التابعة لها، وهو بصدد سرقة أسرارها التجارية لصالح شركات صينية منافسة.

لم يعد مثل هذا الخبر أمرا مستغربا، بل تكاد تنشر يوميا أخبار مماثلة عن جواسيس صينيين في شركات أميركية، لكن اللافت في هذا الخبر، وكما جاء في تحليل سكوت ستيوارت، نائب رئيس قسم التحليلات التكتيكية في مركز ستراتفور للأبحاث الأمنية، أن المعركة بين جواسيس الشركات وإدارات الأمن المعلوماتي فيها أضحت مثل لعبة القط والفأر، حيث يظهر العملاء قدرة على التكيف مع تغير السياسات الأمنية.

ويسلط ستيوارت في تحليل حديث نشره المركز الضوء على تطور التكنولوجيات جمع المعلومات وكيف أصبح التجسس أسهل اليوم، وكيف أصبحت العملية تتم بضغط زر على الموبايل الذي عوّض الجيوب الخفية في عبوات أحمر الشفاه وأعقاب الأحذية المجوفة وكاميرا المعطف والميكروفيلم في الأقلام السرية وغيرها من تقنيات إخفاء الوثائق والمعلومات التي يتحصل عليها الجاسوس والتي يكون من الصعب تحويلها إلى الجهة المطلوبة مثلما هو الحال اليوم.

كان المهندس في شركة أبل تشن جيزشونغ متوجها إلى الصين يوم 22 يناير 2019، عندما قبض عليه عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي.

كانت تهمة تشن، وفقا للشكوى التي رفعت عليه في المحكمة الجنائية الأميركية في ولاية كاليفورنيا، متمثلة في سرقة أسرار تجارية تتعلق ببرنامج السيارات الأوتوماتيكية للشركة التي يعمل بها.

تذكر قضية تشن بقضية مواطنه زهانغ شياولانغ، الذي يعمل أيضا في أبل وألقت السلطات القبض عليه أثناء استعداده للهرب إلى الصين في يوليو 2018.

وفي كلتا الحالتين، كان الرجلان يخططان لبدء العمل مع المنافسين الصينيين لشركة أبل، في سوق السيارات دون سائق. ويشير ستيوارت إلى أن محاكمة المتهمين لا تؤدي بالضرورة إلى تخويف الموظفين من اتباع نفس المسار في المستقبل، إذ تظهر الاختلافات في التكتيكات في الحالتين أن جواسيس الشركات يتعلمون من أخطاء الآخرين الذين اكتشفوا، كما هو الحال مع أي عملية تجسس.

> موظف صيني في شركة أبل قام بتحميل ألفي ملف يحتوي على مخططات حساسة وتفاصيل للتصاميم على كمبيوتره الشخصي المحمول وعلى قرص صلب خارجي. كما تبين أنه التقط المئات من الصور لوثائق حساسة أخرى باستخدام هاتفه المحمول

وتبرز القضيتان الأخيرتان اللتان أعلنت عنهما أبل، أن التجسس التجاري سيبقى يشكل تهديدا كبيرا للشركات، وفي مختلف أنحاء العالم.

وتحمل القضيتان بعض أوجه التشابه اللافتة للنظر، ولكنهما تبرزان بعض الاختلافات المثيرة للاهتمام، وفق تحليل ستيوارت. تقدم القضيتان مثالا على استمرار التهديدات للملكية الفكرية حتى بعد الردع الناجع للسلطات. وتشيران إلى أن الوكلاء سيغيرون في تكتيكاتهم في مواجهة الجهود التي تبذلها إدارات أمن الشركات لتحسين حماية معلوماتها الهامة.

بدأت شركة أبل التحقيق مع شين في 11 يناير 2019، بعد أن أبلغ أحد العاملين بأنه كان يلتقط صورا في منطقة محظورة من قسم السيارات دون سائق في الشركة.

أسلوب قديم لكنه فعال

كشف البحث في الأجهزة الشخصية للمشتبه به أنه قام بتحميل ألفي ملف يحتوي على مخططات حساسة وتفاصيل للتصاميم على كمبيوتره الشخصي المحمول وعلى قرص صلب خارجي.

كما تبين أنه التقط المئات من الصور لوثائق حساسة أخرى باستخدام هاتفه المحمول. من هنا، فصلت شركة أبل تشن على الفور، ومنعته من الدخول إلى منشآت الشركة ومعلوماتها الخاصة. بعد ذلك، اتصلت الشركة بمكتب التحقيقات الفيدرالي.

وقال تشن عند التحقيق معه إنه سجّل الملفات كسياسة تأمين لأنه كان يخشى أن يفقد وظيفته بعد أن وضعه مسؤولو الشركة ضمن خطة لتحسين الأداء في ديسمبر سنة 2018.

مع ذلك، وجد محققون من شركة أبل أدلة على أن المشتبه به كان يخزّن معلومات خاصة، على جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به منذ أن بدأ العمل هناك في يونيو 2018.

وأضاف تشن أنه كان يريد استخدام المعلومات لمساعدته على التقدم لشغل وظائف أخرى في شركة أبل نفسها. لكن، كشف التحقيق أنه تقدم بطلب للحصول على وظيفة ضمن شركة صينية منافسة تخطط لإنتاج السيارات ذاتية القيادة.

وعندما واجه الأمنيون التابعون لشركة أبل تشن، وجدوا حوالي 100 صورة ملتقطة داخل منشأة آمنة للشركة في هاتفه الخلوي الشخصي. ويعدّ مثل هذا الأمر انتهاكا للسياسة الأمنية للشركة.

كما اكتشف تحقيق لاحق احتواء كومبيوتره المحمول على المئات من الصور الأخرى التي تتضمن معلومات حساسة قام بتصويرها من شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص به.

ومن غير الواضح ما إذا كان تشن قام بتنزيل الصور مباشرة من الهاتف إلى الكمبيوتر باستخدام ناقل بيانات يو.أس.بي، أو أرسل الصور من مكتبه عبر البريد الإلكتروني أو عبر تطبيق التخزين السحابي (CLOUD STORAGE) قبل حذف الصور الأصلية من هاتفه.

ويسمح للموظف استخدام هذه الطريقة الأخيرة لإرسال صور فوتوغرافية إلى خارج مساحة العمل دون الاحتفاظ بها على هاتفه، مما يقلل من إمكانية إلقاء السلطات القبض عليه والعثور على الصور بحوزته. وفي حالة تشن، يبدو أنه اتبع وسيلة تجسس تقليدية جعلته يبقي الصور على حاسوبه الشخصي. ونتيجة لذلك، ستقدم هذه الصور الآن كأدلة ضده في المحكمة.

من أحمر الشفاه إلى الهواتف الذكية

أحد أكبر الاختلافات في القضيتين هو أن زهانغ نجح في تنزيل أكثر من 20 جيغابايت من المواصفات الفنية وغيرها من البيانات الخاصة من قواعد بيانات أبل السرية. ثم قام في ما بعد بنقل البيانات دون إذن إلى جهاز كمبيوتر زوجته قبل استقالته من الشركة بوقت قصير.

كما أظهرت مراجعات سجلات كاميرات المراقبة أنه أزال عددا من الأجهزة المتنوعة من مختبره. وعلى النقيض من ذلك، تم اتهام تشن باستخدام قرص صلب خارجي لعمل نسخة كاملة من محتويات الكمبيوتر المحمول الخاص به.

ووفقا للشكوى المقدمة ضد تشن، تستخدم شركة أبل برمجيات لتقييد الدخول إلى قواعد بياناتها المحدودة (على الأرجح تلك التي قام زهانغ بنسخها)، بالإضافة إلى مراقبة من يقوم برؤيتها. وتطرقت أبل إلى سياسات أمنية أكثر صرامة نتيجة لما فعل زهانغ، فقد أصبحت الشركة أكثر يقظة بعد الكشف عن نجاحه في تنزيل البيانات المحمية.

ويرجع التقاط تشن، الذي كان يتمتع بإمكانية الدخول إلى بعض قواعد البيانات المحمية بفضل مسؤولياته الوظيفية، للصور والمعلومات المعروضة على شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص به باستخدام هاتفه الذكي، إمّا إلى عدم قدرته على تنزيل البيانات الضرورية، وإما إلى أنه كان يخاف القيام بذلك بسبب الضوابط الداخلية الحازمة.

وفي النهاية، حدّت التغييرات التي طرأت على إجراءات أمن الشركة في أعقاب قضية زهانغ من قدرة تشن على الوصول إلى المعلومات، مما أجبره على اللجوء إلى التكنولوجيا المتدنية في التقاط صور للبيانات المعروضة على شاشة الكمبيوتر الخاصة به.

ويعد التقاط صور الوثائق الحساسة في مكان العمل عبر كاميرا أسلوب تجسس قديم. فقد استخدمت أجيال من العملاء المعينين من قبل وكالات الاستخبارات في كل من الشرق والغرب، كاميرات مصغرة هربوها إلى أماكن عملهم لالتقاط صور للوثائق السرية، ولم يكن ذلك سوى نصف المعركة. ففي مثل هذه العمليات، اضطر العملاء إلى تهريب فيلم الصور من مكان العمل إلى الخارج بطرق ذكية ومتنوعة، تراوحت من الجيوب الخفية في أنابيب أحمر الشفاه إلى أعقاب الأحذية المجوفة.

لكن القصة تختلف اليوم. فبدلا من كاميرا مهربة، يمتلك كل موظف (مثل أي شخص آخر) هاتفا ذكيا يمكّنه من تصوير المستندات الحساسة أو المعدات أو المعلومات الحساسة على شاشة الكمبيوتر.

وبالفعل، وبسبب تهديد التجسس الواضح الذي تشكله الهواتف الذكية، فإن العديد من المكاتب الحكومية تطلب من الموظفين الاستظهار بهواتفهم المحمولة عند الباب. كما تبنّت العديد من المؤسسات التي تتعامل مع المعلومات الحكومية الحساسة هذه السياسة، في حين تفكر الشركات، التي تتخصص في البحث والتطوير في مجال الأعمال الهامة أو غيرها من الملكية الفكرية الحساسة، في القيام بنفس الشيء.

تكتيكات جديدة

حتى الآن، لم تظهر معلومات مفصّلة عن علاقة تشن مع شركة السيارات الصينية. ومن غير الواضح ما إذا كانت هذه العلاقة قد بدأت قبل توليه منصبه في أبل أو بعد ديسمبر 2018 فقط، عندما بدأ يشعر بالتهديد بسبب خطة تحسين الأداء.

سكوت ستيوارت

> جواسيس الشركات يتعلمون من أخطاء الآخرين الذين كشفوا ويتكيفون مع التغييرات في السياسة الأمنية لذلك على الشركات أن تتوخى الحذر دائما

ومن غير الواضح ما إذا كان قد تلقى أي تعليمات من الشركة الصينية حول كيفية الحصول على معلومات، أو توجيهات حول نوعية المعلومات التي يجب الحصول عليها. كما يطرح جمعه لمعلومات حساسة منذ بداية توظيفه احتمال أنه قد انظم إلى الشركة كجاسوس. إذا كان تشن قد تلقى تعليمات، فإنه كان سيرسل الصور إلى جهة اتصال محددة بدلا من الاحتفاظ بهذه الأدلة.

تبنّى تشن تكتيكات جديدة كنتيجة لقضية زهانغ، وسيطور جواسيس الشركات في المستقبل أسلوب عملهم لتجنب أخطاء تشن.

وتبرز قضية تشن مدى استمرارية تهديد التجسس في الشركات التي تقوم بتطوير التقنيات أو غيرها من الملكية الفكرية التي تهم المنافسين. ويرى ستيوارت أنه على هذه الشركات أن تتوخى الحذر دائما، حتى لو تمكنت من القبض على جاسوس أو اثنين من ضمن موظفيها.

أبل تتصدى لتجسس التطبيقات على مستخدميها

❏ **سان فرانسيسكو** – طلبت شركة أبل من مطوّري التطبيقات الكف عن استخدام أنظمة تسجل أنشطة مستخدمي آيفون من دون علمهم تحت طائلة سحبها من متجرها الإلكتروني، وفق ما أفاد موقع "تك كرنش" المتخصص في أخبار التكنولوجيا.

وأشارت أبل في بيان أوردته المجلة إلى أن شروط الاستخدام في متجر التطبيقات التابع للمجموعة "تفرض على التطبيقات أن تطلب من المستخدمين الإذن وتبلّغهم بطريقة واضحة وظاهرة عن أي تسجيل أو تحميل أو حفظ بطريقة أو بأخرى لأنشطة المستخدم". وأضافت المجموعة الأميركية العملاقة أنه في حال لم يكف المطوّرون عن هذه الممارسات أو لم يعلموا المستخدمين بها، ستعمد أبل إلى سحب تطبيقاتهم من متجرها الإلكتروني.

ولفت موقع تك كرنش إلى أن بعض التطبيقات تسجل أنشطة مستخدميها من دون علمهم ولا إذنهم، من بينها إكسبيديا لحجوزات السفر والفنادق أو هوليستر للملابس.

وأضاف الموقع "حتى لو أن البيانات الحساسة عادة ما تكون محجوبة، فقد سُرب بعضها مثل أرقام جوازات السفر أو البطاقات المصرفية".

وبشكل ملموس، تستخدم هذه التطبيقات نظاما معلوماتيا طورته شركة غلاسبوكس المتخصصة بتسجيل نشاط المستخدم.

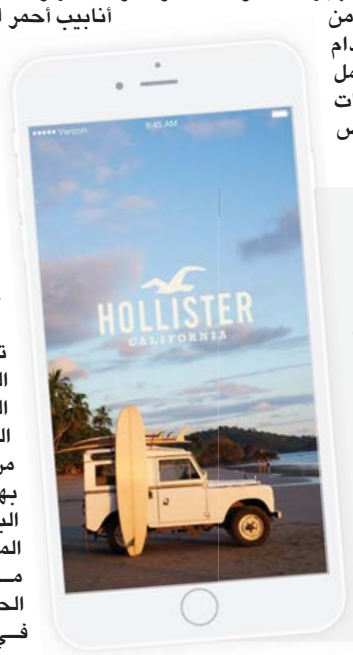

أول وزيرة داخلية عربية تؤمن بأن السياسة لا تخلق إلا الأزمات

ريا الحسن

هل تنجح في فك ألغاز الأمن في لبنان؟

● رئيس الحكومة اللبنانية يصدم الجميع بإبقائه ورقة الحسن في جيبه حتى آخر لحظة، باستثناء حلقة ضيقة جدا من المقربين. "في الصورة الحريري والحسن أمام ضريح رفيق الحريري".

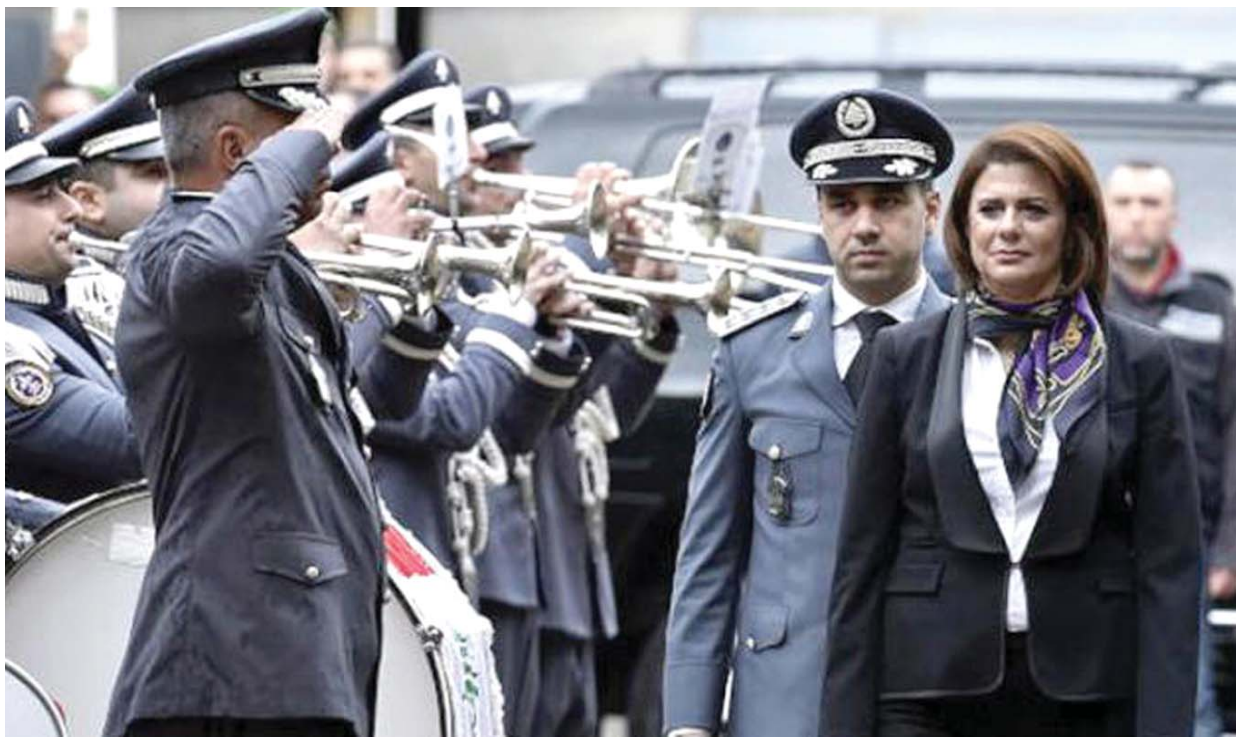

● اللبنانيون يتساءلون عن مدى قدرة ريا الحسن على فرض هيبتها على "رجال" سيجتمعون برئاستها في مجلس الأمن المركزي كقائد الجيش ومدير عام قوى الأمن الداخلي والأمن العام وأمن الدولة والمحافظين.

صلاح تقي الدين

❑ بعد تسعة أشهر من "الحمل" غير الطبيعي نتيجة المناكفات التي بدت في بعض الأحيان مصطنعة بين مختلف الأحزاب والقوى السياسية اللبنانية، ونتيجة لتشبّث وزير الخارجية جبران باسيل وتياره الوطني الحر بورقة "الثلث الضامن" تارة، وتارة بانتقائية للحقائب "الدسمة" وتدخله غير المبرّر في الشؤون الداخلية للمذاهب اللبنانية المختلفة، نجح الرئيس سعد الحريري في "استيلاد" حكومته الموعودة بطريقة طبيعية، لكنها حملت مفاجأة من العيار الثقيل تمثلت بتسمية ريا الحفار الحسن وزيرة للداخلية والبلديات، وهي سابقة تسجل للمرة الأولى في لبنان والعالم العربي.

إدارة النفوذ

لقد شكل تعيين الحسن في منصبها مفاجأة للحلفاء قبل الخصوم، فقد أبقى الحريري على ورقة الحسن في جيبه ولم تكن على دراية بهذه الورقة سوى حلقة ضيقة جداً من المقربين، بعد أن كان الحديث عن أنّ الاسم الذي سيرث منصب وزير الداخلية والبلديات "المشاكس" نهاد المشنوق كان يدور تارة حول تولي الوزير السابق للاتصالات جمال الجراح هذا المنصب وتارة عضو المكتب السياسي في تيار المستقبل النائب السابق مصطفى علوش.

> الحسن تتمتع بتجربة مهنية حافلة، فقد خضعت سابقا لاختبار إدارة «جيوب» المواطنين عندما تولت حقيبة المالية، وهي تخضع أمامهم اليوم لاختبار إدارة «أمنهم»، ولعلها ستبقى بالتأكيد تحت «المجهر» بانتظار الاستحقاقات الانتخابية البلدية وربما النيابية التي ستتولى إدارتها

الحسن المولودة في العام 1967 حائزة على شهادة في إدارة الأعمال من الجامعة الأميركية في بيروت وعلى شهادة الماجستير في الاختصاص نفسه من جامعة جورج واشنطن الأميركية، متزوجة من الدكتور جناح الحسن، ولديهما ثلاث بنات، وعملت كمساعدة لوزير المال ومنسقة تنفيذ الشؤون المالية في وزارة المالية أثناء توليها من قبل الرئيس فؤاد السنيورة.

وبين العامين 2000 و2003 اختارها الوزير الراحل باسل فليحان لتكون مستشارته في وزارة الاقتصاد والتجارة، قبل أن يعود الرئيس السنيورة لاختيارها كي تكون مسؤولة عن مجموعة من المشاريع المطروحة في رئاسة مجلس الوزراء، حيث عملت على تطوير برنامج الحكومة الاقتصادي والاجتماعي في مؤتمري باريس 2 و3 والمخصص للمساعدات الدولية للبنان.

وبعد هذه الخبرة التي اكتسبتها، عيّنها الرئيس الحريري في العام 2009 وزيرة للمال في أولى الحكومات التي شكلها أثناء عهد الرئيس ميشال سليمان، وقد حققت نجاحاً لافتاً في إدارتها لهذه الحقبة السيادية بموجب "المعايير اللبنانية" للحقائب الوزارية.

عروبية نظيفة الكف

نقل عن مصادر رئيس الحكومة أن الحريري قرر تسمية الحسن للداخلية "لأنه يريد تمكين المرأة، حيث أنها كفاءة كبيرة، وقد أثبتت ذلك في المالية، ولأنها نظيفة الكف وكادر أساسي في محاربة الفساد والزبائنية، ولأنها ملتزمة بالخط السيادي الوطني والعروبي، كما تمثل الشمال خير تمثيل، وتعرف كيف تختار فريق عملها، وتملك الكفاءة والخبرة اللازمة".

لكن الحسن التي نجحت في التعامل مع الأرقام، قد تجد نفسها أمام صعوبة التعامل مع كل ما يتعلق بمفاصل حياة المواطن اللبناني وخصوصاً الأمنية التي قد تبدأ بحادث بسيط ولا تنتهي بعلمية اغتيال تعرّض البلد بأكمله لهزّة لا يمكنه تحملها خصوصاً في ظل الأوضاع الصعبة التي يعيشها اقتصادياً، مالياً وسياسياً خصوصاً بعد اضطراره إلى استقبال ما يزيد عن مليون ونصف مليون نازح سوري فروا من بلدهم هرباً من الحرب الأهلية التي يعانون منها منذ العام 2011.

لكن وزير الداخلية السابق المحامي زياد بارود، الذي اعتبر أن الخوف من تعيين الحسن غير منطقي، أشار إلى أن أمام وزيرة الداخلية الجديدة "مهمة صعبة، لكن الحسن قدها وقدود" كما قال.

وأضاف بارود أنه "لا يجب أن نميّز بين رجل وسيدة إلا من حيث الكفاءة، والحسن مشهود لها بجديتها في العمل منذ توليها حقيبة المالية في 2009، خصوصاً أنها سيدة مثقفة ومدركة للمهام الملقاة على عاتقها، وبالطبع فإن الرئيس الحريري لن يتركها وحدها، وهناك فريق عمل متكامل سيشارك الحسن في تولي مسؤولية أمن المواطنين"، معتبرا أن توزير الحسن "ضربة موفقة للحريري". أما العميد مروان شربل، وزير الداخلية الأسبق فقد أشاد بخبرة الحسن في إدارة الأمور، فهي "قوية وفي المكان المناسب، واختيارها لهذا الموقع الحساس أعطى أملا كبيرا للعديد من الضبّاط السيدات لتولّي هذه المسؤولية في السنوات المقبلة".

سجلّ الحسن حافل بإدارة الملفات، وهي تعلم من خلال خبرتها في المالية كيفية إدارة الأمور، خصوصاً وأن لها خلفية سياسية. وكانت قد قالت بعد عام من توليها وزارة المالية، إنها لا يمكن أن تغفل كونها امرأة في موقع وزيرة، مضيفة أن "المسؤولية ملقاة على عاتقي لتغيير الصورة النمطية للمرأة في مجتمعنا، إضافة إلى مسؤولياتي ومهمّاتي الوزارية التي يفرضها عليّ منصبي". ولكن رغم كل ذلك فإن الأمور ليست سهلة.

تعيين امرأة لأول مرة في منصب وزيرة داخلية في لبنان والعالم العربي، لم يمر من دون "تهكّم" بعض اللبنانيين الذين راحوا يتندّرون على صفحات التواصل الاجتماعي حول مدى قدرة الحسن على فرض هيبتها في مركزها على "رجال" سيجتمعون برئاستها في مجلس الأمن المركزي كقائد الجيش ومدير عام قوى الأمن الداخلي والأمن العام وأمن الدولة والمحافظين، وعما إذا كانوا سيؤدون لها التحية العسكرية اللازمة والمرفقة مع كلمة "احترامي".

سيدة الإصغاء والحواجز الأمنية

وعشية تسلّمها وزارة الداخلية من سلفها الوزير نهاد المشنوق، طلبت الحسن إزالة المكعبات الإسمنتية التي تحيط بمقر الوزارة في منطقة الصنائع والتي حوّلت المنطقة إلى ما يشبه الثكنة العسكرية وتسببت بازدحام مروري عانى منه المواطنون كثيراً، وقد تم تنفيذ ذلك بالفعل.

ولاقى أول "قرار" تتخذه الحسن قبولا شعبيا وسياسياً، فقد غرّد عضو اللقاء الديمقراطي النائب فيصل الصايغ عبر موقع تويتر، منوّهاً بخطوة وزيرة الداخلية وقال "نهنّئ معالي الوزيرة ريا الحسن على خطوتها الحضارية هذا الصباح بإزالة الحواجز الإسمنتية من أمام وزارة الداخلية وفتح المداخل للناس"، مضيفا أن "المواطن اللبناني يشعر بالأمان أكثر حين يرى المسؤولين مطمئنين لأمنهم. وعلى أمل أن نرى تواضعا مماثلا لمواكب الوزراء والنواب".

معروف عن الحسن شَغفها بالاستماع، وكلامها "المُقِل لكن المُفيد". وهي صاحبة مقولة لافتة أَطلقتها بعد تعيينها وزيرة للمالية في العام 2009، حيث صرّحت في حينها أنّ "الحديث في السياسة لا يقود إلى أيّ مكان. المواطنون ينتظرون إقرارَ الموازنات والتوصّل إلى حلول للأزمات، بينما تقوم وظيفة السياسة على خلق الأزمات".

وخلال حفل التسلّم والتسليم بين المشنوق والحسن، اعتبرت وزيرة الداخلية أنها تتسلّم تحديّ وزارة تنفيذ القانون وخدمة المواطن. وأضافت أن "التحدي أن أكون على قدر المهمة التي أوكلني إياها الرئيس الحريري الذي وضع ثقته بي وحمّلني مسؤولية كبيرة. التحدي لأنني أتسلم المسؤولية من سلف ترك بصمة كبيرة في الوزارة وأنجز الكثير خصوصا في موضوع تكريس الأمن والانتخابات النيابية. من هذا المنطلق، ولأنني من تيار سياسي أؤمن بأن الحكم استمرارية، سأنطلق من الملفات التي بدأ بها الوزير، وسأسعى لأن تكون لي فيها بصمة خاصة أيضا".

> سجل الحسن حافل بإدارة الملفات الحساسة، وهي تدرك جيداً من خلال عملها السابق ضرورة التحكم بالأمور، خصوصا وأنها ذات خلفية سياسية، وهي التي قالت بعد عام من توليها وزارة المالية، إنها لا يمكن أن تغفل كونها امرأة في موقع وزيرة، مضيفة إن «المسؤولية ملقاة على عاتقي لتغيير الصورة النمطية للمرأة في مجتمعنا»

وكانت الحسن أثناء استقبالها أمام مبنى الوزارة قد استعرضت ثلة من قوى الأمن الداخلي على وقع موسيقى خاصة عزفتها موسيقى قوى الأمن، فكانت كمن تلقى تدريبات على كيفية استعراض حرس الشرف وكيفية إلقاء التحية أمام العلم ومصافحة الضابط قائد الحرس. وهي بكل تأكيد "نفّذت" التعليمات التي أعطيت لها في هذا الإطار بالشكل الجيد والمطلوب.

وأراد المشنوق قبل توديعه مبنى الوزارة الذي شغله منذ حكومة الرئيس تمام سلام في العام 2014، أن يزوّد الحسن بـ"خميرة" تبدأ به عملها في الداخلية، فأعلن أنه "نفّذ أوامر الحسن بإزالة المكعبات الإسمنتية" في إشارة واضحة إلى أن وزير الداخلية "يأمر ويموّن" رجلا كان أم امرأة.

لقد خضعت الحسن سابقا إلى اختبار إدارة "جيوب" اللبنانيين عندما تولت حقيبة المالية، وهي تخضع أمامهم اليوم إلى اختبار إدارة "أمنهم"، ولعل ما ينتظرها على هذا الصعيد قد يبدو "أمنا" بعد تراجع التهديدات الأمنية الداخلية وانحسار التحركات الإرهابية التي قضّت مضاجع اللبنانيين منذ انطلاق ثورة الشعب السوري، لكنها ستبقى بالتأكيد تحت "المجهر" بانتظار الاستحقاقات الانتخابية البلدية وربما النيابية التي ستتولى إدارتها إذا طال عمر الحكومة كما هو متوقع.

فلسطينه ستبقى نضرة

نبيل عناني

من صمت الأيقونة إلى حقول الزيتون

فاروق يوسف

❏ أن تكون فلسطينيا. ذلك وحده اختبار وجودي ثقيل الوطأة.

لقد كُتب على الفلسطيني أن يكون حارسا لا ينام لهويته. مقيما في جمالها. حيث يقع جزء من مفردات ذاكرته. معجمه الذي هو أشبه بكتاب مقدس. كانت جبهات الفلسطيني تقع حيث تطأ قدماه الأرض. لذلك فإن كل ما يفعله يمكن اعتباره نوعا من القتال. بالنسبة للرسامين كان ذلك الكدح اختبارا مزدوجا. فما بين القضية الإنسانية ذات الطابع السياسي وبين الفن باعتباره قضية غالبا ما تحدث فجوات يصعب على الموجوعين ردمها.

معنى أن تكون رساما فلسطينيا

ذلك ما نجح فيه نبيل عناني حين لجأ إلى رسم حقول الزيتون بأسلوبه الشخصي بعد أن اصطدم بجدار اللغة الفنية الميتة التي تعبر عن القضية بطريقة جاهزة يغلب عليها طابع المباشرة.

يومها عثر على فلسطينه التي لن تخذله جماليا.

تلك هي لقيته التي استخرجها من أحلامه ليعود بها بعد طواف بين ممالك وعصور، قُدر له أن يلتقط منها أدوات فكرية وفنية تعينه على فهم فلسطينه بطريقته الخاصة.

> موهبة عناني تمتد إلى النحت الذي يمارسه إلى جانب الرسم. ولقد أتيحت له الفرصة لإقامة عدد من الأنصاب والجداريات النحتية في الخليل والبيرة ورام الله

وإذ ينتمي عناني إلى جيل الحداثة الفنية الثاني في الفن الفلسطيني المعاصر فإن ذلك أهله لكي يلقي نظرة نقدية منصفة ومعتدلة على إنجازات الجيل الأول الذي تزعمه إسماعيل شموط.

ساعدته تلك النظرة على أن يفك ارتباطه بما هو سياسي على مستوى الممارسة الفنية. فحين حرر رسومه من الأحداث المباشرة فإنه تحرر من زمن، يمكن أن يطوي كل شيء تضمنه حين يختفي. يومها صار الزمن المطلق هو ملعبه. وهنا تلعب فكرة الزمن دورا رئيسا في الهوية الفلسطينية التي تقاوم عمليات دفعها إلى الماضي.

رسوم عناني تقترح حاضرا سرمديا وهو زمن لجمال لا يُفنى. حقول الزيتون التي رسمها هي درس في الرسم الخالص. قبلها كانت رسومه أشبه بالحفريات في الذاكرة؛ ذاكرة المكان وذاكرة الإنسان معا. ذلك ما جعله يقف في مقدمة الرسامين الذين رسموا الموروث الشعبي بكل مفرداته بأسلوب يهب الوثيقة طابعا جماليا.

يوميات مهددة بالزوال

غير أن عناني الفنان كان في حقيقته في مكان آخر؛ هناك حيث كان ينهمك في نسج هويته الفنية التي تتماهى مع هويته الوطنية من غير أن تُمحى تحت طائلة خطاب سياسي، لا أحد في إمكانه أن يضمن بقاءه. من خلال رسومه وهب عناني معنى جديدا لمفهوم أن يكون المرء رساما فلسطينيا.

ولد نبيل عناني عام 1943 في بلدة حلول بالخليل. تخرج في كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية عام 1969. حصل عام 1998 على درجة الماجستير من قسم الآثار الإسلامية بجامعة القدس. قبلها بسنة نال جائزة الدولة للفن التشكيلي الفلسطيني. منذ عام 1988 وهو عضو في جماعة التجريب والإبداع بالقدس.

أقام أول معرض شخصي له عام 1972 في قاعة جمعية الشبان المسيحيين بالقدس. بعده أقام أكثر من عشرة معارض توزعت بين مدن فلسطين. كم عُرف الفنان باهتمامه بالحرف اليدوية حيث عمل عام 1985 ضمن فريق لتطوير تلك الحرف بجامعة بيرزيت.

امتدت موهبة عناني إلى النحت الذي صار يمارسه إلى جانب الرسم. ولقد أتيحت له الفرصة لإقامة عدد من الأنصاب والجداريات النحتية في الخليل والبيرة ورام الله.

يعمل الفنان مدرسا في قسم الفنون بجامعة القدس.

يقول عناني "لقد تأثرت في بداية حياتي الفنية بالفن المصري الحديث، إلا أنه بعد تخرجي بدأت أشعر بغربة الأسلوب، وأني في حاجة ماسة إلى التعمق واستيعاب البيئة الفلسطينية والإنسان الفلسطيني. وبالفعل استطعت أن أشق طريقي عن طريق الانخراط في البيئة والقرية الفلسطينية وبلورة أسلوب مميز من خلال توظيف بعض الرموز الفلسطينية التي تظهر في التطريز".

ذلك وصف بليغ لأسلوبه الفني يوم كان يشعر بضرورة أن يعيش فنه حالة تماس مباشر مع الحياة اليومية الفلسطينية المهددة بالاقتلاع. أسلوب يعبر عن الشعور بالواجب الذي يفرضه ظرف تاريخي عصيب. كانت فكرة أن يكون الفنان ابن مجتمعه وحارس قضيته هي الغالبة. لذلك تميزت رسوم عناني في بداياته بالمباشرة والتبسيط. وهو ما كان غالبا على رسوم معظم أبناء جيله وبالأخص ممن كانوا يقيمون داخل الأرض المحتلة. كان الفن محاولة للبقاء والصمود والمقاومة. في طفولته صنع دروبا لمدينة متخيلة كان يقود فيها عربته التي هي من أسلاك وهي منحوتته الأولى. حين كبر أدرك أن تلك المتاهة كانت نبوءته. صار عليه وهو الفنان أن يخترع دروبا خيالية تصل به إلى وطنه الذي لا يزال يقيم على أرضه المحتلة. كانت تلك الميزة تعزز قوته في الدفاع عن وجوده وتعذبه في الوقت نفسه كونها البوصلة التي تقوده إلى الخارج؛ خارج ذاته المعذبة بجمال لن يقوى على انتظاره حتى ينهي واجبه. فهو يرسم بوحي طفولته التي غادرها من غير أن تغادره وهو يرسم أيضا كما لو أن كل شيء من حوله صار قابلا للزوال.

هنا يكمن سر الأيقونية التي صارت صفة للرسم الفلسطيني. وهي الصفة التي لم تفارق رسوم عناني، حتى بعد أن غادر المباشرة إلى غير رجعة. وكما أرى فإن الحنين إلى شيء ما مفقود هو الذي يدفعه، باعتباره رساما فلسطينيا، إلى النظر إلى كائناته وأشيائه بطريقة أيقونية.

ذلك الشيء المفقود

لم يكن عناني سعيدا بأيقونية رسومه. غير أنها كانت الوسيلة الوحيدة الممكنة التي وجدها مناسبة لصيحته الجريحة التي حين اختلى بها في ما بعد وجدها قريبة من صيحة النرويجي ادفارد مونخ فاختار أن يكون تعبيريا.

أما حين استفاق من حلمه الطويل فعاد إلى الطبيعة فقد اكتشف موهبة أن يكون ابن الأرض التي تسمى فلسطين من غير أن يقلق رسومه بالصراخ. ففي رسومه التي خصصها لـ"حقول الزيتون" كان قريبا من البريطاني ديفيد هوكني حين عاد إلى الطبيعة.

"الإنسان والأرض" كان عنوان المعرض الذي أقامه في منزله. في ذلك المعرض لم يعد الفنان شقيا برمزية مفرداته. كان نضاله الحقيقي يتحقق من خلال كدح جمالي، طرفا معادلته الإنسان والأرض. وهما محورا نظريته الجمالية التي صار ينظر إليها باعتبارها قضيته.

لا نهاية للوصف في رسوم عناني بالرغم من أن الفنان سعى في رسومه المتأخرة إلى أن يختزل علاقته بالواقع من خلال إشارات يغلب عليها طابع الترف الجمالي، غير أن الطابع الحكائي هو ما لا يمكنه الفرار منه. ذلك لأن الحكاية الفلسطينية ممكنة مع ظهور أصغر المفردات التي يمكن أن تختزل قارة من كلام.

فإذا كان عناني قد تخلى عن الشعارات القديمة التي كانت تأسر الفن في القضية السياسية المباشرة، فإنه إنسانيا لا يزال يقف أمام اللحظة التي تشكل فيها فلسطين محور الجمال الذي يحاول الآخرون العبث بذاكرته.

عناني لا يحلم رسومه ليتذكر بل أن رسومه هي التي تفاجئه بذاكرته التي صارت مفرداتها تتسلل إلى رسومه بخفة ودعة كما لو أنها تسعى إلى إعادته إلى ذلك الشيء المفقود.

"لقد وجدته" لن يقولها عناني. ذلك الشيء المفقود هو أشبه بالضوء الذي يستدعيه في الأفق. غير أن رسومه تصنع أملا غامضا يذكر بصيحة مونخ التي نقلت الواقع إلى الخيال.

في المشاهد الطبيعية التي يرسمها عناني تحضر فلسطين بنضارة، تعجز الشعارات عن الوصول إلى ربيعها.

> نبيل عناني يلجأ إلى رسم حقول الزيتون بأسلوبه الشخصي بعد أن اصطدم بجدار اللغة الفنية الميتة التي تعبر عن القضية بطريقة جاهزة يغلب عليها طابع المباشرة

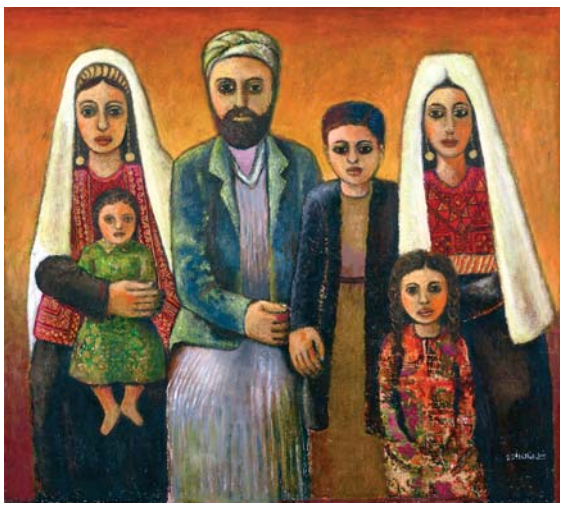

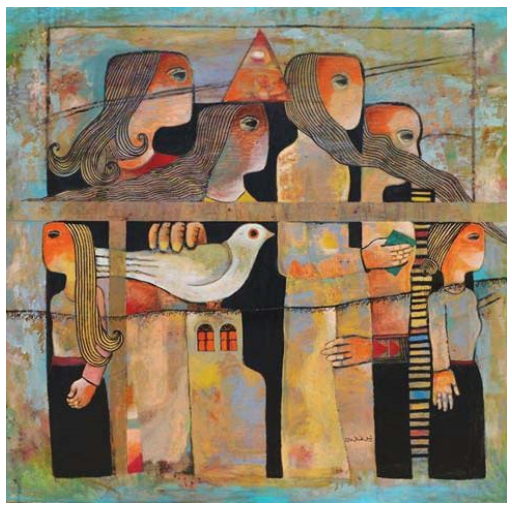

تدجين الناس

فلسفة التطويع والإخضاع

حسن العاصي
كاتب وباحث من فلسطين

❏ تمكنت الأنظمة العربية عبر العقود التي أمضتها جاثمة فوق تطلعات الناس، من ترويض الشعوب وتخليصها من العنفوان الذي كان يميزها، وتحويلها إلى مجموعات من القطعان والطوائف والملل والمذاهب والأعراق، أقوام ضعيفة وخاضعة وصاغرة، مذعنة ومستسلمة لمصيرها، وعاجزة غير قادرة لا على تغيير واقعها ولا حتى على تحريكه. سياسة التهجين التي اعتمدتها النظم العربية تواصلت عبر عقود متتالية، وأدت إلى محصلة مرعبة في الواقع العربي، حيث تجلت في المستويات المفزعة لمعدلات الفقر والأمية والتخلف الحضاري، وانتشار الجهل وشيوع القهر والاستبداد، وتفتت النسيج الاجتماعي، وظهور النزعات المذهبية والعرقية.

من الإنجازات العظيمة للأنظمة الشمولية العربية، نجاحها في تحديد آليات واضحة لدى المواطن العربي، للربط الجدلي بين العقاب الصارم الذي لا يرحم أحدا ولا مهرب منه، وبين أية مظاهر تشير إلى الانحراف عن رؤية السلطة، أو أي سلوكيات تمرد أو رد فعل أو أقوال مخالفة من قبل البشر. ونجحت الأنظمة وأدواتها الأمنية في ترسيخ هذا المفهوم في عقول المواطنين، والذي يعني أن أي موقف مخالف سوف يعني الردع وإنزال العقاب، إذن لا بد من الخنوع والانقياد للإفلات من العقاب.

جميع الشعوب العربية تدرك أن بعض الأنظمة العربية قد أتقنت بجدارة فنون الترهيب والتفزيع والوعيد، إذ أصبح الخوف والرهبة هما الصفتان المشتركتان -تقريباً- لجميع هذه الشعوب. الخوف والرعب من الاعتقال التعسفي، الخوف من التعذيب والأذية، الرعب من جدران السجن، الخشية من الفقر والحرمان، الخوف من تالي الأيام. خوف ورعب وصل إلى حدود الشلل والانكفاء، مما أحدث حالة من الاغتراب الداخلي لدى المواطن العربي، فهو لا يشعر بهويته وانتمائه، ولا يشعر بحريته على قول ما يريد، تراه يكنُ البغض للنظام السياسي لكنه لا يجرؤ على الإفصاح، فإن فزعه من العقاب تجعل من إنكاره لنفسه ومواقفه وأقواله تصل إلى الدرجة العليا.

تستخدم الأنظمة العربية سياسات متعددة لإخضاع وترويض شعوبها، من ضمنها ما يعرف بسياسة العصا والجزرة. والجزرة هنا هي الانقياد والتحكم الناعم من خلال استغفال الشعوب بشعارات الحرية والديمقراطية، لكن أداة النظام للحكم تظل دون تغيير، ويظل الاستبداد جوهره. لذلك تعمد النظم العربية على إقامة انتخابات برلمانية ورئاسية وتفاخر بذلك لتغطية ما لا يغطّى من السياسات الأمنية التي تحكم الناس بواسطتها. حرص هذه الأنظمة على المظاهر الخادعة للديمقراطية شبيه بحرص السجّان على طلاء جدران السجن الخارجية بألوان زاهية.

لوحة بسام الإمام

على الصعيد البشري يتم توليد الكثير من المخاوف بذات الأسلوب الذي اعتمده بافلوف، خاصة لدى الأطفال والشباب، من خلال ربط المخاوف المشترط بمثير معين مع التكرار. فإن تم وضع سجين في غرفة مقفلة وتم تعذيبه بصدمات كهربائية على فترات متتالية مسبوقة بصوت ما، أياً كان هذا الصوت، فلنقل إنه صوت الحاكم أو الرئيس، فما يحصل أنه بعد عدد من المرات سوف يستجيب السجين لصوت الحاكم بنفس الطريقة من الخوف والفزع التي كان يستجيب بها للصدمة الكهربائية، حتى لو لم يتعرض لها بالفعل. بعبارة ثانية، إن السجين قد أشرط للاستجابة لمثير محايد.

إن الكثير من المخاوف البشرية يتم توليدها بذات الطريقة السابقة، وهذا ما يفعله -بعض- الحكام والأنظمة العربية لتدجين الشعوب وإخضاعها، وربط سلوكها وموقفها من السلطة باشتراطات تجعل الشعوب ترتعد خوفا كلما رأت صورة القائد أو سمعت صوته، وترسيخ ارتباط الزعيم بالوطن، ارتباط قيام الأنظمة بالتضييق على الحريات والمصلحة العليا للوطن والمجتمع، وهكذا دواليك يتم دفع المواطن العربي نحو دوّامة من الخوف والهواجس والقلق والاضطراب. كل هذا يجري التخطيط له بعناية في غرف سوداء مغلقة، من قبل الأجهزة الأمنية التابعة للحاكم، حيث يتم توظيف علم النفس السلوكي لترويض البشر من قبل متخصصين نفسانيين واجتماعيين وأمنيين.

من دولة الخوف الخلاّق إلى دولة الخوف المصنَّع

أنور اليزيدي
كاتب من تونس

❏ بات من البيّن أن التلازم هو قدر العلاقة بين الدولة والخوف. إنه الغطاء الشرعي لوجودها. بل لا معنى للدولة بانتفاء الخوف. فكان العقد الاجتماعي كالتالي: عليكم أيّها البشر، أفرادا كنتم أو جمعا، أن تتنازلوا للدولة عن كل سلطة تملكونها، فردية كانت أو جمعية، مقابل أن توفر لكم هذه الدولة الأمن والأمان وتدرأ عنكم المخاطر التي عشتم آلاف القرون وأنتم تجابهونها. وبدل أن نقضي عليها، انقسمت، وتكاثرت، وتغلغلت أكثر في مستقبلنا. وازداد قربها من حاضرنا. فلماذا اختارت الدولة الخوف لتقايض به من أجل وجودها؟

قبل أن يحبّ الإنسان أو يكره، خاف. وقبل أن يملك، خاف. وقبل أن يفكرّ، خاف.. خاف مثله مثل الحيوان. لكنه "سرعان" ما فكّر في الخوف، في مصدره وأسبابه. وحين فكّر الإنسان في سبل مجابهة المخاطر التي تهدّد بقاءه، تساءل عن الطبيعة والموت والمستقبل، وتساءل عن ذاته. فكانت الإجابات هي كلّ ما أنتجه الإنسان عبر التاريخ من حروب وفنون وديانات وأساطير ومعمار وفلسفة وعلم.

غير أنّ هذه المخاطر الثلاثة ظلّت مصدرا للخوف بحكم طبيعتها الغامضة. فبعد كل هذه القرون، مازالت الطبيعة والموت والمستقبل والإنسان نفسه موضوعات مجهولة بالنسبة إلى الإنسان، فلا يمكن توقع ما قد تفعله، وبالتالي لا يمكن مجابهتها. فجاءت الدولة واعدة بأنها ستردّ هذه المخاطر وفي أسوأ الحالات ستقلص من خطورتها أو تؤجّلها.

وقع إذن اتفاق يُلزم الفرد والجمع بالتنازل عن سلطاتهم لفائدة الدولة مقابل أن تضمن له/لهم هذه الدولة الأمن والأمان. علينا إذن أن نظلّ خائفين دوما حتى نكون في حاجة دائمة للدولة. كان لزاما عليها أن تحافظ على مبرّر وجودها هذا، بل بات من الضروري تجديده وإنماؤه بالتفريع والاشتقاق والتدوير..

جنون البقر، إنفلوانزا الخنازير، الجهويات، العنصرية، ذبابة النيل، اختفاء البيض من الأسواق، انفجار لغم، هروب المستثمرين، نزول الدّينار، الانتحار، الاغتصاب، خطف الأطفال، الحرب.. ألا تؤدي جميعها الوظيفة نفسها؟ إن إشاعة هذه المخاطر بين الناس لا تؤدي إلاّ إلى الخوف بدرجات متفاوتة أوّلها التململ والانزعاج وليس آخرها الرّعب والهلع..

في تونس مثلا، أليس في إجراء مباريات كرة القدم دون حضور جمهور الفريق المنافس إضمار بل ترسيخ لكون التونسي، يمثل تهديدا للتونسي الآخر؟ ولا أحد يعلم من هو التونسي ومن هو التونسي الآخر؟

في الحقيقة، هذا أسلوب كل الدول حتى المسرفة في الحداثة، سعيا منها إلى الحفاظ على وجودها.

لكن ما يميّز الدول المسرفة في التخلف أن يقتصر دورها على ترويج الخوف ضمانا لبقائها دون إتمام الشرط الثاني لوجودها، وهو تحقيق الأمان من هذه المخاطر سواء أكانت حقيقية أم زائفة. وبما أنّ الدولة قد أخلّت بأحد بنود الاتفاق فإن العقد لاغ. وعليه فإنه لا وجود لدولة..

"سنعيد هيبة الدولة" شعار الانتخابات الأوّل في تونس، الشّعار المنتصر بالأرقام، كان يعني سنعيد لكم الخوف حتى تعيدوا السلطة للدولة/لنا. إنّ ما تسعى له لوبيات عالمية لتدمير مفهوم الدولة نهائيا وإلى الأبد واستبداله بكيانات أقرب إلى كونها عصابات سيتحقق لا بفعل مخططات وتدخلات خارجية بل بجهل من يديرون شؤون الدّول خاصة منها المتخلفة. إنهم يدمّرون مفهوم الدولة من الداخل وهم يظنون أنهم يعيدون إليها "هيبتها" أو لعلّهم يعمدون إلى ذلك.

لقد تراجعت الدولة أو وقع دفعها إلى الوراء لتأخذ الشركات الكبرى مهمة ترويج الخوف بتواطؤ من الدولة أو غصبا عنها، ساعدها في ذلك نظام العولمة. وسلاحها الأول في إنتاج المخاطر ونشر المخاوف هو الإعلام، المرئي خاصة، لسطوة الصورة على مجتمعاتنا الحديثة.

هكذا تحول الخوف من شرط وجود للدولة إلى أداة تضمن بقاءها واستمرارها. فلم نعد نواجه الخوف البشري الطبيعي المتجذّر في الإنسان منذ القدم، ذلك "الخوف الأول" حسب زيجمونت باومان في كتابه "الخوف السائل" الذي يمكن إجماله في خوفنا من المجهول (الموت، الطبيعة، المستقبل، الإنسان).

إننا إزاء خوف مصنَّع، خوف تصنّعه هذه الشركات المتغولة قصد تخويف المستهلك ليُقبل على منتوجاتها دون تردّد: تخوّفنا، عبر ومضات إشهارية، من تقصّف الشعر وتساقطه كي نشتري الشامبو الذي تصنّعه، تخوّفنا من الجراثيم المحيطة بأطفالنا في كل مكان لنستعمل الصابون الذي تصنعه..

وأكثر من ذلك، فهذه الشركات المتوحّشة تصنع اللقاح حتى تقينا من الأمراض وتصنع المضادات الحيوية ومختلف الأدوية حتى تشفينا، إنها تسهر على سلامة أجسادنا وأرواحنا من أمراض هي نفسها من يصنّعها، إمّا بتصنيع المرض بشكل مباشر (الفيروسات) ثم تقدّم لنا اللقاح الحامي منه أو بما تتركه الأدوية من آثار جانبية تستوجب دواء آخر تقدّمه لنا الشركة نفسها الساهرة على حياتنا.

هل تنتحر الإنسانية في وادي السيليكون؟

حميد زناز
كاتب جزائري

❏ لايزال كثيرون يعتبرون حتى الآن أن مشروع العبر-إنسانية أو الـ"ترونزومانزم" الهادف إلى تحسين الإنسان والقضاء على المرض والشيخوخة مجرد طوباوية حالمة رغم تقدم العلوم المذهل القمين بتحويل ذلك الحلم إلى واقع. وآخرون كثر أيضا يندّدون بخطر هذه الثورة الثالثة، الداهم، التي قد تقضي على الإنسانية الحالية واستبدالها بأخرى، هي "ما بعد الإنسانية". وفعلا يرى كثير من العبر-إنسانيين أن ذلك أمر لا ريب فيه وعلى رأسهم الفرنسي صاحب كتاب "موت الموت" لوران ألكسندر الذي يتنبأ بأنه في حدود 2100 أو 2200 سيكون الكثير من الأفراد معدلين جينيا ومحسنين بطرق عديدة. وفي نهاية الأمر سيصبح الإنسان كائنا آخر غير الذي عهدناه إلى الآن إذ سيكون "ما بعد الإنسان" هذا مجهزا بذكاء اصطناعي ذي قدرة خارقة تسمح له بربط دماغه في عالم افتراضي مفرط في واقعيته، عالم من اختياره. ولا يمل الفرنسي الذي يريد أن يموت الموت من الحديث عن ذلك الجسم ما بعد الإنساني الذي لا يمسه المرض ولا تتدهور حالته مع الأيام. جسد وذهن لن يعرفا التعب أبدا. وكل هذا يسمح بحفاظ الفرد على حيويته ونشاطه وشبابه إلى أطول فترة ممكنة كي لا نقول إلى الأبد.

يذهب البعض حتى إلى القول إن هذا التغيير الممارس على الإنسان هو ربما الشرط الوحيد لإنقاذه وضمان بقائه واستمرار نوعه. وبعضهم يعتبر أن "الما بعد إنسانية" ستكون وريثة فلسفة الأنوار التي ستعوض الإنسانوية أو الـ"هومانيزم".

ولكن الإنسانوية هي التعبير عن كرامة وقيمة كل الأفراد، يقول المفكر الفرنسي جوال روزني، وعلى هذا الأساس لا يمكننا سوى أن نكون مرتابين في أن تكون الما بعد-إنسانية إنسانوية إذ تبدو أكثر كسيرورة نخبوية أنانية ونرجسية. وعلى العكس، لا ينبغي أن يركز المستقبل على الفرد بل على ازدهاره في الحياة الجماعية.

فهل يتجه إنسان القرن الحادي والعشرين نحو انتهاك حرمة الطبيعة البشرية كما يعتقد الذين يؤمنون بوجود تلك الطبيعة؟

يجيب الفيلسوف بيار دارو بالسلب إذ لا مجال للخوف من الاستعانة بكل الوسائل التكنولوجية لتحسين الجسد وإصلاحه والإضافة إليه. وبفضل تقدم العلوم والتقنيات ستصبح سطوة الإنسان على الطبيعة لا حدود لها. وهي سطوة بإمكانها أن تغير الإنسان بانتشاله من الحدود التي يتخبط فيها منذ وجوده على سطح الأرض، كالفشل والمرض والألم والموت. وحتى سوء الحظ الوراثي يمكن تصحيحه عن طريق التدخل في الجينات وتعديلها وهو ما تلخصه العبارة العبر-إنسانية الشهيرة "من الحظ إلى الاختيار".

ولكن يحذّر الباحث الأميركي جورج آناس أنه من الممكن اندلاع العنف بين غير المعدلين من البشر والما بعد-إنسانيين مستقبلا. ويتخوف من حدوث "إبادة جينية" ويرى في "الما بعد-إنسانية" سلاح دمار شامل. ولذلك يعتبر جورج آناس وغيره من المفكرين أنه من الواجب اعتبار استنساخ البشر وكل التعديلات الجينية والوراثية "جريمة ضد الإنسانية" وهو السبيل الوحيد الذي يضمن تجنب احتمال ظهور كائنات ما بعد-إنسانية من المحتمل أن تحتقر الإنسانية الأولى وتعتبرها أقل شأنا وقد تقضي عليها نهائيا. وحتما سيعتبر النوع الجديد النوع القديم ككائنات متوحشة قابلة للعبودية. كما ينظر الآخرون إلى المعدلين على أنهم تهديد لهم ويشنون عليهم حروبا استباقية اتقاء لشر قد يأتي منهم.

وما يشغل بال الفيلسوف الأميركي فرنسيس فوكوياما كثيرا خوفه من أن هذا النوع الجديد من الأشخاص المحسنين سيكون سببا في هدم الشرط الأساسي في الديمقراطية الليبرالية، ألا وهو مبدأ المساواة والكرامة إذ قد يشكل هؤلاء المحسنون طبقة تعتبر نفسها أنبل وأذكى وأقوى من الجميع.

وفي كل الحالات يظل احتمال ظهور البيو-إرهاب والإبادة الجماعية واردا والمهندس الجيني متهما.

ينشر المقال بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

ماذا يريد حسن أوريد من مجاراة اللعبي والجابري؟

الكاتب والروائي المغربي يدعو إلى ثورة ثقافية في المغرب

نزل إلى المكتبات المغربية كتاب جديد للكاتب والروائي المغربي حسن أوريد، بعنوان "من أجل ثورة ثقافية بالمغرب". كتاب يأتي في صيغة نداء أطلقه الباحث في العلوم السياسية والناطق الرسمي الأسبق باسم القصر الملكي، ومؤرخ المملكة المغربية، قبل أن يبتعد عن دوائر القرار الرسمي، ليتفرغ لكتابة الأعمال الفكرية والنصوص الروائية خلال السنوات الأخيرة، وهي الأعمال التي تتوج اليوم بإصدار كتاب "من أجل ثورة ثقافية بالمغرب".

مخلص الصغير
كاتب مغربي

❏ يحمل كتاب حسن أوريد معالم "الكتاب الأطروحة"، الذي غالبا ما يحمل برنامجا للإصلاح والتحديث، يدافع عنه المؤلف، ويضعه بمثابة مشروع تنويري، وخارطة طريق من أجل تجاوز الأزمة القائمة، بعد تشخيصها وتحديد مكامنها. ومنذ البداية، يشخص الكاتب الأزمة ويحددها في أزمة التعليم، وهي الأزمة التي شخصها المفكر المغربي محمد عابد الجابري من قبل، في كتاب "أضواء على مشكلة التعليم في المغرب"، مثلما يذكرنا كتاب أوريد بنداء الشاعر والكاتب المغربي عبداللطيف اللعبي، الذي أطلقه في ربيع 2010 بعنوان "من أجل ميثاق وطني للثقافة"، قبل أن يُصدر اللعبي، بعد أربع سنوات من ذلك، كتابا بعنوان "مغرب آخر"، شدد فيه على أن جوهر الأزمة في المغرب إنما يرتبط بقضايا التربية والتعليم. فما الذي يضيفه الكاتب على من سبقه إلى طرح الموضوع؟

المناظرة المغربية

ينطلق حسن أوريد في الباب الأول مما أسماها "أسئلة وجودية"، من قبيل "من نحن؟" و"ماذا نريد؟". وهو يذكرنا، ههنا، بكتاب صامويل هنتغتون "من نحن؟ المناظرة الكبرى حول أميركا". تلك التي دعا فيها الأميركيين إلى استعادة هويتهم، انطلاقا من القيم الدينية والثقافية التي قامت عليها الفكرة الأميركية، معتبرا أن نجاح النموذج السياسي الأميركي لا يكفي أميركا والأميركيين مستقبلا.

كذلك يفعل حسن أوريد، حين يريد الإجابة عن السؤال الأول "من نحن"، في الفصل الأول، وهو يحاول البحث في ما يميز المغاربة عمن سواهم. لا يفضل الباحث الحديث عن الهوية، بل يتحدث عن "الشخصية"، والتي تحيل، حسبه، إلى الثابت لدى أمة من الأمم. هذه الشخصية المغربية تبدو قريبة من "النبوغ المغربي"، كما هو عنوان كتاب عبدالله كنون. وهي "العبقرية المغربية" بلغة أوريد. هذه العبقرية، حسبه، والتي تجد أصولها في اللغة الأمازيغية، القائمة على النحت عوض الاشتقاق، وفي العمران الذي يفضل الحجر على التراب، وفي الهندسة التي تميل إلى الخط بدل المنحني، وفي ذهنية عقلانية غير إشراقية، هي التي أنجبت لنا ابن خلدون وابن رشد والشريف الإدريسي. وهنا، يكون أوريد قد استند إلى أطروحة أخرى مركزية في درس الجابري، والتي يتحدث فيها عن مدرسة عقلانية مغربية، في مقابل مدرسة بيانية مشرقية.

سوى أن حسن أوريد سرعان ما يخفف من هذا "الانحياز المغربي"، منذ الجملة الأولى من الفصل الثاني "ماذا نريد؟"، وهو يقدم إجابة حاسمة متحمسة "نريد أن نكون جزءا من التجربة الكونية، ونستوعب ما انتهت إليه". ويبرر المؤلف هذا الموقف بكون "الحضارة الغربية ليست إلا خلاصة ما انتهت إليه التجربة الإنسانية، وهي تحمل أثر الحضارات التي سبقتها"، ومن ضمن ذلك الاستفادة من الثقافة العربية، ومن عقلانية ابن رشد التي تحدث عنها. ثم إن المؤلف لا ينفي وجود ما هو سلبي في الثقافة الغربية، ومن ذلك نزعة "الغطرسة" والهيمنة التي لا تزال تحدوها، منذ المرحلة الاستعمارية.

وأما ما نريده نحن، بحسب أوريد، فيتمثل في امتلاك بنية ذهنية عصرية، ومن إشاعة مناخ من الحرية، في مقابل الاستبداد. كما لا بد من عدالة اجتماعية، تضمن للمواطنين، من مختلف الطبقات، مبدأ تكافؤ الفرص. كما يدعونا المؤلف إلى واجب التمييز بين "التقاليد وعبادة التقاليد"، على حد قوله. لأنه لا يمكن تصور مجتمع بلا ذاكرة، لكن العودة إلى التراث عنده هي تمثل لروح الماضي، باستحضار صوره، ولا معنى لتلك الصور إن انتفت منها الروح، أو الغاية منها.

لا ثقافة حديثة من دون استدراك للتراث الثقافي للأمة

الثورة الثقافية

الثورة الثقافية، كما يقترحها حسن أوريد، تقتضي، أولا، وجود "طموح جماعي"، على حد توصيفه. ويرى المؤلف أن المدرسة ينبغي أن تكون جسرا نحو هذا الهدف المنشود. ولا يمكن القبول بمدرسة تحمل عيوب المجتمع واختلالاته. لذلك، ينبهنا أوريد إلى ضرورة قيام ذلك الطموح الجماعي، وإلى ضرورة إشاعة "قيم تسري في شرائح المجتمع. فلا يمكن أن نلقن التلاميذ مبادئ نبيلة في الفصل، ويجدون خارجها شيئا آخر قد يتعارض تماما مع ما أخذوه في الفصل".

من هنا، تأتي أطروحة الكتاب المتمثلة في مراجعة منظومة التربية والتعليم من خلال ثورة ثقافية شاملة.

ثقافة جديدة

الحديث عن الثورة الثقافية يقتضي ثورة على الثقافة السائدة نفسها، واعتناق ثقافة جديدة معاصرة وثائرة على المسلمات والأوضاع القائمة. ثقافة منفتحة متحررة تؤمن بالجديد، وتتشبث بروح الإبداع. وهي أيضا ثقافة المسؤولية والجدية، بعبارات الكاتب. وينتصر أوريد للجديد، والحال أننا ننتمي إلى عالم جديد، وأننا "لسنا جزيرة معزولة أو قلعة مغلقة لا ينفذ إليها الهواء ولا الضياء".

وهنا يأخذ المؤلف بشروط هذه الثقافة الجديدة، والمتمثلة في القرية الصغيرة التي شدتها العولمة، وفي الثورة الرقمية، التي يمكن أن نستعين بها في رقمنة التعليم ورقمنة الإنتاج الثقافي وتعميم المعارف بدلا من احتكارها، في ما يمكن أن نسميه "ديمقراطية المعرفة".

وفي حديثه عن هذه الثورة الثقافية، يضع أوريد المغرب في سياق التحولات الإقليمية والدولية، في ارتباط بتداعيات الربيع العربي ومآلاته. وهنا، يدعو المؤلف إلى "تربية مدنية" و"ثقافة مدنية" في ظل مفهوم الدولة المدنية، الذي صعد إلى الواجهة، بعد أحداث الربيع العربي، في مقابل الأنظمة العسكرية والتيوقراطية.

وتقوم هذه الثورة الثقافية على مراعاة الوحدة والتنوع في المجتمع المغربي، على غنى وثراء هوياتها وتعددها، مثلما تستدعي هذه الثورة "تدبير التنوع الثقافي"، وتعميم التعليم، مع الأخذ بما يسميها "مستلزمات الجودة". وضمن هذه الثورة الثقافية، ترد مسألة اللغة باعتبارها إشكالا ثقافيا حاسما. وذلك بسبب تردد المثقف العربي ما بين اللغة العربية واللغات الاستعمارية، من قبيل الإنكليزية في أغلب الدول الشرقية، والفرنسية في المغرب العربي. هذا إلى جانب الأمازيغية، باعتبارها اللغة الأم في الكثير من جغرافيات المغرب والجزائر وليبيا. وهي مصدر من مصادر الهوية التي يمكنها أن تكون رافدا من روافد الشخصية الوطنية، كما يسميها المؤلف.

وإذا كانت العربية تتمتع بوضع اعتباري، وقد ظلت حاضنة لثقافتنا العربية الجمعية، فإنها لا تزال تتمتع بقدرات تواصلية وإمكانيات هائلة في صوغ أسئلتنا وإشكالاتنا العربية المعاصرة.

ويستند الإصلاح الجذري عند أوريد إلى مجموعة من العناصر والمكونات، متمثلة في المتعلم أولا، وفي المدرس، وفي المؤسسة/المدرس، وفي البرنامج، والمنهاج، وفي التدبير الإداري والثقافي، ومن ذلك تدبير الاختلاف الثقافي أيضا.

> يشخص الكاتب الأزمة ويحددها في أزمة التعليم، وهي الأزمة التي شخصها المفكر المغربي محمد عابد الجابري من قبل، في كتاب «أضواء على مشكلة التعليم في المغرب»، مثلما يذكرنا كتاب أوريد بنداء الشاعر والكاتب المغربي عبداللطيف اللعبي، الذي أطلقه في ربيع 2010 بعنوان «من أجل ميثاق وطني للثقافة»

هكذا، لا يتوقف الأمر، حسب أوريد، في تدبير الاختلالات التدبيرية للسياسات القائمة، بل لا بد من تدبير أمثل للاختلافات الثقافية، أيضا، والانغمار في التجربة الإنسانية الكونية، وهو ما لن يتحقق دون ثورة ثقافية شاملة.

أما الجواب عن السؤال: ما الجديد في كتاب أوريد، فهو، بلا شك، متروك لمن سيقرأ الكتاب.

رف الكتب

فلسفة العنف

❏ برغم دروس التاريخ، لا تزال بعض الأرواح عديمة القيمة في نظر من يرديها قتيلة دون خوف من العقاب، كما يحدث في أماكن كثيرة من العالم. ما دفع أناسا كثيرين على التسلح والتدرب للدفاع عن النفس. وهو موضوع كتاب "دفاعا عن النفس" لإلسا دورلان أستاذة الفلسفة بجامعة باريس 8، تقصت فيه جينالوجيا فلسفية عن الدفاع عن النفس سياسيا. فاستعرضت القانون الأسود لعام 1685، الذي كان يمنع العبيد من حمل السلاح والهراوات، وقانون الاستعمار الفرنسي في الجزائر الذي كان يبيح للمستعمرين حمل السلاح واستعماله، ويحظره على الجزائريين، لتؤكد خط الفصل الذي يضع الأجساد "الجديرة بأن يذاد عنها" في مقابل أجساد المنزوعين من السلاح المتروكين بلا دفاع أو حماية. نزع السلاح هذا يطرح مسألة لجوء الفرد إلى العنف دفاعا عن نفسه. تحت التاريخ الرسمي للدافع المشروع، نجد ممارسات قديمة يكون فيها الدفاع عن طريق الهجوم شرطا للبقاء وضمان مستقبل سياسي. تاريخ العنف هذا يلقي الضوء على مفهوم الذاتية العصرية كما صاغها سياسيو الأمن المعاصرون، وتفترض إعادة قراءة نقدية للفلسفة السياسية حيث يجاور هوبز ولوك فرانز فانون ومالكوم إكس أو جوديث باتلر.

التعذيب بغير نتيجة

❏ يبدو التعذيب في الثقافة الشعبية، كما تنقله الأفلام والروايات، ضرورة قصوى وأخيرة لانتزاع أسرار وإنقاذ أرواح. وهو ما يبرر به عملاء السي آي إي مثلا وكل المستنطقين حينما يلجوؤن إلى القسوة لإنطاق المظنون فيهم. ولكن الفكرة خاطئة، كما بين شين أومارا، أستاذ علوم الأعصاب في ترينيتي كوليج بدبلن، في كتاب عنوانه "لماذا لا يفعل التعذيب فعله"، فالمخ الواقع تحت الضغط لا يعمل كما يعتقد الجلادون، حسب ما أثبتته نتائج علوم الأعصاب حول ردود الأفعال الدماغية إزاء الخوف، والحرارة المرتفعة، والحرمان من الأكل والشرب والنوم، وكل أدوات التعذيب. ذلك أن عوامل الضغط تلك تعكر الذاكرة والذهن والمزاج إلى حد يُفقد المعلومة المتحصل عليها أي صدقية. وأن القدرات الإدراكية للشخص الخاضع للتعذيب تتدنى بشكل يصعب معه نقل ما يعلمه. في هذا الكتاب، يأخذنا أومارا عبر مسالك الألم والعذاب، ويرينا بالتفصيل كيف أن كل الحجج التي تساند التعذيب لا تصمد أمام الاختبار العلمي.

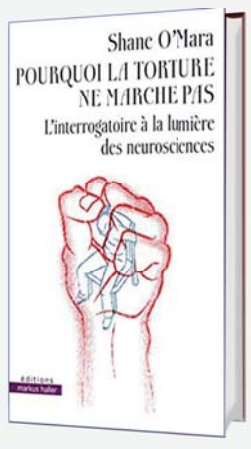

الحيوانية البشرية

❏ ثمة شيء تغير في علاقتنا بالحيوانات، فقد صارت القضية الحيوانية تطرح في كل منبر، حتى غدا الإنسان أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان. ذلك ما ذهب إليه إتيان بمبيني، أستاذ الفلسفة المعاصرة بجامعة بوردو، في كتابه "عقدة القردة الثلاثة"، وفي رأيه أننا نكسب كثيرا من صورة الإنسان الجديدة تلك، فهي تأتينا من بيولوجيا التطور التي وضعتنا، في سلم الحيوانات الرئيسية، إلى جانب القردة، وهي تذكرة أيضا بضرورة ترشيد علاقتنا بالحيوانات التي نستغلها، لا سيما أننا نحترم بقدر أكبر من يشبهنا. وفي رأيه أن الحيوانية البشرية تجعل منا أقوياء ذهنيا، لكوننا تخلصنا من الثنائيات والتقسيمات الميتافيزيقية القديمة، وأن ذلك يعكس فكرا تقدميا منفتحا على العلم، سخيا مع الحيوانات، مستنيرا فلسفيا. فهل نستطيع أن نتجنب "عقدة القردة الثلاثة"، تلك الكيفيات الثلاث التي تشير إلى أننا نجهل ما نعيش ونفعل كبشر أحياء؟ وهل نستطيع تصور تقدمية حقيقة تعي كل ما ندين به للحيوانات، دون أن ننكر من نحن؟

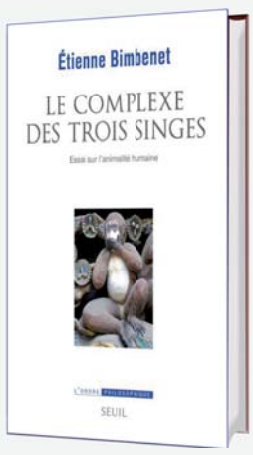

إبراهيم الطنبولي: اللوحة المتمردة

فنان اسكندراني من عائلة ارستقراطية سطع نجمه متأخراً

تشكل تجربة الفنان التشكيلي إبراهيم الطنبولي إضافة فريدة للتجارب التشكيلية المصرية والعربية، حيث تهيأت الظروف للفنان منذ نعومة أظافره أن يشتبك بصريا وجماليا وفكريا مع عالم الفن التشكيلي نتيجة لنشأته في أسرة فنية، فعمه الفنان لطفي الطنبولي وهو واحد من الفنانين البارزين، وكانت أعماله تعرض في صالونات باريس، وكان يقام بالقرب من بيت الأسرة بينالي الإسكندرية الدولي في مجمع الفنان حسين صبحي للمتاحف "متحف الفنون الجميلة بالإسكندرية"، فالبيئة التي نشأ فيها كانت دائما محل احتفاء بأعمال الفنون التشكيلية. هكذا شغف بالفن وبدأ متابعة المتاحف والمعارض والفنانين.

وجد الطنبولي أن تاريخ الفن التشكيلي أنجز فيه كل شيء، وتساءل ما الذي يمكن أن يضيفه فنان جديد لهذا التاريخ الإنساني العظيم الذي أنجزه الفنانون التشكيليون في أعمالهم؟ هذا التساؤل كان شغله الشاغل منذ أن بدأ بالرسم. ماذا يمكن أن أضيف إلى منجزات الحركة التشكيلية في مصر وفي العالم كله؟ سؤال جاد وطموح، وكانت الإجابة تطويرا وتجديدا وتمردا لا يتوقف على القواعد والمقاييس المدرسية والأكاديمية، في رحلة مثيرة لتشكيل خصوصية فنية.

حرصت أسرة الطنبولي على ألا ينافس الفن في حياة ابنهم شيئا آخر، وألا تقيده قواعد وتقاليد وتيارات ومدارس فنية بعينها، أو أن يرتبط الفن عنده بالاسترزاق والتكسب، فأصروا على ألا يلتحق بكلية الفنون الجميلة، وأن يلتحق بكلية التجارة، وأن يعمل لينفق على فنه، لا أن يتكسب منه، وهو الأمر الذي أكسبه قدرا مبكراً من الحرية في رؤاه الفنية، ومن مرحلة إلى أخرى، وأن يكون حريصا على الاختلاف والإضافة في خطوطه وألوانه وتكويناته ومعالجاته لتجليات الأفكار والرؤى. عانى الطنبولي الكثير كونه خارج القواعد والتقاليد المدرسية والأكاديمية، أخلص لفنه مجددا ومطورا لأدواته ومتابعا عن كثب للتجارب المحلية والعالمية، يقرأها ويتأملها ويعرف موضع ريشته وخطوطه وأفكاره في هذا العالم الثري بالفن والجمال، واستطاع أن يقدم ما يزيد على ألف لوحة لا تتشابه كل منها مع الأخرى، وأن يجول العالم غربه وشرقه لتلقى أعماله الاحتفاء والتقدير الذي لم يحظ به في وطنه بسبب الشللية والتكتلات والتحالف هنا وهناك داخل الأوساط الفنية التشكيلية. ولطالما كان بعيدا عن الإعلام. مؤخراً، حصل الطنبولي على الجائزة الكبرى لبينالي شرم الشيخ الدولي للفنون في دورته الثالثة، وكان لنا معه هذا الحوار حول حياته وبداياته وفنه.

محمد الحمامصي
كاتب من مصر

لا ابدأ اللوحة إلا بكسر واحدة من القواعد التقليدية

❑ الجديد: تبدو مأخوذا بحياة المهمشين والفقراء وهمومهم وقضاياهم بما تحمله من تجليات اجتماعية، وقد انعكست على معالجتك مفردات التراث الشعبي.. هل لك أن تحدثنا عن المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها تجربتك التشكيلية؟

● **إبراهيم الطنبولي: منذ طفولتي وقبل تعلم القراءة والكتابة كنت أنظر إلى الحروف والكلمات على أنها أشكال تستهويني وكنت أشخبط على الأوراق أشكالا مختلفة، محاولا التعبير بالخطوط عما يدور حولي في محيط الأسرة، وفي المرحلة الإعدادية كان هناك مدرس رسم رائع تعلمت منه الكثير من دراسات للطبيعة الصامتة ورسم الموديل والظل والنور والزخرفة والخزف، وأهم ما أثر فيّ هو طريق تدريسه للرسم، كان يطلب منا أن نغمض أعيننا ونستخدم الألوان والخطوط دون أن نرى ما على سطح كراسة الرسم، ثم بعد ذلك يطلب من الطلبة فتح أعينهم وتأمل هذه الألوان والخطوط، وكل طالب يرسم ما يراه من خلال هذه الألوان والخطوط.**

ومن خلال دراستي لمادة علم النفس بالمرحلة الثانوية وجدت أن كل ما يمر على الإنسان خلال فترة حياته من أحداث وتجارب وعلاقات وغيره يحتفظ به داخل العقل الباطن للإنسان، وهو ما يسمى اللاشعور، ولا يتذكره الإنسان إلا في حالة وجود مثير، والمثير هنا يمكن أن يكون صوتا أو شكلا أو كلمة، كأن تسمع أغنية معينة تذكرك بموقف معين أو الذهاب إلى مكان معين يذكرك بأحداث معينة، وهكذا أدرجت ما كان يعلمه لنا مدرس الرسم في المدرسة الإعدادية حيث تتجلى من خلال الألوان والخطوط رؤية "المثير" ويرى الفنان ما هو موجود لديه باللاشعور.

أيضا من أهم المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها تجربتي التشكيلية أنني وجدت من خلال دراستي لتاريخ الحركة التشكيلية في مصر والعالم أن التاريخ الإنساني قدم أعمال عظماء وأساتذة كبار أبدعوا حتى ليظن المرء أنهم أبدعوا كل شيء، ومن ثم كان السؤال لديّ ماذا يمكن أن أضيف إلى منجز الحركة التشكيلية بعد كل هذا التاريخ العظيم؟ وكانت الإجابة هي أن ما يمر عليّ في حياتي أو في حياة كل إنسان يختلف عن أي إنسان آخر لاختلاف الزمان والمكان والأشخاص والتطورات، بمعنى أن كل إنسان له تجربته الخاصة، وبذلك إن استطعت أن أعبر عن تجربتي الخاصة بأسلوبي الخاص وبصدق دون افتعال، لا بد أن تكون أعمالي إضافة حقيقية للحركة التشكيلية، وتعبيرا صادقا عن كل ما يدور حولي من أحداث ومواقف وعلاقات إنسانية واجتماعية وأماكن وغير ذلك من حياة المهمشين والفقراء وهمومهم كما انعكست على تراث مصر الكبير من حاضره وماضيه وتطلعاتي للمستقبل الذي أحلم به لمصر والأمة العربية والعالم كله.

ولادة اللوحة

■ الجديد: كيف تبدأ العمل على لوحتك، هل ثمة أفكار مسبقة أم أنها تختمر داخلك وتتجلى بعد ذلك على اللوحة؟

● **إبراهيم الطنبولي: تبدأ اللوحة غالبا دون استحضار فكرة مسبقة، ولكن تبدأ بتحضير اللوحة بألوان وخطوط وتكنيكات مختلفة اكتسبتها من خلال ممارستي، وتتداخل وتتفاعل هذه الألوان والخطوط داخل وجداني أثناء التحضير، وبعد ذلك تأتي مرحلة التأمل والاندماج في اللوحة.**

وفي هذه المرحلة تتجلى لي أشكال مختلفة أحسها ولكن غير واضحة المعالم، وبعد ذلك أبدأ بإظهار هذه الأشكال من خلال خبراتي المكتسبة دون افتعال ودون البحث عن معان أدبية أو فلسفية معينة، ولكن بعلاقات وجدانية ومن خلال العلاقات التشكيلية التي تعبر عن أسلوبي وشخصيتي، وبعد ذلك أتأمل اللوحة كمتلق وعين ناقد، وبمنتهى الدقة أتأمل كل جزء في اللوحة وأدخل ما يتراءى من تغيير بما يخدم اللوحة إلى أن تنتهي بالصورة المرضية لي، ثم بعد ذلك أجد أن ما تعبر عنه اللوحة هو ما أشعر به في داخلي في هذه اللحظة. وأحيانا أبدأ اللوحة بكسر إحدى القواعد الأكاديمية المتعارف عليها في التكوين، لأنني على قناعة بأن الفنان هو الذي يبدع، وأن الجمال نابع من داخله وليس من خلال قواعد أو مقاييس أكاديمية تدرس، لأن الالتزام بالقواعد غالبا ما يقضي على فكرة الإبداع الفني، وأن الجديد يأتي دائما من الاستفادة من القديم فقط والخروج به عن المألوف.

أبدأ اللوحة بكسر إحدى القواعد الأكاديمية المتعارف عليها في التكوين، لأنني على قناعة بأن الفنان هو الذي يبدع، وأن الجمال نابع من داخله

العالم مدرستي

■ الجديد: هل ثمة مدارس أو تيارات أو اتجاهات فنية تأثرت بها وألقت بظلالها على تجربتك؟

● **إبراهيم الطنبولي: طبيعي أنني تأثرت واستفدت من كل المدارس والاتجاهات الفنية والتاريخ الكبير للحركة التشكيلية في العالم كله من خلال دراسته وزيارة المعارض والمتاحف في مصر ومختلف دول العالم، ولكن أكثر ما أثر فيّ هو الحرية والجرأة والتلخيص والتشخيص عند بيكاسو وماتيس وقوة الرسم عند ايجون شيلي والألوان عند جوجان وديجى ورينوار والكثير ممن يصعب ذكرهم جميعا، وأكثر ما تأثرت به هو المصري القديم والقبطي والإسلامي والحضارات السابقة في الشرق والغرب. باختصار تأثرت بكل التاريخ الإنساني السابق والمعاصر، ولكنني بحثت عن تجربتي الشخصية بكل ما تحمل من رؤى وأفكار وثقافات مختلفة ورؤيتي الخاصة لكل ذلك.**

تأثرت واستفدت من كل المدارس والاتجاهات الفنية والتاريخ الكبير للحركة التشكيلية في العالم كله من خلال دراسته وزيارة المعارض والمتاحف في مصر ومختلف دول العالم، ولكن أكثر ما أثر فيّ هو الحرية والجرأة

البهجة والحزن

■ الجديد: قليلة هي البهجة التي تطل من لوحاتك فالشخصيات والأجواء ذاتها غالباً ما تخيم عليها مسحة من الحزن، رغم بعض الاستثناءات؟

● **إبراهيم الطنبولي: أختلف معك قليلا في هذا الرأي حيث أنني حريص كل الحرص على أن أبدأ لوحاتي عندما تكون حالتي النفسية في حالة بهجة حتى تنعكس هذه الحالة على اللوحة وأن تحمل اللوحة شحنة إيجابية للمتلقي، ونحن في ظل هذه الظروف الصعبة التي تمر بها مصر ومنطقتنا العربية بأمس الحاجة إلى البهجة والطاقة الإيجابية التي تساعدنا جميعا على الوصول إلى وضع أفضل بكثير مما نمر به الآن، ومن أفضل ما كتب عن أعمالي بوصفها صانعة البهجة وهي من أسباب اقتناء أعمالي لدى الكثير من الجهات والمؤسسات والأفراد، ولكن الاستثناءات هي التي بها مسحة من الحزن وفي هذه الأعمال دائما أكون حريصا على أن تتضمن ألوانا ساخنة ومبهجة حتى لا تؤثر على المتلقي بطاقة سلبية، ولكن أحرص على إضافة طاقة إيجابية للخروج من مسحة الحزن في موضوع اللوحة، وعلى أية حال فإنني لا أحاول الافتعال ولكنني أرسم ما بداخلي مما يجرى من حولي وأتفاعل معه وأتأثر به وأعرض وجهة نظري من خلال لوحاتي.**

المرأة والرجل

■ الجديد: تكوينات الجسد، خاصة جسد المرأة، تأخذ أبعادا تصل في بعض اللوحات إلى حد التشويه. كيف ترى تجليات حضور المرأة داخل لوحاتك بعالمها وعلاقاتها الحميمة وإحساسها بجسدها؟

● **إبراهيم الطنبولي: المرأة هي نصف المجتمع، هي الأم والأخت والابنة والزوجة والأقارب والزملاء والأصدقاء، وهي الأرض التي تعطي خيراتها وحبها ومشاعرها النبيلة لكل من حولها وللمجتمع كله. المرأة ليست جسدا لمتعة الرجل فقط ولكنها عالم كبير مليء بالمشاعر والأحاسيس.**

ينشر بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

وجوه يمنية

الواقع وناسه في أعمال الفنان زكي اليافعي

عمر علي البدوي
كاتب سعودي

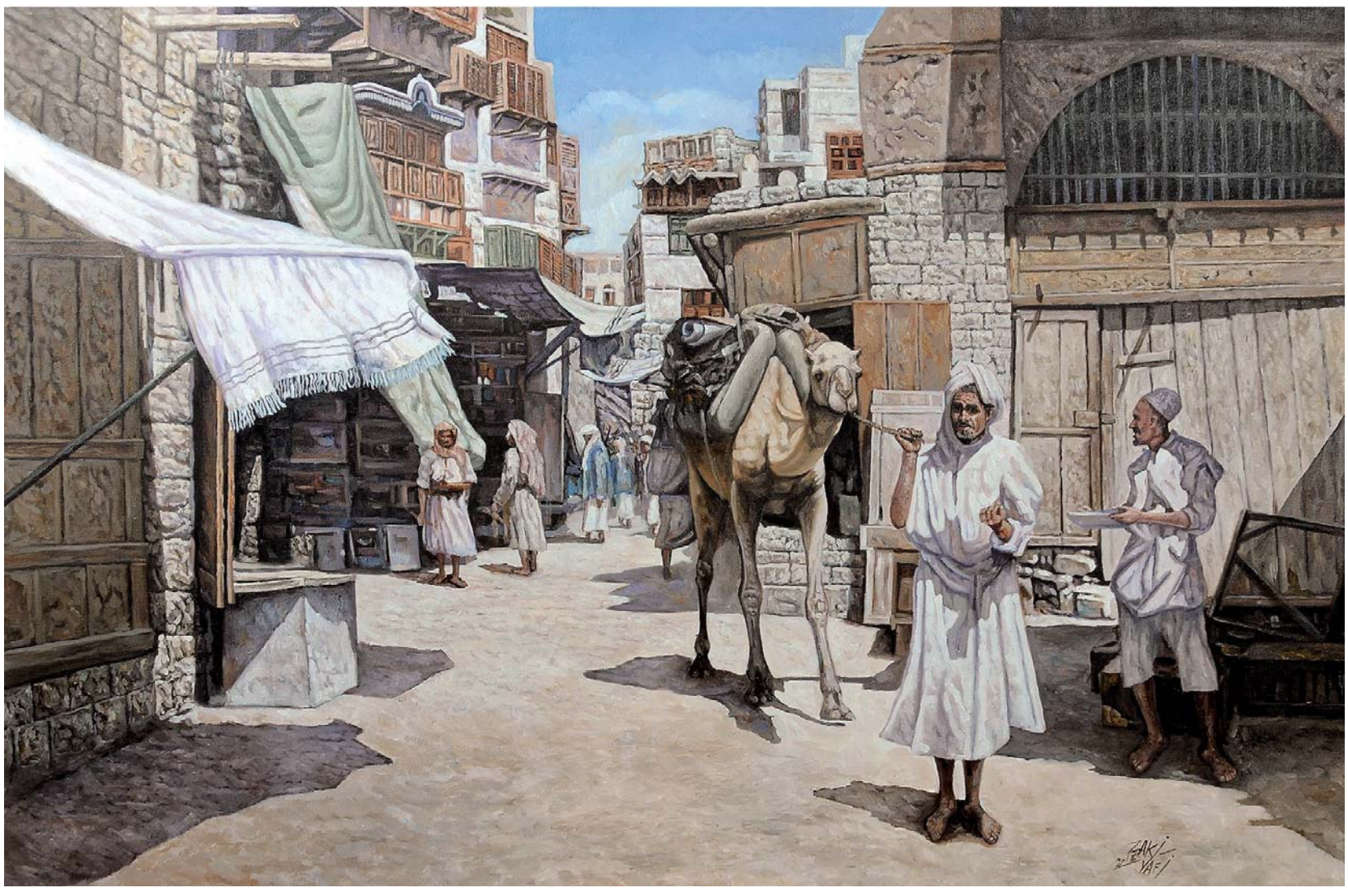

السوق والناس في أعمال الفنان زكي اليافعي

❑ يمتلك الفنان اليمني زكي اليافعي قدرة خيالية على رسم الوجوه، والخيول، والريف اليمني، التفاصيل التي تحتفظ بها لوحاته، دقة ملامح الوجوه تنبئ عن حجم الموهبة التي يتمتع بها الفنان. عندما تطالع لوحاته الزيتية تظن لوهلة أنها من عمل الكاميرات، صور مكبّرة التقطتها عدسة ماهرة، لكنها في الواقع رسومات متقنة من يد رسام ماهر، إذا تفحّصت التفاصيل جيّداً ستلاحظ ذلك، وستنتبه إلى كفاءة هذا الرسام وقدرته على تجسيد الواقع عبر لوحاته الجميلة.

ليس مجرد ناقل، أو وسيط بين الواقع ولوحاته، هذا الفنان، فهو يختلف كثيراً عن المصور، الذي تقترب أعماله في دقتها من فن التصوير، لكن عندما ندقق في أعماله ثمة شيء لا بد أن نعثر عليه، فهو يجيد وهو يرسم تلك الوجوه المعبّرة، نقل الأحاسيس، وكأنه يوم يمرر أصابعه في ثنايا الملامح يصلها بأعماق الإنسان اليمني المنطوي على الكثير من الكلام المضمر، الملامح الصامتة في لوحاته تقول الكثير لمن يرهف سمعه.

موهوب بالفطرة، فهو يرسم، مذ كان طفلا، الأشياء المحبوبة لديه، كان يبدو متيّما برسم الخيول، لما فيها من رشاقة ومقاسات ونسب وتشريح رباني رائع.

بعدها وبفعل التشجيع من الأهل والمدرسين استمر يرسم بشغف وحب حتى سنوات الجامعة، ومع تراكم الخبرات الفنية والثقافية ازداد تعلقه بفن الرسم، وبرزت مهاراته في أعمال ستستقطب إليها محبي فن الرسم.

بسبب ميوله نحو الواقعية في سلوكه وطباعه كإنسان، أحب المدرسة الواقعية، وعمل على تطوير مهاراته وقدراته من خلال المتابعة والاطلاع على أسس هذه المدرسة كالتشريح والمنظور، والمقاسات والنسب وعلاقات الألوان.

في أجواء تحتشد بالتراث وعناصره تجذّر لديه الاهتمام بتلك العناصر، وبالمكونات التراثية، وبكل أصيل وقديم، وكل ملمح من تراث عريق، وقد أخذ على عاتقه رسم المناظر المتصلة بالبيئة اليمنية، ونقل عناصر هذه البيئة إلى اللوحة، وقد حمل ذلك كرسالة أسهم من خلالها في نشر التراث اليمني العريق.

> عندما ندقق في أعماله ثمة شيء لا بد أن نعثر عليه، فهو يجيد وهو يرسم تلك الوجوه المعبرة، نقل الأحاسيس، وكأنه يوم يمرر أصابعه في ثنايا الملامح يصلها بأعماق الإنسان اليمني المنطوي على الكثير من الكلام المضمر، الملامح الصامتة في لوحاته تقول الكثير لمن يرهف سمعه

جسد ذلك في خصوصيات الملبس وفي المهن القديمة والمباني التاريخية، وأسهب في رسم الفئات البسيطة الفقيرة، يرسم أحوالها وجعل أعماله تنطق بأحزانها ومعاناتها، وهو يشعر بأنه يقدم فنا متصلا بالناس يوصل عبر الفن رسالتهم إلى كل المجتمع. وقد حقق انتشارا كبيرا، وتمكن من الفوز بالعديد من الجوائز.

يقول زكي "الفن الجميل والقريب إلى قلوب الجمهور وحب الآخرين هو ما يحمل رسالة إنسانية بامتياز. غلب على أعمالي رسم كبار السن وتفاصيلهم الكثيرة، ذلك لأنهم أصحاب هوية واضحة وصريحة، كما أنني أكن تقديرا خاصا لهذا الجيل فهو كله عطاء ومحبة وعمل ومتشبث بالأرض والأشجار". فاز بالعديد من الجوائز، منها جائزة رئيس الجمهورية المركز الأول بالجمهورية 2007، وجائزة وزارة السياحة لأفضل منظر سياحي، وجائزة بعثة الاتحاد الأوروبي بالمركز الأول، وجائزة دبي الثقافية، ومثل اليمن في العديد من المعارض والمهرجانات الخارجية.

الحديث عن طموحه كفنان سوف يقودنا إلى ذكر تلك السلبيات التي تعوق عمل وتطلعات الفنان في المجتمع اليمني والعربي عموما. يعتبر أن "طموح الفنان دائما هو أن تتغيّر تلك الأحوال النافرة، فاليمن يفتقد إلى الكثير من العوامل والأسباب التي من شأنها أن تنهض بالمشهد الفني، مثل الصالات أو الغاليريهات المتخصصة لهذا الفن، والتي تعطي تأثيرا إيجابيا في رفع الذوق العام، وكذلك الجامعات والمعاهد الفنية ونقص الفعاليات كل هذا يتسبب في ضعف التذوق العام للفن التشكيلي، وندرة الثقافة المتصلة بالعمل الفني. هناك القليل من المهتمين بالفنون البصرية في اليمن، خصوصا ممن عاش في الخارج. يطمح الفنانون التشكيليون إلى تجاوز كل هذه العوامل المحبطة للفنان، ويتمنون لهذا الإبداع التقدم والارتقاء إلى المستوى المتوقع من الشخصية اليمنية ذات الطبيعة الخلاقة. أعرف أن المهمة ليست سهلة أمام الفنان، خصوصا أن العربي يفتقد، عموما إلى ثقافة اللوحة وقيمتها في منزلة تأتي بعد أشياء وكماليات لا تستحق أن تقارن باللوحة الفنية.

أخيرا، يعترف زكي بأن "الفن في حياتي هو العامل الذي يشعرني بقيمة الحياة ومذاقها الجميل، فاليوم الذي أرسم فيه أشعر بأني عشته.. بكل جماله.. لذلك أنأى بنفسي بعيدا عن السوء الذي يحصل في المشهد الإنساني، والسياسي بصورة خاصة. أرسم لكي أنسى كل ما هو حولي من مساوئ، وأعالج نفسي من التوتر أو الضغط النفسي والقلق بالرسم. الرسم أو الفن طاقة هائلة الجمال أشعر بها تتدفق داخلي عندما انتهي من إفراغها في المساحة البيضاء أشعر بقمّة السعادة".

حصان يماني

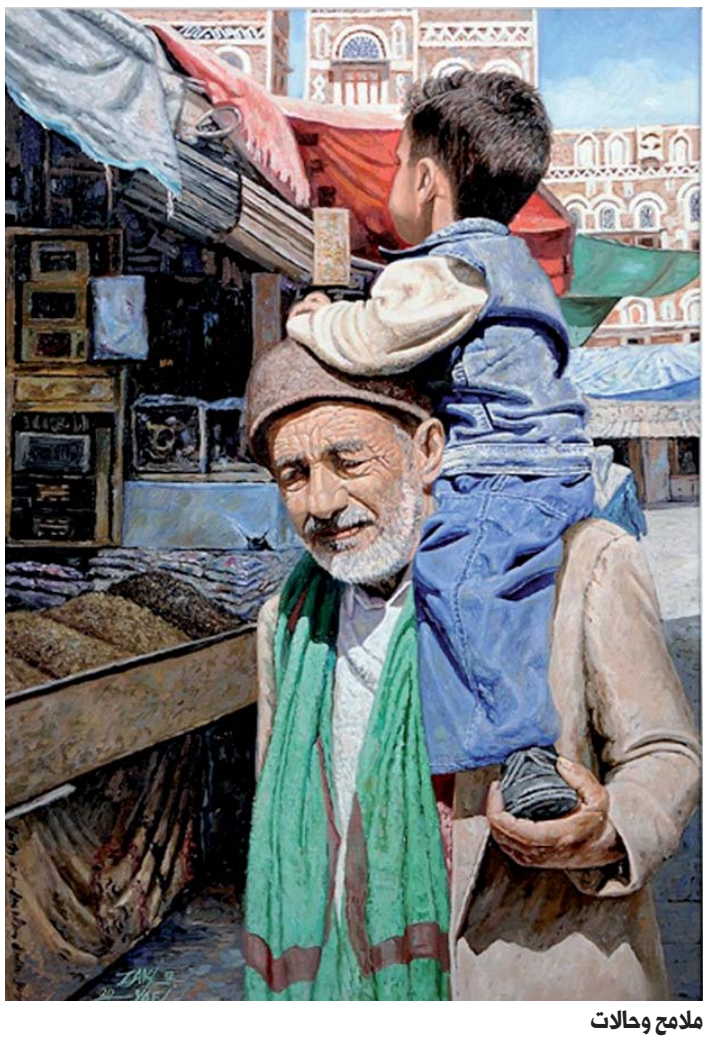

ملامح وحالات

حفلة اعترافات مرحة في مقبرة

يوميات التلفت إلى الوراء والتذكر عن قرب

فاروق يوسف
كاتب عراقي

❑ قبل سنوات قررت أن أكتب ثلاثة كتب استلهم من خلالها وقائع عشتها في "تلك البلاد". كنت يومها أعيش في مدينة سكلستونا بالسويد وكنت أقضي جل نهاري في الغابة القريبة من بيتي. لقد ذُهلت بعالم تشيده الصور والروائح والأصوات. كل شيء هناك كان يدعوني إلى أن أكون كائنا جديدا. حتى أنني ذات يوم رغبت في أن ألقي بكل ما أحمله في أعماقي من ذكريات مريرة ومزعجة في بحيرة كنت قد جلست على ضفتها متأملا أسراب البط الذي قيل لي أنه مثلي يملك رقما وطنيا. تلك الكتب التي فكرت في كتابتها كانت بالنسبة لي مناسبة لكي أتخلص من ذكرياتي وما تحمله من عصافير مقتولة امتزجت أجنحتها بطين بلادي السابقة. لقد آلمني أن التفت إلى الوراء، غير أنني أقنعت نفسي بأنها تلويحة وداع متأخرة.

كتبت الجزء الأول وكان بعنوان "حياة محتملة"

كتبت الجزء الثاني وكان بعنوان "حياة متقطعة"

وبدأت بكتابة الجزء الثالث وكان بعنوان "حياة مؤجلة"

لم تكن حياتي في السويد تسمح بشيء من الكسل. من غير الكتابة تبدو الحياة عملا شاقا. كنت مقتنعا أن في إمكان اللغة أن تشكل طوق نجاة. وكنت أعجن أحلامي بمواد طازجة، لن يخطئ الطريق إليها مَن يضع قدميه على دروب الغابة بثقة واطمئنان.

في سنوات سابقة كتبت كتبي "لا شيء لا أحد" و"فردوس نائم" و"حياة صامتة" و"تلك البلاد" و"مائدة من هواء" و"القيامة بين شارعين" فيما كان شباك المطبخ مفتوحا على هواء الغابة.

"أنا رجل وحيد" قلت لنفسي يومها "غير أنك رجل حر لأول مرة في حياتك" قال لي صوت انبعث من داخلي. وجدت أن من المنطقي أن أتبعه. ولكن ما معنى أن يكون المرء حرا وهو يعيش في الغابة؟

أتذكر أنني يومها قد وضعت عددا من روايات هرمان هيسه قرب السرير وبدأت بالتهامها. هيسه رجل مشاء في الغابة السوداء.

مشيت مئات الكيلومترات من غير أن أصل. كنت أكتب وأنا أمشي وفي المقابل كنت أمشي وأنا أكتب. كان علي يومها أن أتعلم المشي والكتابة من جديد. فبعد أن فرضت العزلة علي قوانينها انبعثت شروط جديدة للكتابة صار علي أن استجيب لها بدعة.

يومها صارت الكتابة تكتب نفسها مثلما تفعل القصيدة. في سن مبكرة اكتشفت في نفسي شغفا مذهلا بالنثر ولم يكن ذلك الشغف ليسبب قلقا للشاعر الذي يسكنني. ولأني أكتب بيسر فقد اكتشفت عن طريق الكتابة أن كل شيء من غير استثناء يصلح أن يكون موضوعا للكتابة ما دامت هناك قدرة على تأمله. وعلى سبيل المثال فقد كتبت أكثر من أربعين صفحة عن حلزون رايته يعبر أحد دروب الغابة. حياة كاملة من أجل متر ترابي واحد. تجربة تستحق أن يخصص المرء لها أكثر من أربعين صفحة من الحبر الخفي.

رحلة ذلك الحلزون امتزجت برحلتي عفويا من غير أن أخطط لذلك.

كان لدي ما أقوله للحلزون ومن خلاله للكائنات والأشياء التي من حولنا. لم تعد ذاكرتي ثقيلة مثل حجر. شعرت أن حياتي، ما مضى منها وما صارت خطواتي تتعثر به مثل خطوط بيضاء رسمت بالطباشير تسيل في مجرى مائي يشف عن أسماك ذهبية يمكن التقاطها باليد.

لقد رأيت حياتي شفافة بطريقة لم أكن أتوقعها حتى في الأحلام. وهو ما يسّر لي أن أتسلل إليها بخفة لص وبراءة أفعى. لا أتذكر ما كنت أتذكره. كانت الكتابة هي التي تعمل على شاشة الحاسوب مثلما يفعل توم وجيري ليؤلفا حكايتهما من مادة لقائهما المجاني.

لو سئلت يومها "ما الذي تفعله؟" لقلت "التخلص من حياة لم أعشها باعتبارها حياة". الحياة كما لا نُحب. كان ذلك هو أول اعتراف علني بفشلي.

شاعر في مقبرة

أعود إلى الثلاثية المنحوسة. كارين أشبه بعشبة لم تنفض عنها ندى الصباح. تلك المرأة هي التي اقترحت علي البدء بكتابة رواية، بعد أن كنت قد حدثتها عن رسائل صديقتي إنعام كجه جي الإلكترونية. كانت إنعام تعيد تشكيل مقاطع من مقالاتي النثرية على هيأة قصائد، وهي التي كانت كلما التقينا تحثني على كتابة رواية. هزت كارين رأسها "لديك كنز من الحكايات اليومية فعلا. أنت تحول كل شيء إلى حكاية. لا أفرق أحيانا بين ما هو واقعي وما هو خيالي في ما تنقله لي من أخبار حياتك السابقة"، "لا بأس كارين. أعرف أن لدي شغف بالحكايات، يعصف بي كلما حاولت أن أفسر ما جرى لي، ولكني في الوقت نفسه أعرف أنني لا أملك مهارة مَن يضع حيل الرواية في خدمته. الحكائي ليس روائيا بالضرورة. مثلما هو حل المشاء الذي لا يمكن اعتباره رياضياً. لا أطيق صبرا على الوقت الذي تستغرقه كتابة رواية".

كارين التي صارت صديقتي هي المرشدة السويدية التي لجأت إليها من أجل معرفة تفاصيل عملية الانتساب إلى جامعة "لوند" جنوب البلاد.

لقد انتهت علاقتنا الوظيفية يوم أهديتها نسخة من أحد كتبي النقدية، كانت هناك ترجمة بالإنكليزية قد ألحقت به لتبدأ علاقة شخصية كشفت من خلالها كارين عن موهبة عظيمة في الإنصات والتعليق الذي غالبا ما كان استفهاميا. وهو ما كان يدفعني إلى الاسترسال في حكاياتي.

ذات يوم فيما كنا نشرب القهوة في نهار صيفي بارد قالت لي "كنتَ قد حدثتني عن حياتك في أوقات مختلفة وكنت أشعر كأنك تعترف. كما لو أنك لم تخبر أحدا قبلي بتلك الوقائع. هل أنا محقة في شعوري؟"

رغبت في أن أقفز على المفاجأة فقلت لها "هناك نوعان من الاعتراف. الأول نراه في الأفلام إذ تدخل بطلة الفيلم إلى صندوق لتعترف في أذن الكاهن وهو ما لا يكن مفهوما بالنسبة لي والاعتراف الثاني هو الذي يدلي به المعتقلون بعد حفلات التعذيب في بلادي. فيُقال 'إن فلانا قد اعترف على رفاقه' ليتم نبذه وعزله وتهميشه وتدميره نفسيا". صمتُ في انتظار أن تتكلم. صمتت هي الأخرى وصارت تتأملني. لمست يدي وقالت بإشفاق "هل كنتَ تبكي؟" شعرت حينها أني على وشك البكاء. أخفضت رأسي. كنا قريبين كما لم نكن من قبل. قالت "يمكنك الاعتراف بالاتجاهين. ليكن أمامك الكاهن والجلاد معا وقل ما تشاء. تذكر أنك في السويد. أنت كائن حر"، من اليسير أن ينسى المرء حريته.

لن يحدث لكارين هذا. لن يشكل الاعتراف لها عبئا أخلاقيا. لا تحتاج لكي تعترف إلى كاهن أو جلاد.

"ما الذي تفعله؟" قالت لي وقد رأتني واقفا وسط البلدة.

"أرسم متاهات" قلت لها وضحكت.

هزت رأسها هذه المرة باطمئنان وربتت بيدها على كتفي.

"الشجرة تورق"

كنا في الربيع. ذاب الثلج وعاد الحمام وأزهر سياج الكنيسة.

في تلك الأثناء بدأت الكتابة بصوت عال وفي الهواء الطلق. كانت المقبرة التي هي حديقة الكنيسة (باللغة السويدية) هي المكان الملائم للاعتراف. فهي تجمع بين الطهر والتسامي. هناك مَن ينصت مبتسما وهو في حالة تخل كامل. لا يحتاج الأمر إلى آليات مسبقة ليكون البوح نظيفا. لا فرق هنا بين مَن هو طاعن في السن ومَن تتعثر شفتاها بين سطور المعجم. بدأت قدماي في السير على كوكب "حياة محتملة" هي تلك الحياة التي تنفست هواء لهاثها بدءا من اللحظة التي رفعت يدي ملوحا للعراق في معبر رويشد الأردني. قلت لنفسي متسائلا "تلك لحظة حرية، هل الحرية باب ينفتح على الضياع؟" كنت ضائعا ولكن هل علي أن أصدق ذلك؟ في تلك اللحظة اكتشفت أن الخوف هو الحجر الثقيل الذي يجر أرواحنا إلى قاع، لم نكن نهوى المضي إليه. الخوف من الحرية وعليها، بابان متقابلان في صحراء تلعب فيها الريح.

أبكي من أجل كلمة نسيتها

ليس هناك من سبب يستدعي التفكير بالمرآة حين يتعلق الأمر بالاعتراف. أنت لا ترى نفسك حين تعترف بل ترى الآخر، بكل أبهته وغطرسته وطغيانه غير أنك لن ترى الشيء الذي يعجبك فيه. يُخيفك من غير أن يحدث أثرا عميقا في نفسك. يمر كزوبعة. يعكر صفو بحيرتك غير أنه لا يقلب مزاج أسماكك. وأنت حين تعترف لا تكلم نفسك بل تكلمه. ذلك الآخر الذي يُفترض أن يكون عارفا بكل شيء عنك. وهي كذبة لن تستطيع القفز عليها. فهي وسيلتك للانتصار على خوفك. لن تكون جبانا في مواجهته لذلك تقرر أن لا تخفي عنه شيئا لكي لا تكون موقعا للسخرية بالنسبة له.

"اعتراف" تسمعه بعد أن تكون الجلسة قد بدأت.

هناك حشد من القراء اليتامى في انتظاري.

> رأيت حياتي شفافة بطريقة لم أكن أتوقعها حتى في الأحلام. وهو ما يسّر لي أن أتسلل إليها بخفة لص وبراءة أفعى. لا أتذكر ما كنت أتذكره. كانت الكتابة هي التي تعمل على شاشة الحاسوب مثلما يفعل توم وجيري ليؤلفا حكايتهما من مادة لقائهما المجاني

تضحكني تلك الفكرة الحزينة. فلا أحد تهمه اعترافاتي. ما من كاهن وما من جلاد وأنا أجلس على عشب حديقة الكنيسة، بين القبور وحيدا. لم أكن وحيدا. أيها الموتى انتظروا ما سوف أكتبه. تمنيت أن يكون أصدقائي الموتى العراقيين حاضرين تلك اللحظة. لم يكن المشهد جنائزيا ولم أكن حزينا.

"أحيانا لا يبقى مني سوى الكاتب. لذلك أبكي من أجل كلمة نسيتها" قلت لحارس المقبرة الذي رآني واقفا على الجسر الخشبي وحيدا. كان هناك سرب من البط يعبر من تحت الجسر".

حين رويت لكارين لقائي بحارس المقبرة وما دار بيننا من حوار ضحكت بطريقة فاجأتني. قالت "كما لو أنك بطل في فيلم رومانسي". لم أخبر كارين يومها أنني بدأت "حياتي المحتملة" من لحظة قطيعة كنت قد بدأتها في بيروت وأكملتها في الدوحة.

ينشر بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

فيلم «فايس» بعد كل هذه الضجة

أمير الشر الذي دمّر صورة أميركا في العالم

من الأفلام الأميركية القليلة في الدورة الـ69 من مهرجان برلين السينمائي وضمن قسم "العروض الاحتفالية"، عرض فيلم "فايس" Vice أو "النائب"، للمخرج آدم ماكاي، وهو الفيلم الذي أثار مؤخرا ضجة كبرى عند عروضه الأميركية، وينتظر أن يصل إلى ترشيحات مسابقة الأوسكار لينافس بوجه خاص، على جائزة أفضل ممثل لبطله كريستيان بيل.

أمير العمري
ناقد سينمائي مصري

❑ في فيلم "فايس" Vice، وهو تلاعب واضح بالكلمة التي تحمل أكثر من معنى ومن ضمنها معنى "السقوط" في الرذيلة إن لم تتبعها كلمة "الرئيس" لتصبح "نائب الرئيس"، تعود هوليوود "الليبرالية" هذه المرة لتقديم صورة كاريكاتورية ساخرة لنائب الرئيس الأميركي الأسبق ديك تشيني في عهد جورج بوش (الابن)، وكأنها تريد أن تقول إن تشيني بترسيخه لسياسات اللوبي الذي عُرف باسم "المحافظين الجدد"، هو في الحقيقة الذي يمكن أيضا اعتباره مسؤولا عن وصول دونالد ترامب بكل تطرفه، إلى البيت الأبيض. ويكاد الفيلم يقول هذا صراحة. ومنذ اللحظات الأولى يمكن لأي متابع أن يلاحظ التشابه الكبير في "المدخل والطريقة"، مع أسلوب المخرج الشهير مايكل مور صاحب الأفلام التسجيلية الساخرة عن الظواهر الأميركية المعاصرة، في تعبيره "الذاتي" عما يمكن أن نطلق عليه "ضمير المؤلف". إلا أن آدم ماكاي، ليس مايكل مور، أي أنه لا يتمتع بنفس الحس الساخر والقدرة على التقاط التفاصيل الغريبة في تكوين شخصية ديك تشيني.

يسير الفيلم، الذي يقوم ببطولته كريستيان بيل في دور تشيني بعد أن تم تغيير ملامحه لكي يشبهه تماما وقد زاد وزنه بنحو عشرين كيلوغراما، وفق مسار متعرج يتأرجح بين الماضي والحاضر طيلة الوقت، من فترة الشباب في حياة تشيني عندما كان طالبا في الجامعة وإدمانه الكحول فمراحل علاقته الأولى بالفتاة التي ستصبح زوجته "لين" (التي تقوم بدورها ببراعة إيمي آدمز) إلى نجاحه في الوصول إلى البيت الأبيض في عهد الرئيس نيكسون، ثم عمله إلى جانب الرئيس بوش الأب.. حتى بلغ ما بلغه كما هو معروف. وبسبب كثرة الأحداث والانتقالات من خلال مونتاج متوتر مرتبك، وكثرة الشخصيات، والثرثرة الكلامية التي لا تكاد تتوقف، والتعليق الصوتي الذي يفرض نفسه على الفيلم من خارجه، تغيب البؤرة عن الفيلم، ويغيب الكثير من الجوانب الخاصة في شخصية تشيني مما قد لا يعرفه المشاهدون.

إننا نرى في سرد سريع تشيني.. مدمن تناول الحلوى الذي يدخن بشراهة والذي يبدأ حياته موظفا صغيرا في شركة اتصالات تليفونية، ثم انتقاله إلى العمل مع رامسفيلد

ديك تشيني من المجهول إلى رجل الساعة

في البيت الأبيض ثم عجزه عن الاستمرار في حملته لدخول الكونغرس بعد إصابته بنوبة قلبية، وكيف يتعرف على بوش الأب في حفل للحزب الجمهوري، ويشاهد بوش الابن سكيرا يفقد توازنه ويكاد يتسبب في فضيحة خلال الحفل، ثم كيف يتماسك تشيني ويقف بجوار ابنته "ماري" بعد أن تخبره ووالدتها، أنها "مثلية الجنس" وسوف يبقى على موقفه هذا دائما رغم تأثيره المباشر على صعوده السياسي، فهو سيضطر للانسحاب من الترشح في صفوف الجمهوريين لانتخابات الرئاسة خشية انفجار الفضيحة، ثم يلتحق بالعمل كمدير تنفيذي في شركة هاليبرتون للنفط، وتنتقل الأسرة إلى منزل كبير في فيرجينيا حيث يعيش الجميع في سعادة ورخاء، على نغمات موسيقى حالمة تشي بالنهاية السعيدة.

هنا يقول الفيلم إنه كان يمكن أن تنتهي مشاكل تشيني وتتجنب أميركا الكثير من المشاكل الحادة التي وقعت فيما بعد، لو أن "الفيلم" انتهى هنا بالضبط. وعلى نحو ساخر تنزل عناوين الفيلم النهائية وأسماء الممثلين على الشاشة، لكن قصة طموح تشيني لا تعرف نهايتها، بل تستمر ويستمر بالتالي فيلم آدم ماكاي "فايس". نعود لنرى كيف تأتي مكالمة تليفونية تغير حياة الرجل أو بالأحرى، تعيده إلى بؤرة الأضواء: اتصال من جورج بوش الابن ثم لقاء معه، لإقناعه بالترشح كنائب للرئيس معه، ثم كيف يستغل تشيني ضعف شخصية بوش ويفرض شروطا تجعله عمليا، صاحب الكلمة الأولى في البيت الأبيض، والمسؤول عن توجيه وزارة الدفاع والجيش والمخابرات.

مسار السرد في الفيلم كما أشرنا، متعرج، ينتقل من الماضي ليقفز، على شكل فلاشات سريعة، إلى الحاضر، من القبض على تشيني بتهمة قيادة السيارة وهو تحت تأثير السكر، إلى إخلاء سبيله سريعا من البيت الأبيض بعد وقوع هجمات سبتمبر 2001، ثم ما يحدث من تعذيب في غوانتانامو، ثم قيام المخابرات الأميركية بتعليمات من تشيني، باختطاف الشيخ أبوعمر، شيخ مسجد ميلانو وتعذيبه، ثم استقالة نيكسون، وانتقال تشيني إلى العمل مع الرئيس فورد، وصولا إلى التآمر لغزو العراق بزعم امتلاك أسلحة دمار شامل، وما بعد ذلك من توريط لفاليري بالم عميلة المخابرات الأميركية وكشفها بسبب تصريحات زوجها السفير السابق، المناهضة للحرب في العراق، وظهور شخصية الزرقاوي، وإصابة تشيني لرجل من مرافقيه في رحلة صيد وتقاعسه رغم ذلك عن الاعتذار.. الخ

تفاصيل مربكة

تفاصيل وأحداث كثيرة وانتقالات مرهقة، من خلال هذا الشكل المتعرج الذي يقفز بسرعة، ويغرق في تفاصيل التفاصيل، ليصبح مربكا خاصة عندما ينتقل الفيلم لترجمة ما يقال على شريط الصوت عبر شريط الصورة بطريقة بدائية مباشرة. فعندما تعترض لين- مثلا- على إدمانه الخمر، وتقول إنها لا تريد أن ترى مجددا صورة والدها الذي كان يعود كل ليلة ليعتدي على أمها وهو ثمل، نشاهد هذا مترجما بطريقة حرفية في فلاش سريع!

تظهر في الفيلم شخصيات كثيرة يعرفها المشاهدون جيدا، لعبت أدوارا متعددة في السياسة الأميركية، من أهمها بوش الأب وابنه الذي يبدو أخرقا بليدا، وكيسنجر المتآمر، إلى كولن باول وكوندزليزا رايس ورامسفيلد وبول وولوفيتز وكارل روف وغيرهم، هذه الشخصيات لا تتمتع بالطرافة ولا بالقدرة على الإضحاك، على الرغم من الصورة الكاريكاتورية المبالغ فيها التي تظهر عليها في الفيلم، باستثناء شخصية رامسفيلد التي أداها ببراعة "ستيف كاريل". وفي مشهد طريف يتساءل تشيني في سذاجة قائلا لرامسفيلد وهو يفكر: وما الذي نؤمن به؟ على إثر ذلك، ينفجر رامسفيلد في نوبة من الضحك الهستيري وهو يردد تساؤل تشيني الذي يجده ساذجا، فالسياسة في نظره لا تنبني على مبادئ أو معتقدات فكرية، بل على "مصالح" ولكن هذا ما يريد المخرج ماكاي أن يغرسه ويفرضه فرضا على الشخصية من خارجها، فيبدو مقحما وليس طبيعيا، والفيلم بأكمله يسير على نفس النهج.

هل أضحكنا؟

أراد ماكاي دون أن ينجح، أن يدفعنا إلى الضحك وأن نشاركه اللهو والاستمتاع بالسخرية السوداء العبثية، غير أن المشكلة كون شخصية ديك تشيني شخصية جامدة بليدة، فهو لا يتمتع مثلا بإمكانيات هتلر وقدراته التمثيلية، كما أن كريستيان بيل ليس شابلن، فهدفه الأساسي ينحصر في التقمص أكثر من التعبير الذاتي عن الشخصية ونقل ما يدور في داخلها إلينا، ولا شك أنه نجح في التقمص إلى درجة مذهلة، سواء في طريقة الجلوس أو نظرات العينين، أو إيماءات الوجه، أو نغمة الصوت، وحتى عندما لا يقول شيئا على الإطلاق، يبدو مؤثرا بنظراته الساهمة. وهو لا يخرج عن المحاكاة الدقيقة إلى مجال "السخرية" سوى في مشهدين فقط: مشهد يجمعه مع زوجته لين في الفراش، والمشهد الأخير.

لين زوجة تشيني تقف وراءه دائما، تدفعه وتشحنه، تحذره وتنذره، تزين له المضي في طريق الطموحات حتى النهاية الدموية. فهي المعادل هنا لشخصية ليدي مكبث، ويقتبس ماكاي بشكل مباشر من حوارات مسرحية لشكسبير في المشهد الساخر الذي يدور في الفراش بين تشيني وزوجته لين وهي تواصل دفعها له في طريق الصعود بكل الطرق الشريرة حيث يستوحي كلاهما من الحوار على نحو ساخر بالطبع، وخارج عن مسار الفيلم بل عن تكوين الشخصية وأداء الممثل بشكل عام.

وفي المشهد الأخير في مقابلة تلفزيونية معه يقول "تشيني- بيل" إنه لن يعتذر عن حربه ضد الإرهاب وإنه فعل ذلك لكي ينام الجميع في طمأنينة، ثم يستدير ويتطلع إلى الكاميرا ويخاطب المشاهدين (الأميركيين أساسا) قائلا لهم: كان شرفا لي أن أكون خادمكم.. أنتم اخترتموني، وقد فعلت ما طلبتموه!

خلال الفيلم يظهر الراوي الذي يذكر أن اسمه هو "كيرت" (يقوم بالدور جيسي بليمونز) يعلق على الأحداث، بصوته وصورته، ويسلط الأضواء على مسارات ديك تشيني في الحياة وعلاقتها بما يحيط بها، بعد أن يقول لنا في البداية إن لا أحد كان يعرف عنه شيئا ولا حتى القريبين منه وطبعا ولا نحن المشاهدون، من أين جاء أو كيف صعد وبلغ أعلى مراكز السلطة؟ لا يفسر الرواي علاقته بتشيني ويكتفي بالقول إنه "أحد أقاربه". وهو سيظهر في الفيلم في حرب العراق حيث تتعرض قافلة أميركية مدرعة للتفجير، وفي مواقف أخرى نراه باعتباره نموذجا للمواطن الأميركي الذي يدفع ثمن أخطاء تشيني ورفاقه، وسوف يتعين علينا أن ننتظر إلى قرب النهاية، قبل أن نعرف حقيقة هذه الشخصية ودورها "المفترض" في حياة تشيني.

يستخدم ماكاي الكثير من مقاطع الفيديو ونشرات الأخبار التلفزيونية والشرائط التسجيلية والبيانات والرسوم المتحركة والحركة السريعة للصورة وغير ذلك، من خلال مونتاج يخلق إيقاعا لاهثا ونقلات سريعة، وماكاي يرغب في محاكاة أسلوب ما بعد الحداثة، في الخلط بين الأنواع والأساليب، وعدم احترام المسار القصصي للسرد، والتمرد على "النوع" السينمائي، ورفض عقلانية سينما الحداثة، إلا أنه في الوقت نفسه يؤكد حضور "المؤلف" طوال الوقت، من خلال التعليق الصوتي الذي وضعه على لسان تلك الشخصية الخيالية التي تعكس ضمير المخرج- المؤلف نفسه.

> تظهر في الفيلم شخصيات كثيرة يعرفها المشاهدون جيدا، لعبت أدوارا متعددة في السياسة الأميركية، من أول بوش الأب وابنه الذي يبدو أخرقا بليدا، وكيسنجر المتآمر، إلى كولن باول وكوندزليزا رايس ورامسفيلد وبول وولوفيتز وكارل روف

الطابع الكاريكاتوري الهزلي الساخر (الذي يفشل رغم ذلك في إضحاكنا بسبب مباشرته الفجة) يتبدى في مشهد المطعم. هنا يجلس تشيني مع زملائه: رامسفيلد وبول وولوفيتز وسكوتر ليبي. يأتي النادل (الذي يقوم بدوره ألفريد مولينا) يعرض عليهم قائمة الطعام ويقول إن لديهم أشياء متنوعة جيدة مثل الترحيل إلى السجون السرية والتعذيب والاستجواب المتقدم.. الخ

نظرة أحادية

من البداية حتى النهاية، تتضح القصدية المسبقة في التعامل مع الشخصية، من وجهة نظر أحادية ترمي إلى النيل من ديك تشيني وتصويره باعتباره "ملاك الشر" مقابل "أمير الظلام" ريتشارد بيرل الذي لعب دورا بارزا في إدارة بوش في التمهيد لضرب العراق وهو أحد رفاق تشيني المقربين وعضو بارز في جماعة "المحافظين الجدد" في واشنطن. هذا التفسير الأحادي للشخصية يضعف الفيلم ويجعله منشورا هجائيا، ويجعل تحليله ينحصر في التفسير الفردي التآمري للتاريخ، فكأن تشيني اختطف أميركا (البريئة) من وراء ظهر "المؤسسة" الاحتكارية صاحبة النفوذ الكبير والمصالح الاقتصادية العالمية، وفعل ما فعله لرغبة شريرة لديه كانت توجهها زوجته "ليدي مكبث"!

ساهم الماكياج في مطابقة الممثل مع شخصية تشيني

المخرج آدم ماكاي أراد تقريب الموضوع من جيل الشباب

مقصد تونسي يحمل زائريه في رحلة تغوص في أعماق الماضي وتطوف في أجواء الحاضر

تالة مدينة العيون وجهة سياحية تونسية تأسر مرتاديها

مقصد للسياحة الجبلية والبيئية في كنوز تونس المنسية

أشد ما يحتاج إليه السائح في فصل الشتاء هو جولة سياحية جبلية تأخذه إلى تالة من محافظة القصرين، أين يحظى بمتعة مكان يجتمع فيه جمال الطبيعة وانسيابها مع ثراء التراث التاريخي وتعاظم كنوزه وبين الاثنين لا يخيب مسعاه في اكتشاف بعض العادات والتقاليد المتوارثة لتشده إلى المكان.

الحبيب مباركي
كاتب تونسي

❏ **القصرين (تونس)** – تعتبر مدينة تالة التابعة لمحافظة القصرين وسط غرب تونس، إحدى المناطق السياحية غير المكتشفة، ومع ذلك فإن من تطأ قدماه هذه المدينة لن يكتفي بزيارة واحدة.

تحمل هذه المدينة زائريها من الراغبين في زيارة مقاصد سياحية جديدة ومختلفة على معاودة التجربة، فـ"تالة الجميلة" كما يطلق عليها سكانها الأصليون، تزخر بالجبال والسهول والأودية وعدد كبير من العيون النابعة من جوف الأرض.

اكتشاف هذه الوجهة السياحية التونسية يتطلب جهدا مضاعفا لزائر هاو يختار الذهاب في الحافلة، ذلك أن الطريق إليها محدبة ومتعرّجة لمدة سفر لا تقل عن ثلاث ساعات ونصف الساعة انطلاقا من العاصمة، فيما الرحلة إليها من عدة مداخل تفتح شهية القادمين من كل المدن التونسية وتزيدهم إصرارا على سبر أغوار هذا المكان خصوصا لمن يودّون الذهاب على متن سياراتهم الخاصة.

تقع مدينة تالة في شمال غرب محافظة القصرين وقد حافظت على اسمها الروماني "ثالة" (thala) وعلى طابعها التقليدي حتى أن زائرها يشتمّ لأول وهلة رائحة التاريخ بين جدرانها. وتالة من أقدم المدن التونسية وأشهرها وقد تعاقبت عليها العديد من الحضارات وكانت قلعة حصينة للقائد النوميدي الشهير يوغرطة بحسب ما تشير إليه بعض المصادر التاريخية.

ويعني مصطلح "ثالة" في أدبيات التاريخ الروماني "العين"، أي عين الماء لدى الرومان وقد حافظت على العديد من العيون إلى اليوم على غرار عين "أم الثعالب"، مما جعلها مدينة العيون بامتياز، إضافة إلى العديد من القرى الصغيرة القريبة منها والتي يأخذ أغلبها تسميته من العيون التي تزخر بها على غرار "عين السلسلة" و"العيون" و"عين الحمادنة" و"عين أم الجدور" وغيرها.

وأطلق الرومان هذه التسمية على تالة بعد هزمهم يوغرطة وجعلوا منها قلعة حصينة لمراقبة القبائل البربرية، إلا أن دورها تقلّص أمام التوسع الروماني ثم الإسلامي في ما بعد ممّا أدخلها في ركود حضاري.

وأشد ما يسلب لب القادم إلى هذه المدينة البناء العمراني وأحياؤها ذات الأنهج الضيقة وسقوفها المغطاة بالقرمود لمنع تراكم الثلوج على غرار النجارية مما يذكر زائرها بـ"الحومة العربي" في عدة مدن سياحية أخرى، فيما تتميز شوارعها بالانحدار الشديد وانتشار المواقع الأثرية في قلب المدينة مما يجعلها مدينة التاريخ بأتم معنى الكلمة.

ويبقى أهم ما تتوفر عليه تالة هو جبالها الشامخة وهضابها وسهولها المنتشرة التي جعلت منها مدينة الحبوب. كما تتميز بثروتها الرخامية الكبيرة، ذلك أنها تعتبر المزوّد الرئيسي بهذه المادة للعديد من المدن التونسية، إضافة إلى تصديرها لعدة أسواق عربية وعالمية.

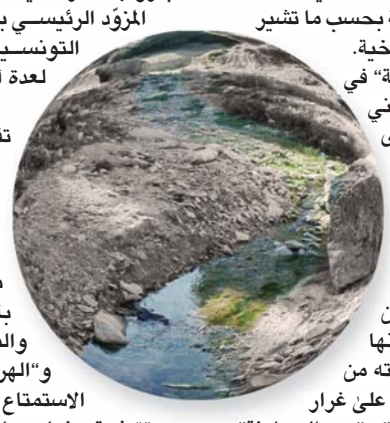

ولا يمكن لزائر تالة تفويت فرصة تذوق النقانق الذي اشتهرت به المدينة، حيث يقصدها الزوار من كامل المحافظات التونسية للاستمتاع بأكل "السفافد" (شبيهة بأكلة الكباب الشامية) والنقانق و"اللحم المشوي" و"الهريسة العربي"، إلى جانب الاستمتاع باكتشاف عيونها التي تتدفق منها مياه عذبة يقصدها الأهالي لملء جرارهم وسقي حيواناتهم، حيث لعبت هذه العيون المنتشرة في المدينة وأهمها عين "أم الثعالب" دورا كبيرا في التقاء الناس هناك للتعارف والخوض في جميع المواضيع والمشاغل الحياتية مما جعلها تلعب أدوارا متعددة.

وعلى الرغم من أن تالة معروف عنها تسجيلها أقل درجات حرارة تصل أحيانا إلى ما دون الصفر وتحطم أرقاما قياسية في برودة الطقس لشدة ارتفاعها عن سطح البحر (1047 مترا)، فإن زائرها يستمتع بالبساط الأبيض الذي يغطي كامل المدينة إثر تهاطل الثلوج. ويعزز تساقط الثلوج حظوظ المدينة باستقبال أعداد كبيرة من الزوار على غرار محافظتي الكاف وسليانة للتمتع بسحر المكان.

ولا يفوت زائر تالة أن يعرّج بالقريب منها على مدينة حيدرة أو كما كانت تسمّى في العهد الروماني "أميدرة القديمة"، فيأخذه منظر الآثار الممتدة على حوالي 250 هكتارا في موقع أثري يعتبر من أكبر المواقع التاريخية في تونس إلى مدينة تأسست في القرن الأول الميلادي وشهدت ازدهارا اقتصاديا واجتماعيا شاملا لم تعد تعيشه، حيث ما زال سكانها يطالبون السلطات بالالتفات إلى هذه المدينة في جميع المجالات وخصوصا بحسن استغلال معالمها التاريخية والتي تحتوي على مسرح أسّسه الرومان وعجز الذين قدموا من بعدهم بمئات السنين حتى عن مجرد صيانته وترميمه.

ويتوقف الزائر في جولة عابرة إلى حيدرة، عند مرشدين يحدثونه عن الموقع الأثري والدور التاريخي لهذه المنطقة الحدودية الرابطة بين تونس والجزائر وعن الطريق التي كانت تربط بين قرطاج وتبسّة الجزائرية والتي كانت تمر بمواقع عديدة بحيدرة.

ويشتكي الأهالي في حيدرة من البنية التحتية المتردية وخصوصا الطريق الرابطة بين حيدرة وتالة والتي تحوّل جزء منها إلى ما يشبه المسلك الفلاحي في منطقة تشهد حركية خصوصا وأن بوابة حيدرة تعتبر إحدى أهم البوابات التي يستعملها السياح الجزائريون للدخول إلى التراب التونسي.

> زائر تالة يشده إليها البناء العمراني وأحياؤها ذات الأنهج الضيقة وسقفها المغطى بالقرمود، لكن أشهر ما تُعرف به هو جبالها الشامخة وسهولها المنتشرة

وتتميز حيدرة إضافة إلى موقعها الأثري بمعالم دينية مثل الكنائس المسيحية والوندالية التي يروي تاريخ تأسيسها قصص القديس، ككنيسة "كنديدوس" التي تم إهداؤها لضحايا الاضطهاد الذي عاشته حيدرة تحت حكم الإمبراطور ديوكلتيانوس في القرن الرابع الميلادي، وغرفة صلاة تعود إلى العصر الوسيط في بدايات الفتوحات الإسلامية لأفريقية لا تزال شاهدة على التسامح بين الأديان في تونس منذ القدم.

ويحتوي الموقع الأثري لحيدرة أيضا على فسيفساء تجسّد مختلف مدن وجزر البحر المتوسط وحمّامات وهناك حصن بيزنطي وسوق عمومية ومعالم تاريخية أخرى جديرة بالاكتشاف من قبل الزوار، وهو ما يطالب به سكان المنطقة الذين يسعون للتعريف بآثارها لتكون المدينة قبلة السياح المحليين والأجانب عبر إدراجها ضمن المواقع السياحية العالمية والدفع نحو اعتبار المدينة منطقة سياحية بامتياز غنية بالتاريخ والحضارات.

إلى أين تذهب

شاطئ بوندي معلم أسترالي يجتذب أنظار العالم

❏ **سيدني** – يجذب شاطئ بوندي، وهو أشهر شواطئ أستراليا، خلال الفترات المزدحمة ما يتراوح بين 30 ألفا و40 ألف زائر يوميا، على الرغم من أن راكبي الأمواج في سيدني يميلون إلى تجنبه، حيث يقول بروس هوبكنز إن "السكان المحليين لا يأتوا إلى هنا مطلقا... فالأمواج ليست ملائمة للركوب لأنها تنكسر بسرعة فائقة".

ومع ذلك، أصبح الشاطئ أسطوريا، ولعب هوبكنز دوره في هذه العملية، بصفته حارس إنقاذ رئيسيا هناك، وهو الوجه المعروف في المسلسل التلفزيوني الأسترالي "بوندي ريسكيو" (إنقاذ بوندي)، الذي ظل يعرض ما يقوم به المنقذون على مدار 13 موسما.

ويشار إلى أن شاطئ بوندي هو أحد معالم أستراليا، وهو كنز وطني ورمز للهوية الأسترالية، كما أنه علامة تجارية دولية.

ويسبح السياح الذين يأتون إلى بوندي في البحر ويلتقطون الصور على الكورنيش. ويشارك بعضهم في تدريبات مكثفة على ركوب الأمواج، بمدرسة ركوب الأمواج الواقعة في الطرف الشمالي من الشاطئ، أملا في أن يتمكنوا من الوقوف على لوح التزلج على الأمواج لمدة ثانيتين أو ثلاث ثوان.

وعادة ما تكون السماء في الصباح الباكر ضبابية فوق المياه. ويقوم العشرات من ممارسي رياضة الركض، بمزاولتها بمشقة على الرمال، بينما يتوجه راكبو الأمواج إلى المياه.

ويتدرب الشبان والشابات على أجهزة اللياقة البدنية متاحة للعامة، إلى درجة تجعلك تشعر برغبة شديدة في الانضمام إليهم ومشاركتهم ممارسة الأنشطة الرياضية.

وفي الضواحي يقوم الرجال من ذوي الأجسام المتناسقة، بالركض حاملين ألواح التزلج تحت أذرعهم. كما تقوم الجميلات في الشوارع بالتزلج على ألواح التزلج.

ولا تبيع المخابز هنا الخبز فقط، وإنّما تقوم ببيع تحفة فنية تعرف باسم "خبز السوردو المخمر"، كما أن الكثير من المطاعم "نباتية". أما إذا رغبت في شراء مشروب غازي –حتى وإن كان خاليا من السكر– فإنك ستكون محظوظا إذا وجدته يباع، وذلك لأنه لا يوجد هنا سوى عصير الليمون المحلي الصنع، وذلك بحسب ما يقوله للزبائن العاملون بنظرة تتسم بالأسف.

وعرف هوبكنز شاطئ بوندي منذ طفولته، حيث يقول إن الكثير من السكان المحليين كانوا يعيشون هنا قبل عشرين عاما، ولكن الآن أي شخص يريد أن يؤسس أسرة عليه أن ينتقل إلى مكان آخر. فإن إيجار الشقة السكنية المكونة من غرفة نوم واحدة يتراوح بين 570 و720 دولارا أميركيا في الأسبوع الواحد.

وبصفته حارس إنقاذ، ودوره هو مراقبة الناس، فقد راقب هوبكنز أيضا التغيّرات الاجتماعية التي وقعت هنا على مر السنين، عن كثب، فهناك حاليا الكثير من أنشطة كمال الأجسام وغيرها من أنشطة اللياقة البدنية، فضلا عن اللجوء إلى "القليل من البوتوكس". وقال "أيا كان ما تفعله، فسيراك الناس. لقد أصبحت الهيئة (الجسمانية) مهمة جدا".

وبحلول منتصف النهار على الشاطئ تبدأ الأنشطة الرياضية بالتباطؤ إلى حد ما.

ولكن يكون هناك أناس من جميع الفئات، فهناك راكبو الأمواج ولاعبو كمال الأجسام وأزواج وعائلات وزوار اليوم الواحد وسياح. كما تكون الشمس مشرقة والرمال متوهجة.

وبعد إمعان الملاحظة لبعض الوقت، تتساءل: لماذا هذا الشاطئ معروف جدا أكثر من باقي الشواطئ؟".

وكان قد تم هنا تأسيس أول ناد لحراس الإنقاذ في أستراليا، وهو "نادي بوندي سيرف باثرز للإنقاذ"، في عام 1906. وفي أولمبياد عام 2000، كان الشاطئ موقع إقامة مسابقة الكرة الطائرة الشاطئية.

ويقدم هوبكنز تفسيرا بسيطا للشعبية التي يحظى بها الشاطئ؛ فهو قريب من المدينة والمطار، لذا فهو مناسب للمسافرين، مؤكدا "إذا ذهبت إلى أستراليا، فستذهب إلى بوندي".

واتخذت أسطورة بوندي حياة خاصة بها، واستمرت اليوم بفضل تيار لا ينتهي من صور السيلفي.

خمسة مقاصد لمحبي الفن والثقافة في 2019

❏ **برلين** – يقدم موقع "كالتشر تريب" (رحلة ثقافية)، المعني بالسياحة، إلى المسافرين المحبين للفن والتصميم، أهم معلوماته لهواة الفن.

وأشار الموقع إلى كيب تاون والدوحة وفينيسيا ونانت وإسطنبول على أنها أهم مقاصد الفن لعام 2019.

واختيرت كيب تاون بسبب صالاتها الفنية بما في ذلك متحف زيتز للفن المعاصر الذي افتتح في 2017 ويعرض أعمالا لرسامين أفارقة معاصرين.

وتعد مدينة فينيسيا الإيطالية قطعة جمال في حد ذاتها، وهي تشتهر بجسورها وقصورها وكنائسها، ولكنها تصبح مرة في العام مركزا للفن الرفيع أيضا بمهرجان "بينالي البندقية"، الذي يقام العام الجاري في الفترة الممتدة من مايو حتى ديسمبر.

وينصح الموقع بحزم ملابس السباحة أيضا للقيام بجولة في ليدو، وهي جزيرة صغيرة.

وجاء وضع مدينة نانت، بغرب فرنسا، في القائمة لمهرجانها الفني السنوي "لو فوياج نانت". ويركز المهرجان على الأعمال الجديدة للمدينة بما في ذلك التماثيل والمنشآت وحتى الحيوانات الميكانيكية، ليكون حتى التجول في أرجاء البلدة أشبه بكشف فني.

ويشاد بإسطنبول لما تحتويه من مزيج من الثقافة المعاصرة والتاريخية وبهندستها المعمارية التي تجمع بين التصميم البيزنطي والإسلامي.

الطباعة ثلاثية الأبعاد تعيد تشكيل العالم وتنقله إلى عهد جديد

ابتكارات متسارعة في أنشطة التصنيع والبناء والطب تقلب علاقات الإنتاج والدورة الاقتصادية

سلام سرحان
صحافي عراقي

وداعا للمعامل: دراجة نارية «تطبع» عند الطلب

❑ تتسارع يوما بعد يوم ابتكارات واستخدامات الطباعة ثلاثية الأبعاد بوتيرة يمكن أن تحدث انقلابات غير مسبوقة، من جميع الأنشطة الصناعية إلى البناء والإنشاءات وصولا إلى قطاعات الطب والفضاء، وما ينجم عنها من ارتدادات في علاقات العمل والإنتاج وطبيعة حياة البشر.

يمكننا أن نتخيّل تأثير ذلك على الدورة الاقتصادية حيث لن تحتاج المصانع ولا المستهلكون في منازلهم إلى طلب قطع الغيار من الشركات الأصلية وانتظار وصولها من مناطق وبلدان بعيدة.

وقد تتحول الشركات التقليدية والشركات الجديدة في مستقبل أبعد حين تنتشر الطابعات في أنحاء العالم من تصنيع بعض المعدات إلى بيع الخارطة ثلاثية الأبعاد إلى الزبائن لطباعتها في منازلهم ومكاتبهم.

وليست هذه التكنولوجيا وليدة الأمس القريب، فقد بدأت خطواتها الأولى منذ 4 عقود، لكن وتيرة التطور الجامح تسارعت مؤخرا وبدأت تزحف إلى جميع القطاعات تقريبا. وأصبحت متاحة في الأسواق بأسعار تتجه للانخفاض يوما بعد يوم مع اتساع نطاق الإنتاج والتوزيع.

وتنشغل الكثير من مختبرات العالم بتطوير الطابعات وخاصة البحث في تطوير المواد التي تستخدم في الطباعة. ويرجح الخبراء أن تشهد قفزات ابتكارية كبيرة تضاعف دورها بشكل كبير في السنوات المقبلة.

ويجمع الخبراء على أن الطباعة ثلاثية الأبعاد تقترب من إطلاق ثورة صناعية غير مسبوقة بتفجر مستويات الإنتاج الكثيف والفوري من المنتجات العامة والمفصلة حسب الطلب ورغبات الزبائن، ما يؤدي إلى تقليل المخزون ورفع كفاءة سلاسل التوريد وما يتبعه من تسريع وتيرة الابتكارات.

ويمكن أن تكون لها انعكاسات هائلة على سوق العمل تفوق تأثير انتشار الأتمتة والروبوتات، لأن الشركات لن تحتاج إلى الأيدي العاملة، حين تكتفي بابتكار نموذج واحد واستنساخه بالأعداد التي يحتاجها السوق.

كما ستشطب معظم وظائف قطاعات النقل والتخزين والتوزيع الكبيرة، حين تبدأ الشركات بطباعة منتجاتها قرب الأسواق فورا وحسب الطلب دون الحاجة إلى إنتاجها وتخزينها، ليمتد التأثير إلى إلغاء دور المتاجر.

ولم يكن أمام معظم إن لم نقل جميع الشركات العالمية الكبرى سوى التسابق للاستثمار في هذه التكنولوجيا، التي لا يمكن تفادي زحفها الحتمي، لأن التأخر في احتضانها قد يؤدي إلى انهيار تلك الشركات خلال المنعطفات المتسارعة لهذه التكنولوجيا.

على الجانب الآخر سيؤدي تطور الطابعات وزوال الكثير من التكاليف التشغيلية إلى تراجع الأسعار بشكل كبير وتوفير المزيد من البضائع والسلع ومعالجة أزمات الإسكان الكثيرة في العالم، حيث يمكن إنشاء أحياء ومدن جديدة بتكاليف منخفضة وخلال وقت قصير.

وتتيح ابتكارات الطباعة ثلاثية الأبعاد فرصا هائلة للتخصيص وتعزيز كفاءة جميع المؤسسات من خلال تزويدها بالقدرة على الاستفادة من الموارد بشكل كامل من خلال أنشطة وعمليات التطوير والتحسين، الأمر الذي يزيد المنافسة على تقديم الأفضل للمستهلكين.

وسيكون ذلك التطور السريع مستداما ويمكن التحكم به بدرجة أكبر من السابق، إضافة إلى التأثير الإيجابي الواسع على البيئة من خلال شطب الكثير من نشاطات التصنيع والنقل والخدمات اللوجستية. وسيقلص الكثير من الرحلات بنشاط الشركات وحركة الزبائن للذهاب إلى المتاجر حين تنتشر الطابعات المنزلية ثلاثية الأبعاد.

وستتمكن الشركات من مطابقة العرض والطلب بكفاءة عالية، بعد أن كانت من أكبر العقبات، إضافة إلى تقليص إنتاج النفايات المضرّة بالبيئة الناتجة عن التصنيع والنقل، الأمر الذي يخفّض الانبعاثات بدرجة كبيرة وانتفاء الحاجة إلى الكثير من أدوات الإنتاج وما قبل الإنتاج.

وتشير التقديرات إلى أن الطباعة ثلاثية الأبعاد يمكن أن تؤدي إلى خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون بنسبة 25 بالمئة من مستوياتها الحالية بحلول عام 2025.

ولا يكاد يمر أسبوع دون مفاجآت نوعية كبيرة في تكنولوجيا الطباعة ثلاثية الأبعاد، تحتل عناوين الأخبار وتشير إلى تحولات كبيرة في المستقبل القريب.

وأبرز ما حدث هذا الأسبوع هو ابتكار توصل إليه باحثون أميركيون يسمح باستخدام الضوء لنقل الطباعة ثلاثية الأبعاد إلى مدى جديد من الدقة العالية، وخبر آخر عن إنشاء أول مصنع لمفاصل الركبة في دبي بتلك التقنية تستجيب لمقاييس سكان المنطقة.

وأكد فريق من الباحثين في الولايات المتحدة ابتكار تقنية جديدة تسمح باستخدام الضوء في تحويل السوائل إلى أجسام صلبة ذات طبيعة معقدة في تصميمها بواسطة الطباعة ثلاثية الأبعاد في غضون دقائق.

وأطلقوا على الطابعة المجسمة الجديدة اسم "ربليكيتور" وتعني الجهاز الذي يخلق نسخة مطابقة في إشارة إلى جهاز ظهر في سلسلة أفلام الخيال العلمي "ستار تريك" وكان بمقدوره طباعة أي جسم من العدم، بناء على طلب المستخدم.

وأكدوا أن الطابعة ستنقل ما تقدمه الطباعة ثلاثية الأبعاد إلى مستويات جديدة الدقة، حيث تصنع أجساما أكثر نعومة في ملمسها وأكثر تعقيدا في تصميمها مقارنة بالنتائج التي تحققها الطابعات المستخدمة في الوقت الحالي.

ونقل الموقع الإلكتروني "تيك إكسبلور" عن الباحث هايدن تايلور، أستاذ الهندسة الميكانيكية في جامعة كاليفورنيا الأميركية تأكيده أن الطابعة الجديدة ستحدث انقلابا هائلا في عمليات التصميم.

وتعتمد التقنية الجديدة على استخدام مادة سائلة ذات طبيعة لزجة تتفاعل مع درجات معينة من الضوء بحيث تتحول إلى جسم صلب. ومن الممكن عن طريق توجيه أنماط معينة من الضوء على المادة السائلة التي يتم وضعها على أسطوانة دوارة تصنيع الأشكال المرغوب فيها بشكل فوري.

وفي الإمارات تم إنشاء أول مصنع لمفاصل الركبة بتقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد في مدينة دبي، وهو الأول من نوعه في العالم لإنتاج مفاصل تستجيب للمقاييس البيولوجية لسكان منطقة الشرق الأوسط والدول الآسيوية.

وأشار مهيمن عبدالغني، الرئيس التنفيذي للمستشفى، إلى أن تقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد تفيد في إنتاج مفصل يناسب مقاييس كل مريض، لتفادي المشاكل الناجمة عن زرع المفاصل بالطريقة التقليدية غير المصنعة خصيصا لكل مريض على حدة.

ويمكن أن يحدث ذلك نقلة نوعية للأوضاع الصحية تمتد إلى جميع المفاصل والعظام، خاصة أن المشكلة شائعة إلى حد كبير بين كبار السن في جميع أنحاء العالم.

ويهدف المركز إلى تقديم أحدث التقنيات في مجال تقويم المفاصل ويستخدم أيضا الذكاء الاصطناعي وأجهزة الروبوت الجراحي لعلاج حالات مرضى الخشونة المتقدمة في المفاصل.

وكانت شركة وينسون قد أنجزت طباعة 10 منازل كاملة الحجم في شرق الصين باستخدام طابعة ثلاثية الأبعاد. واستغرقت الطباعة يوما واحدا فقط، باستخدام الإسمنت سريع التجفيف، لكنها لم تعلن عن تفاصيل أسرار التكنولوجيا.

وتمتد الثورة التي تعد بها الطباعة المجسمة إلى آفاق لا حصر لها، حتى أن وكالة الفضاء الأميركية (ناسا) أرسلت طابعة إلى محطة الفضاء الدولية، وتمكن رواد الفضاء من طباعة أحد مكونات المحطة في الفضاء في خطوة نحو الاكتفاء الذاتي في تصنيع قطع الغيار التالفة.

وتقوم الطابعات بنفث طبقات رقيقة فوق بعضها بدقة تتراوح بين 400 ميكرون في الطابعات البلاستيكية و25 ميكرون لطابعات الليزر أو الطابعات الضوئية للحصول على مجسمات مماثلة للمجسم الذي تم وضعه على جهاز الكمبيوتر، أو الذي يتم مسحه بواسطة ناسخ ضوئي ثلاثي الأبعاد.

> الطباعة ثلاثية الأبعاد يمكن أن تؤدي لخفض الانبعاثات الكربونية بنسبة 25 بالمئة من مستوياتها الحالية بحلول عام 2025

وتمتد آفاق هذه الثورة الصناعية من طباعة المعدات المنزلية والشخصية، إلى النماذج المعمارية مرورا بالتقنيات الطبية مثل إنتاج المفاصل والأطراف الصناعية وأطقم الأسنان، وصولا إلى الأجهزة المنزلية والهواتف. وهي تعد بآفاق لا حصر لها.

وتثير إمكانية استنساخ الأسلحة خارج نطاق السلطة، مخاوف من وصول التقنية إلى جماعات خارجة عن القانون بعد أن تمكنت مجموعة تطلق على نفسها اسم "ديفينس ديستربيوتد" من تصنيع أول مسدس باستخدام طابعة ثلاثية الأبعاد، وأطلقت عليه اسم "المحرر" ما أثار قلق أعضاء في الكونغرس الأميركي.

وتثير طباعة هذا المسدس مخاوف من وصول ملف التصميم الثلاثي الأبعاد إلى الإنترنت، وبالتالي يتمكن من يملك طابعة ثلاثية الأبعاد من إنتاج مسدس، لا يوجد عليه رقم متسلسل، ولا يخضع لأي عقبات تنظيمية أخرى.

ويمكن للطباعة ثلاثية الأبعاد أن تحدث ثورة في مجال التعليم وتوفر أدوات أفضل للطلاب، من الخرائط والأعضاء المجسمة إلى نماذج المركبات الكيميائية.

ويعمل مبتكرون أطلقوا على أنفسهم "رب راب" لتطوير آلة للطباعة ثلاثية الأبعاد يمكنها طباعة معظم أجزائها لتكون قادرة على استنساخ نفسها، ويمكن تصنيفها ضمن الروبوتات مفتوحة المصدر، أي أنها متاحة بالكامل دون قيود أو احتكار للجميع دون أي مقابل.

وفي العام الماضي فجّرت شركة ابريشيا للمستحضرات الدوائية الأميركية ثقلة نوعية، حين حصلت على موافقة إدارة الغذاء والدواء الأميركية، على استخدام عقار أنتجته بتقنية الطباعة المجسمة، كدواء مساعد لعلاج الصرع.

ونجح جراحون صينيون في العام الماضي في زراعة جمجمة صنعت بالطباعة ثلاثية الأبعاد، لطفلة مصابة بمرض استسقاء الرأس، لتواصل نموها بطريقة طبيعية. وجرت عملية مماثلة في هولندا لمريضة عمرها 22 عاما.

وكانت شركة لوكال موتورز قد سرقت الأضواء في معرض أميركا الشمالية للسيارات في مدينة ديترويت الأميركية العام الماضي، حين مكنت الزوار من متابعة طباعة سيارة داخل المعرض، يمكن قيادتها فور انتهاء عملية إنتاجها بتقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد.

ويرى الخبراء أن هذه التقنية المفتوحة المصدر، بعكس التقنيات المحتكرة من قبل الشركات، ستسمح للمبتكرين بتطويرها بدءا بالبرامج والأجزاء الميكانيكية وحتى الخامات المستخدمة للوصول إلى أعلى جودة ممكنة بأقل تكلفة.

وتثير هذه التقنية مخاوف من انتشار القرصنة والفوضى الاقتصادية، حين يستطيع أي شخص استنساخ ما تقع يده عليه دون اعتبار لحقوق الملكية الفكرية، إضافة إلى إحالة مئات الملايين إلى البطالة.

وتشير عناوين الأخبار الواردة من الصين إلى أنها تقود العالم في الاستخدامات الواسعة لتكنولوجيا الطباعة ثلاثية الأبعاد، بعد أن وضعتها في أولويات أهدافها الاقتصادية الكبرى.

ولم تقف بكين عند الاستخدامات الصناعية بل أخذتها إلى نطاق أوسع لتصنيع طابعات عملاقة تستخدم في عمليات بناء المساكن والعمارات المرتفعة والجسور، التي يتم إنجازها خلال وقت قصير.

وفي الشرق الأوسط تنفرد الإمارات بإعطاء اهتمام كبير بمستقل هذه التقنيات المستقبلية. وقد أطلق الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة وحاكم دبي في عام 2016 استراتيجية لتنفيذ الطباعة ثلاثية الأبعاد بهدف تعزيز مكانة دبي كمركز للابتكار.

وتهدف الاستراتيجية إلى الوصول إلى طباعة نسبة 25 بالمئة على الأقل من جميع المباني الجديدة في دبي باستخدام التكنولوجيا ثلاثية الأبعاد.

وتم إنشاء أول مكتب مطبوع بتكنولوجيا الطباعة ثلاثية الأبعاد في مركز دبي المالي العالمي لبناء تصور حول المكاتب المستقبلية.

ويشير تسارع الابتكارات والفرص الناشئة عن الطباعة ثلاثية الأبعاد، إلى أنها ستفتح الآفاق لعصر من المنتجات والخدمات والتطبيقات الرائدة الجديدة. وستأخذنا تلك الابتكارات إلى عالم جديد من الفرص التي لا يمكن تصورها حاليا.

مهيمن عبدالغني:
أول مركز في العالم لتصنيع مفاصل ثلاثية الأبعاد يستجيب للتفاصيل الجسدية الفردية للمرضى

هايدن تايلور:
ابتكار طابعة تستخدم الضوء لتحويل السوائل إلى أجسام صلبة سيحدث انقلابا في التصاميم

ممارسة الرياضة أثناء استراحة العمل تعزز النشاط والإنتاجية

بعض الشركات تدرس فرض التمارين الرياضية خلال العمل لمحاربة الخمول

يربط الكثيرون الذهاب إلى العمل بالتعب والإجهاد والضغط، وبمجرد الانتهاء من الوظيفة يبحث جلهم عن أول فرصة للركون إلى الراحة، ولا تبدو ممارسة الرياضة في ذلك الوقت فكرة سديدة بالنسبة إليهم. ضيق الوقت وتراجع النشاط في آخر النهار دفعا مدربي اللياقة إلى حث الموظفين على انتهاز فترات الراحة للقيام ببعض الحركات غير المجهدة.

التمارين الرياضية تجنب ممارسها الشعور بضغوط وظيفته

❑ **لندن** – كشف باحثون أن ممارسة التمارين الرياضية، خلال فترة الاستراحة في العمل، تساعد على تجديد الطاقة وتحسين الدورة الدموية وتعزيز النشاط، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة التركيز وتعزيز الإنتاجية.

أوضح تقرير نشرته هيئة الإذاعة البريطانية (بي.بي.سي) أن ممارسة الرياضة أثناء يوم العمل تعود بفوائد عديدة على الصحة والوظائف الإدراكية، وهو ما من شأنه أن يساعد في تحسين الحالة المزاجية واللياقة البدنية والأداء في العمل. فخلال دراسة شملت أكثر من 200 موظف في بريطانيا عام 2008، خلص الباحثون إلى أن الموظفين الذين استخدموا صالات الألعاب الرياضية الملحقة بشركاتهم زادت قدرتهم على التركيز والإنجاز أثناء النهار، وكانوا أكثر رضىً عن العمل خلال الأيام التي تمرّنوا فيها أثناء ساعات العمل.

وفي عام 2013 انتهت دراسة أخرى إلى أنه بغض النظر عن المرحلة العمرية، فإن هناك "فوائد فورية" للوظائف الإدراكية جراء ممارسة تمارين رياضية معتدلة، مثل القيام بتمرين متوسط الشدة لمدة 15 دقيقة على دراجة ثابتة.

وتشير هذه النتائج إلى أن ممارسة التمارين الرياضية أثناء النهار قد تكون أفضل من ممارستها قبل بداية دوام العمل أو بعد نهايته.

ويُضاف هذا إلى المزايا التقليدية لممارسة النشاط البدني؛ ومن أبرز هذه المزايا إنقاص الوزن، والتغلب على الأرق، والاستمتاع بنوم هانئ، وتحسين القدرات الجنسية والحالة المزاجية، والوقاية من الأمراض.

وقد أثبتت دراسة عالمية موسعة أن ممارسة التمارين أثناء فترات العمل ووقت الفراغ تساعد على تقليل مخاطر الإصابة بالأزمات القلبية بشكل جوهري سواء في الدول النامية أو في البلدان المتقدمة.

وقد أجريت هذه الدراسة على أكثر من 29.000 شخص من 262 مركزا طبيا في 52 دولة بآسيا وأوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا وأستراليا وشمال أميركا وجنوبها. وقد نشرت نتائجها في النسخة الإلكترونية من جريدة القلب الأوروبية.

وقال الأستاذ كلايس هيلد كاتب الدراسة "حتى الآن لم تجر سوى دراسات قليلة حول علاقة ممارسة النشاط البدني في أوقات العمل وأوقات الفراغ بمخاطر التعرّض للأزمات القلبية".

وأضاف أنهم يعلمون الكثير عن العلاقة بين النشاط البدني ومخاطر الإصابة بأمراض الأوعية الدموية وأمراض القلب ولكن ما تضيفه هذه الدراسة هو الرؤية العالمية المتكاملة. فهذه الدراسة توضح أن ممارسة النشاط البدني بمستويات ضعيفة إلى متوسطة في أماكن العمل مع ممارسة أي نشاط في أوقات الفراغ تقللان من مخاطر الإصابة بالأزمات القلبية، هذا بعيداً عن عوامل الخطورة الأخرى عند الرجال والنساء من مختلف الأعمار في معظم مناطق العالم والدول ذات الدخول المنخفضة والمتوسطة والمرتفعة.

في هذه الدراسة قام باحثون من السويد وكندا والولايات المتحدة بمقارنة عادة ممارسة الرياضة أثناء العمل وفي أوقات الفراغ، بين مجموعتين، ضمت المجموعة الأولى 10.043 شخصا ممن عانوا من أزمة قلبية لأول مرة، في حين ضمت المجموعة الثانية 14.217 شخصا ممن يتمتعون بصحة جيدة. وسألوا المشاركين في الدراسة عما إذا كان عملهم يتطلب الجلوس فترات طويلة أم أنه يغلب عليه المشي بشكل كبير أو متوسط أو ما إذا كان يتطلب السير صعودا إلى الأعلى أو يتطلب حمل أثقال أو القيام بأعمال بدنية شاقة.

ووجد الباحثون أن الأشخاص الذين يتضمن عملهم نشاطا بدنيا ضعيفا إلى متوسط تقل لديهم مخاطر الإصابة بالأزمات القلبية بنسبة 22 بالمئة أو 11 بالمئة مقارنة بالأشخاص الذين يجبرهم عملهم على الجلوس فترات طويلة.

ويصف بيتر أنطونيو، مدرب اللياقة البدنية وخبير التغذية بنادي جامعة بيرمنغهام للألعاب الرياضية واللياقة البدنية، الخروج من مكان العمل لممارسة الرياضة أثناء فترة الاستراحة في منتصف النهار بأنه "فرصة ذهبية".

ويفسّر قائلا إن ذلك يمنح الموظف شعورا بالرضى عن النفس يمتد حتى نهاية اليوم، فضلا عن أنه يعزّز لياقته البدنية.

وقد لاحظ أنطونيو أن زبائنه من الموظفين الذين يمارسون التمارين الرياضية أثناء النهار تزيد قدرتهم على الإنجاز وينخفض معدل إجازاتهم المرضية. كما أن التمارين الرياضية مفيدة للصحة النفسية، لأنها تفصل المتدرب تماما عن مشاغل العمل وضغوطه والسيل الذي لا ينقطع من الاجتماعات ورسائل البريد الإلكتروني.

ويرى البعض أن مزايا الحصول على فترات الراحة لممارسة الرياضة البدنية لا تقتصر على بيئات العمل بل تتعداها أيضا إلى المدارس الابتدائية والثانوية، وقد أيدت ذلك بعض الأبحاث التي أشارت إلى أن الاستراحة من المهام المكررة والمجهود الذهني والخروج من الصف لمزاولة النشاط البدني واللعب، يساعدان التلاميذ على الانتباه ويحسنان أداءهم المعرفي.

وأشار تقرير البي.بي.سي إلى الجدل الذي أثير مؤخرا بين المؤسسات الصحية وأصحاب الشركات حول إمكانية فرض التمارين الرياضية كواجب إجباري على الموظفين في الشركات بهدف محاربة الخمول البدني الذي تسرب إلى بيئات العمل.

وبحسب مؤسسة أبحاث القلب الخيرية البريطانية، فإن أكثر من 20 مليون شخص في بريطانيا لا يمارسون التمارين الرياضية بالمعدل الموصى به، وهو 150 دقيقة أسبوعيا من النشاط الرياضي المعتدل أو 75 دقيقة من النشاط المكثف، وهذا يكلف هيئة الخدمات الصحية الوطنية البريطانية 1.2 مليار جنيه إسترليني سنويا.

ونقل التقرير مقالا كتبه ريان هولمز، الرئيس التنفيذي التقني لمنصة "هوتسوت" للتواصل الاجتماعي، وحقق انتشارا كبيرا، بعنوان "لماذا حان الوقت لتحفيز الموظفين ماديا على ممارسة التمارين الرياضية أثناء العمل".

وطالب هولمز في المقال بتطبيق سياسات في الشركات لحث الموظفين على ممارسة التمارين الرياضية أثناء ساعات العمل.

ويقول هولمز إنه من الصعب الحفاظ على مستوى الإنتاجية والأداء، ما دام الموظفون يموتون بأمراض القلب والسرطان والأمراض التنفسية التي يمكن الوقاية منها بالمحافظة على اللياقة البدنية والوزن الصحي.

يقول كريستيان آلن، الذي يعيش في مدينة بوسطن بولاية ماساتشوستس ويدير شركة ناشئة توفر للشركات برامج وتطبيقات لخدمة الزبائن، إنه يفضل ممارسة اليوغا ورفع الأثقال والركض أثناء يوم العمل، وقد ساعده العثور على أشخاص يشاركونه الاهتمام باللياقة البدنية في المواظبة على تلك الأنشطة في أوقات الراحة أثناء يوم العمل.

> مدرب اللياقة بيتر أنطونيو: الخروج من مكان العمل لممارسة الرياضة أثناء فترة الاستراحة يعد فرصة ذهبية

ويضيف "المداومة على ممارسة التمارين الرياضية كانت دائما تحسن صحتي وتعزز حالتي المعنوية طيلة السنوات التسع عشرة التي أديت فيها أعمالا مكتبية".

ومنذ ست سنوات، يجتمع آلن في ظهيرة كل يوم عمل مع مجموعة من الموظفين الذين التقاهم عبر موقع "ميت أب" للتعارف عبر الإنترنت، ليلعبوا كرة القدم. وقد خطرت له هذه الفكرة بعد أن رأى موظفين يجتمعون يوميا في منتصف النهار للعب كرة القدم.

ويقول "كنت حينها أركض مع بعض زملائي في العمل خلال وقت الراحة لبضعة أيام في الأسبوع، وراقت لي فكرة إضافة نشاط مختلف إلى الأنشطة اليومية".

وأوضح كاتب التقرير، برايان لوفكين، أن هذا الاتجاه للمواظبة على ممارسة الرياضة أثناء العمل قد لقي ترحيبا من الكثيرين، إذ تغيرت أيضا بيئات العمل لتسهّل على الموظفين ممارسة النشاط البدني أثناء وقت الراحة.

وتحرص الكثير من الشركات الآن على تخصيص مكان لصالة الألعاب الرياضية في مبانيها، كما تخصص بعض مراكز اللياقة البدنية في المقابل مساحات للعمل داخل منشآتها، مثل سلسلة صالات الألعاب الرياضية الفاخرة "إيكوينوكس"، التي وفرت مساحات خاصة مجهزة بطاولات ومقاعد تغري الموظفين الذين يعملون عن بعد بإحضار أجهزة الكمبيوتر المحمولة الخاصة بهم والاستغراق في العمل وسط الأجهزة الرياضية الخاصة برياضة المشي والتسلق والركض.

وبعض الشركات الناشئة تتخذ من مراكز اللياقة البدنية مقرا لها لتستفيد من تجهيزاتها الرياضية والمساحات المخصصة للعمل.

لكن بعض الخبراء يرون أن ثمة طرقا بسيطة للمواظبة على النشاط البدني يوميا، حتى إنْ لم يستطع الموظف أن يأخذ قسطا من الراحة لمدة ساعة أو أكثر أثناء العمل أو لم يستطع الذهاب إلى مراكز اللياقة البدنية الفخمة.

تقول ساندي تود ويبستر، رئيس تحرير المنشورات الصادرة عن جمعية "أيديا" للصحة واللياقة البدنية، إن "أي نشاط بدني من أي نوع سواء كانت مدته خمس دقائق أو ساعة أثناء العمل، سيعود عليك بفوائد صحية عديدة".

وتضيف "إذا أتيحت لك فرصة للمشي أو ممارسة التمارين الرياضية من أي نوع، فلا تضيعها، فإن فرص مزاولة النشاط البدني متاحة للجميع في كل مكان، وقد تغنيك عن زيارة صالة الألعاب الرياضية".

وتقول تود ويبستر "احتفظ بحذاء وجورب رياضي في مكان العمل، واخرج إلى الهواء الطلق لممارسة أي نشاط بدني في أوقات الراحة، أو كلما استطعت لخمس أو عشر أو عشرين دقيقة. وإذا كنت تعمل في مبنى، استخدم الدرج دائما واتبع أطول طريق إلى مكتبك، فكل هذه الخطوات تسهم في تحسين لياقتك البدنية". ويقول بعض الخبراء إن النشاط البدني مدة ساعة يوميا يجب أن يحظى بنفس القدر من الاهتمام الذي تحظى به اجتماعات العمل اليومية، مهما اختلفت أهدافك من وراء ممارسته ومهما اختلفت ظروف بيئة العمل.

وتقول تود ويبستر "العبرة بتنظيم الوقت. فلِمَ لا تضيف مثلا مزاولة التمارين الرياضية إلى جدول المهام اليومية، وتتعامل مع هذا الموعد كما لو كان موعدا مقدسا؟".

وتطرق التقرير إلى صعوبة ممارسة البعض للتمارين الرياضية أو أي نشاط بدني، أثناء العمل، بسبب تعنت بعض المدراء أو عدم توافر مرافق للاستحمام بعد الانتهاء من التمرين في صالة الألعاب الرياضية.

وقد تقتضي بعض الوظائف الجلوس على المكتب طيلة ساعات العمل. ويقول آلن إنه كان محظوظا لأنه عمل في شركات تراعي التوازن بين الحياة الشخصية والحياة العملية، ورغم ذلك لم تكن المواظبة على ممارسة الرياضة دائما سهلة.

ويضيف "كنت أعمل ضمن فريق، وكنت أتحرج من الخروج لممارسة التمارين الرياضية خشية أن تزيد أعباء العمل على زملائي. وكنت أراعي أيضا مشاعر زملائي الذين لا يستفيدون من سياسات الشركة ذات الصلة بممارسة النشاط البدني".

ولكنه يقول إن هذه الأعذار ينبغي ألا تعوقك عن وضع النشاط البدني في مقدمة أولوياتك، بل ربما تصبح دوافع تحفزك على التحدث عن فوائد الرياضة البدنية ومدى أهميتها بالنسبة إليك.

يقول بن مارتينوجا، عالم أعصاب وكاتب في مجال العلوم وباحث زائر في معهد فرانسيس كريك في لندن، "إن التأثيرات الناتجة عن التمرين تُذكرنا بأن عقولنا لا تعمل بمعزل بعيد عن نشاط جسدنا، فما تفعله يؤثر بشكل كبير على قدراتك العقلية. الجلوس طوال اليوم، وكل يوم، أمر خطير".

وأضاف مارتينوجا، نقلا عن صحيفة الغارديان البريطانية، "لا يُهم نوع النشاط أو الرياضة التي ستختار ممارستها، فقط قم باختيار أمر يثير سعادتك وحماسك واشرع في العمل عليه".

تمارين الأيروبكس تحسن مهارات التفكير

❑ **نيويورك** – أظهرت دراسات عديدة أن التمارين الرياضية يمكن أن تحسن الإدراك لدى كبار السن، لكن دراسة جديدة وجدت أن التدريبات القوية تعزز مهارات التفكير لدى البالغين الأصغر سنا أيضا.

وبعد ممارسة تدريبات الأيروبكس مدة ستة أشهر أظهر بالغون تتراوح أعمارهم بين 20 و67 عاما تحسنا في الوظائف التنفيذية –العمليات المعرفية المهمة للاستدلال والتخطيط وحل المشكلات– وزيادة في المادة الرمادية في منطقة الدماغ، وهي مادة مهمة لهذه الوظائف.

وذكر فريق الدراسة في دورية "طب الأعصاب" أن مجموعة المقارنة التي لم تمارس سوى تمارين الإطالة خلال الفترة نفسها لم تحقق الفوائد ذاتها.

ويقول كبير الباحثين في الدراسة، ياكوف شتيرن أستاذ علم النفس العصبي في المركز الطبي بجامعة كولومبيا في مدينة نيويورك، إن الناس ينظرون إلى التدهور العقلي على أنه شيء يحدث في مرحلة عمرية متقدمة. وأضاف "لكن حتى (إن كنت) في سن الثلاثين (فأنت) تحتاج إلى بعض المساعدة". ومضى قائلا "تظهر الكثير من الدراسات تراجعا في هذه الوظائف من سن العشرينات فما فوق. لذا فإن رسالة هذه الدراسة هي أن تمرينات الأيروبكس مهمة جدا حقا".

ونظرا إلى عدم إجراء دراسات من هذا النوع على الشباب والبالغين من متوسطي العمر، استعان شتيرن وزملاؤه بنحو 132 متطوعا، يبلغون من العمر 20 عاما أو أكثر، من أجل المشاركة في تجربة للنظر في تأثير التمارين الرياضية على الإدراك وهيكل الدماغ. ولم يكن أي من المتطوعين يمارس الأيروبكس قبل إجراء الدراسة.

خضع المتطوعون في بداية التجربة لاختبارات تقييم الوظائف التنفيذية والذاكرة العرضية وسرعة المعالجة الذهنية والقدرات اللغوية والتركيز. وقام الباحثون بتقسيمهم عشوائيا إلى مجموعتين واحدة مارست تدريبات الأيروبكس في حين مارست المجموعة الثانية تمارين الإطالة والتمدد.

وبحلول نهاية فترة الدراسة لم تشهد مجموعة تدريبات الإطالة زيادة كبيرة في القدرات الإدراكية بينما شهدت جميع الأعمار في مجموعة تدريبات الأيروبكس زيادة كبيرة في الوظائف العقلية، على الرغم من أن المشاركين الأكبر سنا أظهروا تحسنا أكبر مقارنة بالمشاركين الأصغر.

كما أظهرت فحوصات الرنين المغناطيسي زيادة في سمك قشرة الدماغ الأمامية لدى من مارسوا الأيروبكس في نهاية الدراسة التي امتدت 24 أسبوعا. وقال كيرك إريكسون، الأستاذ في قسم علم النفس في جامعة بيتسبرغ بولاية بنسلفانيا، إن الدراسة الجديدة تؤكد على أن التدريبات "وسيلة واعدة جدا للتأثير على الوظيفة الإدراكية".

> أستاذ علم النفس، كيرك إريكسون: النشاط البدني دواء ناجع جدا في تعزيز صحة الدماغ طوال العمر

وأضاف إريكسون أن الدراسة "تشير إلى أن النشاط البدني دواء ناجع جدا في تعزيز صحة الدماغ والصحة الإدراكية طوال العمر".

من الولاء إلى التعصب.. الشباب يضلون الطريق وراء فرقهم الرياضية

وسائل الإعلام أججت انفعالات الشباب وحماسهم المفرط

تحت مبرر الولاء انزلق مشجعو كرة القدم الشباب إلى التعصب الأعمى لفرقهم الرياضية المفضلة، بكل ما فيه من مظاهر سلبية وعنف وعدائية، وانساقت وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها لموجة التعصب، وباتت أحد أسباب الظاهرة بدلا من الحل.

الرياض - "الدين أفيون الشعوب" العبارة الشهيرة للمفكر الألماني كارل ماركس التي تداولتها الأجيال منذ القرن الثامن عشر، لم تعد ملائمة لعصر اليوم، وتحولت إلى نسخة محدثة على لسان المفكر الإنكليزي تيري إيجلنون "الكرة أفيون الشعوب"، وتبعها بالضرورة تحوّل الحماس والولاء والتشجيع وخصوصا لدى الشباب إلى تعصب أعمى في ظاهرة عامة عابرة للقارات تساوى فيها الشرق بالغرب.

التعصب الرياضي ظاهرة شبابية بامتياز تتغذى من الحماس وانفعال الشباب المفرط لتشجيع الفريق المفضل والاندفاع لمساندته والوقوف خلفه في المنافسات الرياضية تحت عنوان "الولاء"، الذي حُرّف هو الآخر ليبرر جميع المظاهر السيئة من شتائم وسخرية وتهكم وتحريض ضد الفرق المنافسة وصولا إلى العنف البدني، ويتحمل الإعلام الرياضي جزءا كبيرا من المسؤولية باعتراف المشجعين أنفسهم.

وباء متنقل

يذهب البعض إلى تسمية التعصب الرياضي بالوباء، الذي ينتقل بين الشباب ابتداء من الملاعب والأندية الرياضية، إلى مواقع التواصل الاجتماعي الساحة المفضلة لتراشق الاتهامات والشتم والقذف، وتجريح الآخرين والصراع ومخاصمة الأصدقاء.

ويقول سفيان كريمي من تونس (29 عاما)، ويشجع النادي الأفريقي، إنه وقع ضحية التعصب الرياضي في فترة ما من حياته إلى درجة أنه دخل في مشاحنات عديدة تطورت إلى عراك مع مشجعي الفريق المنافس الترجي، ووصل به الأمر إلى انهيار عصبي دخل إثره إلى المستشفى بعد خسارة فريقه.

> وسائل الإعلام مطالبة بالكف عن إشعال نيران التعصب، فقد كان لها دور بارز في تأليب المشجعين ضد بعضهم البعض

ويضيف كريمي أن استفاقته من داء التعصب الرياضي بدأت بعد هذه الأزمة، مؤكدا أن "هذه الظاهرة ستفتك بالرياضة إذا استمرّت بهذه الطريقة، لذلك يجب محاصرتها ومحاربة الغوغائيين والحدّ من انتشار ثقافتهم المريضة".

لا يوجد تاريخ محدّد لظهور التعصب الرياضي لكن بداية تحوله إلى ظاهرة خطيرة سجلت في إنكلترا، مع نشوء عصابات "الهوليغانز" في ستينات القرن الماضي، التي انطلقت من الاستاد الرياضي الإنكليزي وقامت بأعمال الشغب والعنف، وتوسع التعصب الرياضي إلى الدول الأوروبية، فبدأ باستحداث المدرجات الرياضية في التسعينات بعد كارثة ملعب هليزبره (1989) التي توفي خلالها 96 مشجعا، نتيجة فتح أبواب الاستاد في الوقت الذي كانت فيه الجماهير تحتشد قبل مباراة ليفربول ونوتنغهام، ثم بدأت هذه العصابات بالتوسع خارج الاستاد الرياضي، وفي دول أميركا الجنوبية حدثت جرائم قتل بحق لاعبين وسياسيين ورموز مجتمع بسبب التعصب الرياضي.

ولا يغيب التعصب الكروي عن ساحات الدول العربية، باعتبار كرة القدم الرياضة الأكثر شعبية والمتنفس المباح للشباب في المجتمعات المحافظة، وتسببت الظاهرة بأزمة دبلوماسية بين مصر والجزائر بعد مباراة كرة القدم بين منتخبي البلدين، في تصفيات كأس العالم لكرة القدم عام 2009. ولعب الإعلام دور البطولة في التحريض والهجوم وصبّ الزيت على النار ولم يرتفع عن مستوى المشجعين المتناحرين في المدرجات. وحتى في البلد الواحد تجاوز الأمر التشجيع ودخل في إطار التصنيفات مثل "هلالي أو نصراوي أو اتحادي" أو "زملكاوي أو أهلاوي"، وذلك بحسب الدولة التي يتبع لها النادي الرياضي، وفتحت هذه التصنيفات المجال واسعا إلى المشاحنات والتحريض والعنف، كما ساهم في تضخم الظاهرة دخول رؤساء الأندية في صراعات مع بعضهم البعض على مواقع التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام ما جعل جماهيرهم يحتشدون وراءهم.

سلوكيات مرفوضة

مسؤولية الإعلام

يستنجد باحثو اجتماع في السعودية بقادة الرأي من رموز المجتمع الدينية والسياسية، للحدّ من هذه الظاهرة، مطلقين تحذيرات من احتمال تدهور أو تفكك النسيج الاجتماعي مع استفحال الظاهرة.

واعتبروا أن وسائل الإعلام مطالبة بالكف عن إشعال نيران التعصب، فقد كان لها دور بارز في ذلك، وهذه المسؤولية تقع على المسؤولين في الصحف والفضائيات والمواقع الإعلامية المختلفة.

ويؤيد المتابعون على مواقع التواصل الاجتماعي القول بأن وسائل الإعلام تؤلب المشجعين ضد بعضهم البعض، وقال أحدهم إن التعصب الرياضي المتخلّف، أخرج جيلا أعمى البصر والبصيرة، وأوصل بعض الشباب إلى انتهاك الحرمات وشتم الأموات، اضبط الإعلاميين وحاسبهم وينتهي الأمر، الحل بمنع الإعلاميين المحرضين وإصدار قانون يعاقب من يثير التعصب وينشر ثقافة الروح الرياضية.

بدأ مشروع محاصرة التعصب الرياضي في السعودية، على أيدي بعض المشجعين الشباب الرافضين لتحوّل شغفهم بالكرة إلى ظاهرة سلبية توحي بالجهل وانعدام الوعي والثقافة والتعصب الأعمى، ثم صدرت قرارات تنظيمية صارمة للحد من التعصب الرياضي، واستهدفت الأنظمة الحدّ من الظاهرة وترويجها في وسائل الإعلام، وشاركت جهات حكومية مثل وزارة الداخلية، مضافا إليها وزارة الثقافة والإعلام والهيئة العامة للرياضة وهيئة الإعلام المرئي والمسموع في تطبيق القرارات الجديدة.

وتشمل القرارات متابعة ورصد كل ما يؤدي إلى التعصب الرياضي في وسائل الإعلام المختلفة، وحصر الأسماء المثيرة للتعصب واتخاذ إجراءات عاجلة تجاهها من قبل الجهات المختصة. وبحسب القرارات، فإن على وزارة الثقافة والإعلام وهيئة الإعلام المرئي اتخاذ إجراءات كفيلة بمنع وسائل الإعلام من نشر ما يؤدي إلى التعصب الرياضي، ورصد التجاوزات والإساءات في وسائل الإعلام المختلفة.

وعلّق صالح الحمادي الناقد الرياضي على هذه القرارات بقوله "التعصب أصبح كالداء المزمن الذي ينخر جسد الرياضة السعودية، ويجب ألا ننسى أن سبب تراجع المنتخبات ومستوى الكرة السعودية خلال الفترة الأخيرة عائد إلى التعصب الرياضي".

وأضاف "الأنظمة واللوائح وتطبيقها، بلا شك ستحدّ بشكل كبير من التعصب السائد والطاغي في الشارع الرياضي".

محاصرة الظاهرة

ووضعت وزارة التعليم آلية للوقاية من التعصب الرياضي بالمدارس، وأصدرت تعميما تضمن التأكيد على تفعيل وثيقة منهج التربية البدنية في التعليم العام المتضمنة تربية صفة التنافس المحمود وتعزيز قيم التسامح في دروس ومناشط التربية البدنية، من خلال جداول المدى والتتابع للخبرات التعليمية في الجانب الوجداني.

وأضاف التعميم التأكيد على تحقيق أهداف المشروع الشامل لتطوير المناهج من الاتجاهات الإيجابية اللازمة للمواطنة الصالحة، والمشاركة الفاعلة والمحافظة على الأمن والسلامة والبيئة وحقوق الإنسان.

وكذلك إعداد خطة تشتمل على عقد ملتقيات وبرامج وندوات دورية توعوية للطلاب والمعلمين، تهدف إلى الحد من كل ما يؤدي إلى إثارة التعصب الرياضي أو نشر الإساءات في وسائل الإعلام المختلفة، والرفع بها للإدارة العامة للنشاط الطلابي.

وتطرّق التعميم للتأكيد على تنفيذ اللوائح والتعليمات المنظمة للدورات والبطولات الرياضية المدرسية على تعزيز القيم التنافسية، وتوثيق التواصل الاجتماعي بين الطلاب، ونشر الألفة والمحبة بينهم والتأكيد على تنفيذ برامج وأنشطة تهدف إلى الحدّ من كل ما يؤدي إلى التعصب الرياضي من خلال الإذاعة والمسرح المدرسي والفعاليات التي تنفّذ في المدرسة. وكذلك تنفيذ الإجراءات الوقائية من الآثار السلبية للتعصب الرياضي التي تشمل الأدوات المدرسية أو الشخصية المخالفة، ومتابعة المخالفات واتخاذ ما يلزم حيالها.

وشددت الوزارة على معالجة سلوكيات التعصب الرياضي والظواهر غير التربوية وتوجيه الطلبة والطالبات وإرشادهم إلى السلوك القويم. وتوجيه رسائل توعوية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بالمدارس ومكاتب التعليم، والتأكيد على ما تضمّنه مشروع وثيقة حقوق الطالب ومسؤولياته.

لاعبو ومسؤولو نواد رياضية يشاركون في التحريض

الرياض – كشفت دراسة لمركز رؤية أن محاولة بعض الإعلاميين الرياضيين إثارة اللاعبين والجمهور قبل المباريات، هي من أبرز أسباب التعصب الرياضي بنسبة 60.6 بالمئة، وكذلك التعصب الشديد من بعض المشجعين لأنديتهم المفضلة بنسبة 58.2 بالمئة، فيما تأتي أخطاء الحكام والتي قد تغير من نتائج المباريات في المرتبة الثالثة بنسبة 58 بالمئة، وعدم وعي بعض المشجعين بدور الرياضة الحقيقي في حياتنا بنسبة 51.9 بالمئة، ومن الأسباب أيضا الاعتراضات المتكررة للاعبين على قرارات الحكام بنسبة 25.1 بالمئة.

ونتائج هذه الدراسة كشفها الدكتور عبدالعزيز الخالد عضو مركز رؤية للدراسات الاجتماعية، خلال مؤتمر التعصب الرياضي الذي عقد بجامعة القصيم في ديسمبر الماضي وناقش الآثار السلبية لظاهرة التعصب الرياضي على الألعاب والرياضات في السعودية، وتأثير ذلك على تميزها وقدرتها على المنافسة محليًا ودوليًا.

وبيّن الخالد أن ظاهرة التعصب الرياضي برزت باعتبارها ظاهرة اجتماعية متعددة المظاهر والأشكال، وترتبط بعدة أطراف أهمها: الجماهير، واللاعبون، والحكام، والمدربون، والإعلاميون ووسائل التواصل الاجتماعي، والإداريون ومسؤولو الرياضة والطاقم المساعد من أمن وأطباء ومساعدين، كما يرتبط بهذه الأطراف المسؤولة عن هذه الظاهرة مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمع.

بدوره استعرض الدكتور إبراهيم بن صالح الربيش ورقة بحثية بعنوان "التعصب الرياضي: حجمه ومؤشراته، وأسبابه ونظرياته، ومقترحات مواجهته".

وأوضح الربيش الفرق بين التعصب والانتماء، ومظاهر التعصب الرياضي عالميا ومحليا ومؤشراته، كما تطرّق لمفهوم التعصب الرياضي ونشأته والنظريات المفسرة للعوامل ذات العلاقة بمشكلة التعصب الرياضي، مشيرا إلى أن الجماهير والإداريين ووسائل الإعلام من أهم الأسباب التي تعمل على إثارة ظاهرة التعصب، نظرا إلى سلوكيات المشجعين الخاطئة وتصريحات الإداريين والأعضاء وتصرفاتهم التي تثير التعصب بين المشجعين وتؤدي إلى حدوث المشاكل والنزاعات، كما أن بعض وسائل الإعلام سواء أكانت مرئية أو مسموعة أو مقروءة زادت من المشكلة، وهذا بكتابتها أو إذاعتها لبعض أشكال التعصب، مما يثير باقي المشجعين ويؤدي لكراهية الأندية الأخرى.

وقدّم الربيش في دراسته عددا من المقترحات لمواجهة ظاهرة التعصب الرياضي في السعودية انطلاقاً من أهمية الموضوع ولما له من آثار سلبية على وحدة المجتمع وتلاحمه، وعلى العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة، تبدأ هذه المقترحات بتوعية المجتمع السعودي بأبعاد وآثار التعصب الرياضي، وتأهيل الأبناء لمواجهته، وإكسابهم قيم التعايش مع الآخر وقبوله.

التزام بالهدف

عربيات يخترقن الحواجز الذكورية في سباقات السيارات

نجاحات تاريخية تحققها المرأة العربية في الرياضات الميكانيكية

نجاح المرأة في سباقات السيارات لا يحدث بمحض الصدفة، فثمة إصرار على إثبات الوجود يشي بنوع من التحدي الكامن في عملية اقتحام النساء لمجال ارتبط تاريخيا بالرجال.

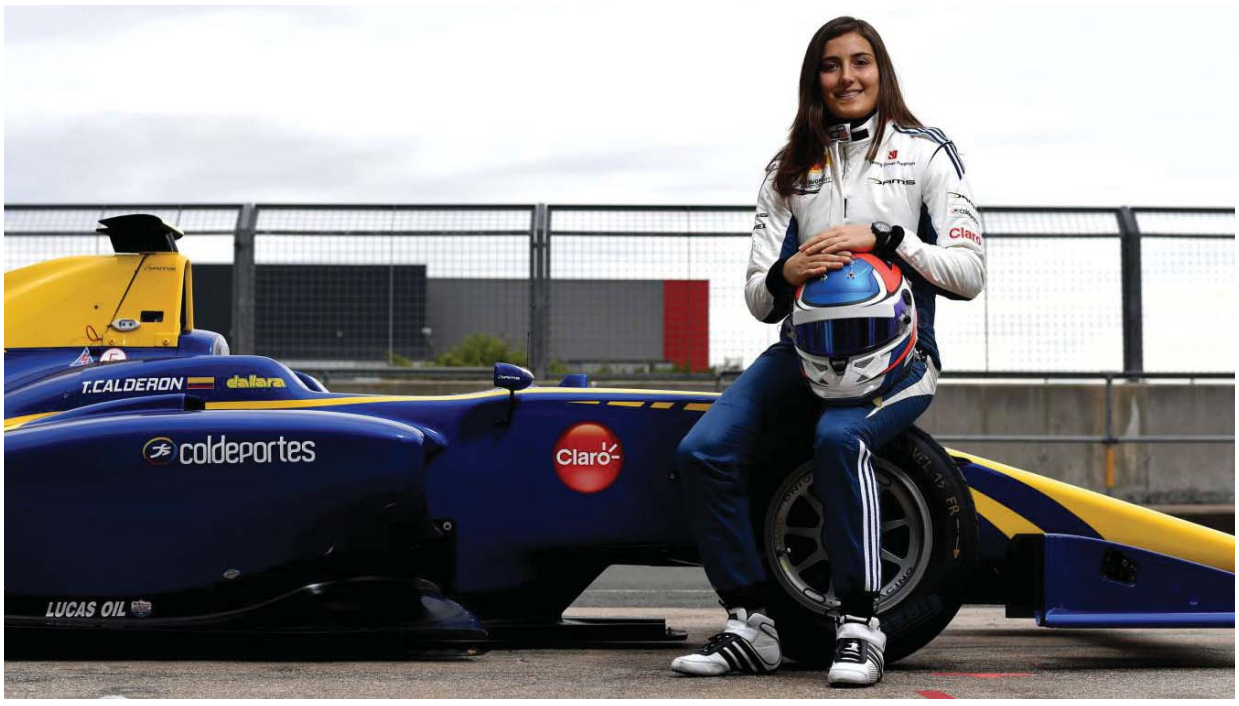

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

❏ ارتبطت سباقات السيارات والرياضات الميكانيكية بالرجال، الذين ساهموا في تطوير أساليبها وقواعدها عبر عقود، لتصبح في عُرف مجتمعات العالم حكرا على الذكور.

ولسنوات طويلة حالت المعتقدات الاجتماعية والنظرة الدونية للمرأة دون رغبة النساء في الجلوس خلف مقود السيارة، فانحصر دورهن على تشجيع المتسابقين من الرجال أو القيام بعروض دعائية على خط الانطلاق للجهة المنظمة والممولة للسباق.

ولكن وسط هذا الحضور الطاغي للرجال برزت نساء نجحن في كسر الهيمنة الذكورية على مقود السيارة، ونافسن الرجال على سباقات السيارات.

ولا تمتلك معظم عاشقات سباقات السرعة عضلات مفتولة تشبه عضلات الذكور، غير أن لكل قاعدة استثناءاتها، فهناك من النساء من استطعن تغيير ميادين هذه الرياضات، ليضفين على المشهد صورة أكثر إشراقا، لنساء قبلن خوض غمار التحدي مع الرجال، بهدف القضاء على الفوارق بين الجنسين في مختلف أنواع السباقات.

وخلفت الألمانية جوتا كلاينشميت انطباعا قويا عندما فازت عام 2001 في رالي باريس-داكار، لتصبح المرأة الوحيدة التي تحقق الفوز في السباق الأكثر صعوبة في العالم.

وحظيت الفرنسية ميشيل موتون بشهرة كبيرة في عالم السيارات، فهي من أكثر النساء اللواتي شاركن ضمن الفئات العُليا في هذه السباقات، فضلا عن فوزها بأربع جولات مع فريق "أودي" ضمن منافسات "دبليو آر سي" موسمي 1981 و1982، كما فازت بإحدى الفئات في سباق لومان 24 ساعة في عام 1975 وبمنافسات "بايكس بيك" لتسلّق الهضبة بعد ذلك بعشرة أعوام.

وتفخر الإيطالية ليلا لومباردي بكونها المرأة الوحيدة التي خلدت اسمها في تاريخ الفورمولا 1، بعد أن حصلت على نصف نقطة، خلال سباق جائزة إسبانيا الكبرى 1975 على حلبة مونتجويش بارك، عقب احتلالها المركز السادس في الترتيب العام.

وهنالك العديد من المتسابقات لمعت أسماؤهن في أشهر سباقات السيارات بالعالم، والتي مهدت لهن الطريق لتحقيق الشهرة، وحتى الثراء، وينطبق هذا بالأخص على المتسابقات المحترفات في الدول الغربية، غير أن الطريق لا يزال طويلا أمام المتسابقات بشكل عام لتحقيق المساواة مع المتسابقين المحترفين من الذكور.

وأرجعت دراسة سابقة أجرتها البريطانية جودي ايتون، المختصة في علم الأجناس والرياضة، بتكليف من الاتحاد الدولي للسيارات "فيا"(FIA)، الأسباب التي تمنع النساء من المشاركة في رياضة سباقات السيارات بشكل عام، وتفقدهن الطموح والحماسة للمنافسة الجادة في هذا المجال، إلى المضايقات التي يتعرضن لها من قبل المنافسين الرجال، بالإضافة إلى أن السباقات تزداد خطورة ومجازفة كلما تقدمت في مراحلها ومستوياتها، الأمر الذي قد يفسر انسحاب المتسابقات من المنافسة في أعمار مبكرة، وعدم تحقيق حلمهن بأن يصبحن بطلات محترفات في هذا المجال.

غير أن البعض من الخبراء عزا قلة تواجد النساء في هذه الرياضات إلى بنيتهن الجسدية، وليس ذلك تحيزا ضد الأنثى، بل هي الطبيعة البيولوجية التي خلقت عليها المرأة.

وقال البريطاني رون دينيس الرئيس السابق لفريق مكلارين لسباقات الفورمولا واحد للسيارات في أحد تصريحاته الصحافية، "إن هناك بعض الرياضات يصعب على النساء ممارستها لحاجتها لقوة جسدية، والفورمولا1- هي إحدى هذه الرياضات".

إلا أن هذا المعتقد قوضته الأميركية دانيكا باتريك في أبريل 2008 عندما تمكنت من انتزاع المركز الأول في أحد سباقات "اندي كار" للسيارات، خارقة بذلك حصارا مطبقا فرضه "الجنس الخشن" على هذا المضمار.

ولا شك أن فوز باتريك قد أثار الكثير من نقاط التعجب، إلا أنه أكد صحة مقولة "الإرادة القوية تقصر المسافات" لنابليون بونابرت، فقد أظهرت الكثير من المتسابقات أشياء قوية، تتعلق في الأساس بتحطيم الحدود والحواجز الذكورية المفروضة على رياضة السيارات، وتذكر بما يمكن للمرأة أن تحققه من نجاحات، حتى في المجتمعات العربية التي تغلب عليها سيطرة الذكور.

خرق الحصار الذكوري

وتعد التونسيات من بين النساء الأوائل على مستوى العالم العربي، اللواتي اقتحمن غمار رياضات السيارات والدراجات النارية وشاركن في سباقات الراليات الدولية الكبرى.

ولا يمكن التحدث عن مثل هذه الرياضات من دون الحديث مع نادية القمودي أول سائقة عربية وأفريقية تخوض سباق رالي السيارات.

عندما اقتحمت القمودي عالم الرالي، كانت بذلك تستلهم تجربة والدها محمد القمودي، البطل العربي والأولمبي في رياضة الساحة والميدان، ولكنها اختارت عالما خاصا بها يتسم بالمغامرة والتحدي، من أجل أن تستكمل مسيرة التألق لعائلة القمودي.

وشاركت القمودي في عدة راليات، وذاع صيتها عندما احترفت السباقات الدولية، وكانت سنة 2000 بداية انطلاقتها الحقيقية، حين شاركت في أول رالي دولي في مصر، لتدخل بذلك التاريخ كأول عربية تشارك في سباق للسيارات، وتحصل على نتيجة مشرفة على المستوى العربي، ثم توالت مشاركاتها وإنجازاتها في الراليات الدولية ومنها رالي باريس-داكار ورالي البرتغال ورالي مصر وغيرها، فحققت أرقاما قياسية لفتت انتباه وسائل الإعلام الأجنبية التي تحدثت عنها بإعجاب كبير، وبعد مسيرتها الحافلة بالنجاحات، فكرت القمودي في تنظيم أول رالي نسائي دولي بمواصفات تونسية، أطلقت عليه اسم "رالي الفراشات".

تحكي القمودي التي تشغل حاليا منصب نائبة رئيس النادي الوطني التونسي للسيارات ورئيسة لجنة النساء لسباق السيارات (Women in Motorsport)، عن أسباب تعلقها بهذا النوع من الرياضات قائلة "حبي لهذه الرياضة، إنما هو امتداد لحبي للصحراء ومغامراتها ودروسها الملهمة".

وأضافت القمودي لـ"العرب" "لقد تلقيت تكوينا في مدرسة والدي المثالية محمد القمودي الله يحفظه، ولهذا استوعبت الدروس بسرعة في السباقات وفهمتها رغم قلة خبرتي، فقد كنت أصغر سائقة في العالم (22 سنة) حين شاركت في أول داكار لي".

وتابعت "تعلمت أيضا الكثير من أرجاء الصحراء الشاسعة ومتاهاتها الكبيرة، لقد ألهمتني الصبر والتحدي والتواضع والذكاء والفطنة... واختبرت تجربة الحرص والتركيز الكامل على كل شيء دقيق في القيادة، عشت في كنف الصحراء، فأثرت فيّ وتأثرت بها، لقد علمتني علما لا يدرس في المدارس العادية، وهو أن أكون واعية بما أفعل تمام الوعي".

وعن المهارات التي تحتاجها المرأة لممارسة هذه الرياضة، تؤكد القمودي أن لا فرق بين المرأة والرجل، فكلاهما في حاجة إلى الذكاء والبنية الجسدية، مشددة في الوقت نفسه على أن النساء بوسعهن تحقيق نفس النتائج التي يحققها الرجال في هذا المجال، والفرق الوحيد بينهن والرجال، يكمن في كيفية مواجهة كل طرف للصعوبات التي قد تعترض طريقه.

قبلت التحدي من أجل تذوق نشوة الانتصار

وترى القمودي أن أي نجاح للمرأة، يرتبط بالأساس بسقف طموحاتها فكلما كان مرتفعا ازدادت إنجازاتها.

وأثنت على الدعم الكبير الذي تلقته من عائلتها، ومثّل أهم حافز لها لفرض وجودها في سباقات الرالي، أما المضايقات التي اعترضتها، فتنظر إليها على أنها أشبه بسحابة صيف عابرة، ولذلك لم تعرها أي اهتمام، وعقدت عزمها على مواصلة مشوارها في المجال الذي عشقته منذ نعومة أظفارها.

ولفتت القمودي في خاتمة حديثها إلى أن عدد المشاركات في رياضات السيارات قد زاد في العقود الأخيرة، بفضل جهود اللجنة النسائية التي ترأسها بطلة العالم ميشيل موتون في الجامعة الدولية للنهوض بالرياضة الميكانيكية، وتتمنى أن يكون المستقبل أكثر إشراقا للجيل القادم من الفتيات في جميع الرياضات الميكانيكية على حد السواء.

مجال ملبد بالعقبات

ويبدو أن التونسيات العاشقات والمحترفات لرياضات السيارات يشتركن في عدة سمات، مثل التفاني منقطع النظير والإصرار والعزيمة التي لا تقهر، والمران المتواصل بالإضافة إلى الموهبة الفطرية.

وتسيطر على زهراء يزيدي، أول امرأة مديرة سباق في الجامعة التونسية لسباقات السيارات، مشاعر جارفة تجاه ما اعتبرته حلم حياتها، الذي ثابرت طويلا من أجل تحقيقه على أرض الواقع.

شغف يزيدي الكبير برياضة سباق السيارات دفعها إلى التخصص في الهندسة الميكانيكية، حتى تذلل جميع العوائق التي قد تحول بينها وبين طموحها.

تروي يزيدي باعتزاز تجربتها لـ"العرب" قائلة "حبي لهذه الرياضة ولد بالفطرة وكبر عبر السنوات، لقد تخصصت في دراستي الجامعية في الهندسة الميكانيكية، ولكن لم يهدأ لي بال، إلا بعد أن مارست هواياتي التي عشقتها وأصبحت مع الوقت تسري في دمي".

وتضيف "تعلمت الكثير من المعاني السامية من هذه الرياضة، وأثرت في حياتي بصورة إيجابية، وأدين بالفضل في هذا كله للعديد من المختصين الذين قبلوني بينهم وساعدوني وأثروا موهبتي ودربوني، لأصبح أول امرأة تونسية مديرة سباق في بلدي".

وتواصل "لم تكن عائلتي في بادئ الأمر متحمسة جدا، حيث لم أتلق الدعم سوى من والدتي لأن المرأة وحدها تقدر ما تريده المرأة، إلا أن اعتراضهم كان أكبر حافز لي على المثابرة والنجاح، وعندما تدفق النجاح، أصبح الجميع يشعرون بالفخر".

وتوضح "حسب اعتقادي ممارسة هذه الرياضة لا تحتاج سوى إلى ما تشعر به المرأة من حماسة وما تطمح إليه من خلال ذلك، ولا يجب أن تدع الآخرين يفرضون عليها آراءهم ويحرمونها من موهبة يمكن أن تحقق فيها أفضل نجاح ومتعة".

وعبرت يزيدي عن أسفها لعدم إقبال النساء على ممارسة هذه الرياضة، معتبرة أن هذا المجال مازال ملبدا بالعقبات وخاصة بالنسبة للمرأة، وهي في مجملها نابعة من موروثات وأعراف اجتماعية بالية هدفها إحباط المرأة.

وتعتقد يزيدي أن المرأة التونسية قادرة على أن تتخطى هذه العقبات بالإصرار والعزيمة، ولكنها تتمنى أيضا أن تحظى هذه الرياضات بالدعم والتشجيع من السلطات المعنية حتى تتمكن محباتها من إيجاد مكان لهن فيها، تماما كما الرجال.

لكن رغم المشكلات المادية وغياب الدعم فإن الجامعة التونسية لرياضة السيارات قد نجحت في تنظيم العديد من التظاهرات في مختلف أصناف السباقات، كما أن عاشقات رياضة السيارات مازلن عاقدات العزم على مواصلة درب التحدي.

ويحمل حديث أحلام بوعفيف التي تشغل منصب الكاتبة العامة بالجامعة التونسية للسيارات أثرا قويا لمشاعر يمتزج فيها الإصرار على التكيف مع مختلف الظروف، والرغبة الجامحة في تحقيق الكثير من الإنجازات على المستوى المحلي والدولي.

تقول بوعفيف لـ"العرب" "لم تكن لدي خبرة كبيرة في هذا المجال إلا أنني مع الوقت تمكنت من استيعاب الكثير من الأمور، وكونت تجربة لا بأس بها، رغم أن منصبي بالأساس إداري".

وتستدرك "لكن العوائق الأساسية بالنسبة لنا لا تكمن في العقلية الاجتماعية التي ترفض مشاركة المرأة في هذا المجال، على العكس المرأة التونسية رائدة في العديد من الميادين وفكرة أن تشارك النساء في سباق سيارات أو تدير السباق ككحمة لا تمثل إشكالا في المجتمع التونسي، على العكس تلاقي الترحيب والاعتزاز على الأغلب، لكن رياضة السيارات مكلفة وتتطلب موارد مالية ضخمة، وهذه هي المشكلة الأساسية التي تجعلنا نتقدم بخطوات جد بطيئة".

وتضيف "لقد حفر دوما في عقول المتسابقات أن عليهن أن يعتمدن على أنفسهن، وأن يكنّ في المقدمة، والحاجة إلى البقاء في المقدمة كانت دائما جزءا من كيان المرأة التونسية التي لا تستسلم بسهولة".

وشددت بوعفيف بقولها "جميع المتسابقات يسعين دائما للمشاركة في السباقات بسعادة غامرة. وعندما نراهن يظهرن ذلك، تتراوح مشاعرنا ما بين الفرح والرغبة في أن نقدم لهن أفضل الإمكانيات، فهن طموحات، ويردن أن يحققن أفضل النتائج، وهذا مؤشر على أنهن سيتمكن من التألق رغم جميع العوائق، وسيرفعن دائما راية تونس عاليا بإذن الله".

ثمة أسباب عديدة ومتنوعة يمكن أن تفسر ضعف مشاركة النساء العربيات في رياضات السيارات بشكل عام، ولكن طموح البعض ممن عشقن هذا الميدان، يجعلهن أحيانا يحذون حذو الحصان الأسطوري المجنح "الكوليما" الذي يطير المئات من الأميال في يوم واحد.

وجها لوجه مع الصحراء

فرغم أن قلة من النساء المصريات تجذبهن رياضات السرعة التي ظلت لسنوات طويلة حكرا على الرجال، ومازالت، إلا أن سائقة الرالي الوحيدة في مصر يارا شلبي تمتلك عزيمة متقدة، تجعلها تترك كل العوائق خلف ظهرها، ولا تفكر سوى في كيفية الحفاظ على حيويتها وحماسها ونشاطها، حتى يتسنى لها بسهولة تجاوز الحواجز الواحد تلو الآخر، ومواصلة دربها.

لم تكن شلبي خبيرة في سباق السيارات، ولكنها وقعت أسيرة لحب الصحراء عندما كانت ترافق عائلتها في بعض الرحلات، إلى أن صار التخييم في الصحراء مُتعتها المفضلة في الحياة، ومن هنا نشأت قصة عشقها لسباق الرالي.

وتتذكر شلبي تلك اللحظات قائلة "لقد أحببت الصحراء ودروبها الشاسعة منذ طفولتي.. لطالما خرجت في رحلات سفاري مع عائلتي، إلى أن أتيحت لي الفرصة لشراء سيارتي الخاصة، فتمكنت حينها من تلبية شغفي بالقيادة السريعة في أرجاء الصحراء الشاسعة، ومن هنا بدأت أكتشف في نفسي ولعا داخليا بالرالي، فأصررت على أن أخوض هذه المغامرة الممتعة".

لم يكن الأمر في البداية سهلا على شلبي، فهي متسابقة حديثة العهد بالرالي ولا تملك أي خبرة بميكانيك السيارات ولا بالملاحة وكان عليها أن تفكر طوال الوقت في ضغط الإطارات وكم تبقى من الوقود في السيارة وفي وضع المكابح، فلا شيء كان يشغلها غير هذا المضمار، لكن مع مرور الوقت، وبعد ما خاضته من تجارب وسباقات مختلفة اكتسبت الخبرة في ذلك المجال.

وتضيف شلبي لـ"العرب" "لقد استخف بي الكثيرون لأنني امرأة، وحاول البعض إحباطي لكوني أمًا أيضا، معتقدين أنه من الصعب عليّ التوفيق بين المهام الأسرية وسباق الرالي، فعقدت العزم على تبديد مختلف هذه الأفكار، وانتزاع اعتراف الآخرين بالمساواة بين السائقات والسائقين في السباقات".

وفي عام 2012 فكرت شلبي في تأسيس مدرسة خاصة لتعليم النساء كيفية قيادة السيارات في الصحراء، بهدف تشجيع الفتيات على المشاركة في سباقات السيارات وكسر الاحتكار الرجولي لهذا المجال.

وشاركت شلبي في عدة راليات محلية ودولية، فضلا عن الراليات التي أُقيمت في بلدان عربية، مثل الإمارات والهند والأردن وقطر، وحققت خلالها مراكز مشرفة.

وتمثل نتائج السباقات التي خاضتها شلبي خير شاهد على مهارتها، إذ تمكنت من انتزاع المرتبة الأولى في الفئة الوطنية من رالي الفراعنة في العام 2014، كما اختيرت من قبل الاتحاد الدولي للسيارات في عام 2015 لتمثيل الشرق الأوسط وأفريقيا، إلا أن الحلم الكبير الذي مازال يراودها بشدة هو التتويج بلقب بطلة العالم في الرالي.

وستواصل شلبي مطاردة حلمها، ولن تدع أي عوائق في طريقها تحول دون تحقيق هدفها المنشود.

يارا شلبي:
في البداية استخف بي الكثيرون، لكنني عقدت العزم على انتزاع اعتراف الآخرين بالمساواة بين السائقات والسائقين

نادية القمودي:
عشت في كنف الصحراء، فأثرت فيّ وتأثرت بها، لقد علمتني علما لا يدرس في المدارس العادية

زهراء يزيدي:
ممارسة رياضة السباقات لا تحتاج سوى إلى ما تشعر به المرأة من حماسة وما تطمح إليه من خلال ذلك

أحلام بوعفيف:
المرأة التونسية رائدة في العديد من الميادين وفكرة أن تشارك النساء في سباق سيارات لا تمثل إشكالا

تقاسم الحمل بين أفراد الأسرة يخفف التوتر

تطوير عادات تواكب تغيرات الحياة يجنب العائلة الاضطراب والضغوط

تقول العديد من الدراسات إن التوتر الناتج عن الضغط النفسي جراء كثرة المسؤوليات ومتطلبات الأسرة والبيت والعمل والعلاقات والمال، يمثل أبرز سمات الحياة العصرية. ويحاول الخبراء والمختصون في علم النفس وجودة الحياة اقتراح حلول وتدابير تخفف من حدة التوتر الذي يقف وراء العديد من المشكلات السلوكية والعلائقية والنفسية ويفرز العديد من الظواهر الاجتماعية أيضا. ويقول العديد من الخبراء إن هناك تدابير وسلوكيات بسيطة يمكن أن تخفف على الناس وخاصة أرباب الأسر من ضغط الحياة اليومية سواء في العلاقة بالعائلة أو في العمل أو غيرهما.

❏ **لندن – تلعب العلاقة الزوجية وطرق التفاعل وحل المشكلات ومواجهة المهام اليومية بين الأزواج دورا هاما في خلق بعض من التوتر النفسي، ولا ينتبه العديد من الأزواج إلى أن جانبا هاما من حالة التوتر التي يجدون فيها أنفسهم قد يكون مأتاه تفاصيل صغيرة في حياتهم اليومية، ولا يدرك غالبيتهم أنها من بين الأشياء التي تسبب قلقا وتوترا يوميا يصاحب الشخص ويؤثر بقدر غير متوقع على حالته النفسية.**

وتنصح كيت طومسون المحللة والمعالجة النفسية الأزواج بالعمل على حل المشاكل الصغيرة، مشيرة إلى أن بعض الضغوط اليومية من قبيل من سيخرج القمامة، من سيأخذ الأطفال إلى المدرسة، تؤثر على الأزواج.

وتقول طومسون لصحيفة الغارديان البريطانية "قد تبدو هذه الجوانب تافهة مقارنة بالعقبات الأكثر أهمية مثل الانتقال من المنزل، أو فقدان الوظيفة، أو وفاة أحد الوالدين، لكن الأبحاث تظهر أن كيفية إدارة الزوجين لهذه الضغوط الصغيرة تؤثر بشكل كبير على كيفية تعاملهما مع مشكلات أكبر".

> لا تعاني وحدك، فأنت تحتاجين إلى التحدث مع الآخر. يمكن أن تؤدي مواجهة الأمور إلى إحساس متجدد بالتقرب وتقليل التوتر. كما لا يجب أن تتحول المواجهة إلى أصوات مرتفعة وفقدان السيطرة

وتضيف "لاحظ كيف تشعر، فبدلا من تخزين هذه المشاعر، تحدث مع شريكك عن ذلك"، موضحة أن الطرف المتلقي، عليه بالاستماع، وطرح الأسئلة، ومحاولة فهم وجهة نظر الشخص الآخر لأن فهم سلوكيات الطرف الآخر يساعد "الشخص المتألم" على عدم الشعور بالوحدة، ويشعر الزوجان بأنهما أكثر انسجاما.

وتشير طومسون "غالبا ما يفاجأ الأزواج الذين أعمل معهم كمعالجة، حتى أولئك الذين يعيشون معا منذ مدة طويلة، بكيفية شعور الشخص الآخر".

وتنوه المختصة النفسية بأهمية مشاركة الحمل بين الزوجين، لأن الإجهاد الكبير يمكن أن يؤثر على كل من الطرفين وعلى سبيل المثال إذا فقد شخص وظيفته، قد يشعر

مواساة الشريك ترفع معنوياته

الآخر بضغط إضافي أو يحزن على حالة شريكه المهنية. إن التفكير في العلاقة بعقلية "نحن"، و"كيف يمكننا معالجة هذا معا؟" يساعد الشخص المتضرر، بدل أن يتحمل أحد الزوجين العبء وحده.

ويمنع الشركاء أحيانا بعضهم البعض من محاولة التغيير، ويتخذون دور "حارس البوابة"، ويعتقدون أنه من الواجب القيام بالأشياء "على طريقتهم"، فالوالد المتعب الذي يشتكي من المشاركة في استحمام طفله، ما الذي قد يفوته عند عدم التواصل مع صغيره في نهاية اليوم؟ هل يمكن للشريك الذي لا يريد التسوق أن يتقبل ماركات البقالة التي لا يختارها؟ فوفق طومسون، يحتاج الزوجان إلى التوصل إلى حل جيد يلبي احتياجاتهما.

وتبدأ الصعوبات بالانهيار في أغلب الأحيان عند تواصل الزوجين، ويفسر علم النفس ذلك بتوقف الشركاء الذين يعانون من التوتر عن مشاركة أفكارهم مع الطرف الآخر، وتغرق عقولهم في جروح ومخاوف، وجميعها تتراكم لتفيض في الحياة المشتركة.

وتوصي طومسون الزوجة "لا تعاني وحدك، فأنت تحتاجين إلى التحدث مع الآخر. يمكن أن تؤدي مواجهة الأمور إلى إحساس متجدد بالتقرب وتقليل التوتر. كما لا يجب أن تتحوّل المواجهة إلى أصوات مرتفعة وفقدان السيطرة". وتوضح "يجب فعل ذلك بروح الفضول، وليس في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلا، أو مصادمة من تعتقد أنه قد أخطأ، حينها ستكتشف أن علاقتك يمكن أن تكون موردا هائلا ضد الصعوبات اليومية".

ولمواجهة ضغوط العمل وما تسببه من توتر تقول أوتيغا أوأغبا مؤلفة "الكتاب الأسود الصغير: دليل للنساء العاملات" ناصحة "لا تكن الضحية؛ اطلب المساعدة، إذا كنت تشعر بأنك غاضب حقا، تحدث إلى مديرك عن الحلول التي قد تخفف من حدة التوتر، سواء كان ذلك يعني إزالة مشروع من قائمة أعمالك، أو الحصول على المزيد من الدعم من زملائك".

وتشير الكاتبة إلى أهمية تحديد الأولويات في العمل بدءا بأخذ نظرة شاملة لقائمة المهام، ومعرفة إن كان هناك ما يمكن القيام به لتسهيل القيام بالمهام المطلوبة، مع اتخاذ الحزم وسيلة لمعرفة ما يمكن تأجيله أو تفويضه أو تخطيه تماما.

وتضيف أوتيغا "إن يوم العمل يصل إلى 8 ساعات أو أكثر دون أي استراحة مناسبة، هو وصفة لكارثة. لذلك استهدف فترات قصيرة من النشاط المركّز تتخللها فترات راحة منتظمة. ولا تتخطّ الغداء مطلقا، وتناوله بعيدا عن مكتبك".

ويحتل التحدث إلى الأصدقاء مكانة هامة في تخفيف التوتر إذ ينصح الخبراء "تحدث مع أصدقائك: ابحث عن صديق أو زميل تثق به للتحدث عن مشاكلك. قد يساعدك على رؤية الأمور من منظور جديد". ويؤكدون "قل لا أكثر من مرة: إنّ إرهاق نفسك أكثر من اللازم في محاولة للاستجابة لكل طلب هي طريقة مؤكدة لتصعيد مستويات التوتر لديك. لا تندمج في العمل المفرط على حساب إحساسك بالهدوء".

من جانبها تشير أوتيغا "كافئ نفسك: لا تنس مكافأة نفسك على عمل جيد، سواء كان ذلك بحمام لمدة طويلة، أو وجبة لذيذة، أو رحلة علاجية في أحد المنتجعات. لا تقلل أبدا من تأثيرات الراحة في تعزيز ذاتك وتجديد طاقتك".

وتعد التغييرات الطارئة على حياة الأسرة أحد أهم دوافع الشعور بالضغط والتوتر خاصة في حال لا توجد لدى العائلة عادات ثابتة يتم اتباعها لأجل الحفاظ على طابع الاستقرار في حياتها وتعتبر الدكتورة رينيه سينغ مديرة تنفيذية في جمعية للعلاج الأسري أن الإجهاد العائلي غالبا ما يتبع كل التغييرات التي تشمل نوعين هما تغييرات تندرج في دورات الحياة العادية والتي نواجهها جميعا مثل وظيفة جديدة، ولادة رضيع، انتقال منزلي، موت أحد الوالدين، دخول طفل إلى المدرسة... وتغييرات غير متوقعة مثل فقدان الوظيفة، المرض.

ويساعد النوع الأول، على إنشاء العائلة لعادات تدور حول مراحل دورة الحياة، لجعل الانتقال أسهل وللتعرف والتأقلم مع التغيير اعتمادا على الخلفية الثقافية أو الدينية، وقد تكون هذه العادات جزءا من الحياة بالفعل. يمكن أن تشمل هذه العادات عشاء تخرّج، أو حفل تقاعد. ويصعب الانتقال في التغييرات غير المتوقعة لأن العائلة لم تطور طريقة للتعامل معها.

وتؤكد المختصة في العلاج الأسري على أهمية إعطاء الأولوية لوقت العائلة موضحة "خصص وقتا للعائلة. يعتبر أي نشاط مشترك جيدا (ألعاب جماعية، تناول الطعام معا دون شاشات على المائدة، مشاهدة فيلم، رحلات بالسيارة...)، كثيرا ما أقترح على الآباء قضاء وقت مع الأطفال، لخلق فرص للمحادثات حول حياتهم المدرسية وصداقاتهم.

ويجب أن تواجه الأسرة كل المشاكل معا، ففي العلاج العائلي، عادة ما يكون هناك شخص واحد، دائما ما يقلق الآخرون بشأنه. ومن المهم عدم إلقاء اللوم على فرد بسبب انهيار العائلة، لذلك علينا فصل الشخص عن المشكلة. كما يمكن للتركيز على مشكلة فرد ما أن يحجب مشاكل أخرى.

وتشدد سينغ قائلة "تجنب إلقاء اللوم لأنه يجب التمييز بين اللوم والمسؤولية، ويجب على كل فرد في العائلة تحمل المسؤولية عن السلوك الذي يسبب مشكلة، وأن يعمل على اتخاذ قرارات مختلفة في المستقبل".

الغراب لابنه: طر يا بني.. ليس لي ما أضيف

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

❏ قصص أنصح كل أسرة بإعادة كتابتها مع الأطفال من بينها قصة الصرصار، عاشق الصيف الأهوج، هذا المغنواتي والعازف الكسول، الاتكالي المستهتر، تطرده النملة الرصينة المثابرة حين جاء يدق بابها في الشتاء وتلقنه درسا في جدوى العمل وأهمية الادخار والتوفير ولزوم خلع ثوب الهزل والترفيه.

فكرة باهتة بلون دفاتر الطفولة التي عادة ما أتفحصها في الذاكرة حين يداهمني حنين بمذاق الهزيمة فأقول لنفسي رفقا بهذا الفنان الرقيق، عاشق الحياة، وهو يرثي بعزفه السنابل الصفراء قبيل الحصاد، ويشحن همم قطعان النمل الخائفة من شتاء قد لا تدركه.

ما أخف عقل قوافل النمل المتهافتة على حبات قد يلتهمها السوس في المستودعات الرطبة. أما الأبعد من ذلك كله، فهو هذا اللؤم وهذا البخل.. ما هذا الحقد الدفين لعزيزتنا النملة وهي تغلق الباب أمام مستجير محتاج، ذنبه أنه تعلم العزف ولم يتعلم جمع القمح أو سرقته من بيادر الذين تعبوا في زرعه. من الاتكالي، الصرصار أم النملة؟

مهلا... هناك قصة أخرى تستغبينا بدورها وتضحك على عقولنا، إنها قصة الأرنب ذي الفرو الناعم والوداعة المحببة في سباقه المزعوم مع السلحفاة. هذا المسالم الهارب من بنادق الصيادين والذي خلق ليسابق النسائم... ما الذي غرر به ودفعه إلى سباق غير متكافئ مع سلحفاة باردة الدم، بطيئة تحمل بيتها على ظهرها وتمشي متثاقلة كالزمن الصعب؟

أليس من حق الأرنب أن يستمتع بالطريق ويلهو مع أقرانه، يأكل ما صادفه من خسّ وجزر ثم يأخذ قسطا من الراحة ويستمتع بحلم جميل لا يريد أن يصحو منه... ولماذا يصحو؟ ليسابق سلحفاة تلهث، ولا هم لها إلا الوصول إلى خط النهاية وقد تسقط على إثره مغشيا عليها.

أغلب الظن أن الأرنب قد أراد أن يهدي للسلحفاة فرحا كبيرا بنصر صغير، وتفرغ إلى ما هو أنفع وأبهى، مدركا أن الطريق إلى البيت أجمل من البيت وأن المرء يجب أن يركض كي لا يصل.

الغراب والثعلب، يحط الأول على غصن شجرة حاملا قطعة جبن بين منقاريه ويأتي الثعلب الماكر ليقنع الغراب بأنه يملك صوتا عذبا رخيما، يهم الأخير بالغناء فتقع قطعة الجبن، يلتقطها الثعلب و"يشمع الخيط" كما تقول العامة كناية على الفرار.

ما هذا الاستهتار بالطفل يا سيد لافونتين؟ ألا تعلم أن الغربان والثعالب لا تأكل الأجبان.. وأنت فرنسي، والفرنسيون أعلم الناس وأثقفهم في الأجبان، ثم من قال لك إن الغراب لا يعلم أنه قبيح الصوت؟ رغم أنه من أنبل الطيور كما تؤكد علوم الطبيعة.. أعتقد أن الغراب جاء ليلتقط السلحفاة في الرواية السابقة، ويوصلها إلى خط النهاية.

ليلى والذئب؛ مما لا شك فيه أن ليلى العصرية لم تعد تلك الصبية الطيبة التي "يأكل الذئب بعقلها حلاوة"، إنها أصبحت اليوم تلهو بمطاردة الذئاب في المدن والغابات، وتضحك على ذقونهم وذيولهم. لماذا تعاقب حين تخالف النصيحة وتسلك الطريق الأطول؟ أليست الطرق الأطول والمتشعبة هي التي تعلم الحياة؟ لكن الأهم من ذلك كله، لماذا يترك الذئب الصبية الحسناء ويلتهم الجدة العجوز؟

أيها الذين يكتبون للأطفال، رفقا بالقارئ الصغير، إنه لم يعد يتوسد ركبة جدته لتحكي له الحكايات على ضوء قنديل ينوس في بلدة نائية ووديعة بل إن جدته، نفسها، لم تتربّ في أحضان جدتها لنتجنب لغة الوعظ والإرشاد حتى لا يحدث لنا ما حدث للغراب الحكيم (غراب آخر هذه المرة) وإليكم الحكاية:

قال الغراب لابنه حينما اشتد عوده وأصبح قادرا على الطيران "اسمع يا بني نصيحتي الأخيرة قبل أن تغادر عش الأسرة: إذا رأيت أحدهم قادما من بعيد وانحنى إلى الأرض فانفذ بريشك لأنه سوف يلتقط حجرا ويرميك به".

الغراب الصغير "ومن يدريك يا أبتي؟ لعله كان يخبئ حجرا في جيبه فيردينني به دون أن ينحني إلى الأرض؟".

الغراب الأب "طر يا بني رافقتك السلامة... ليس لي ما أضيف".

طبق اليوم

سمك فيليه مشوي في الفرن

*** المقادير**

- 1 كيلوغرام من شرائح السمك.
- 2 ملعقتان صغيرتان من البهارات المخصصة للسمك.
- 8 حبات ثوم.
- 2 حبتان بطاطس متوسطة الحجم.
- ربع كوب ماء.
- 5 ملاعق كبيرة زيت زيتون.
- 1 ملعقة صغيرة كزبرة مجففة.
- ملح حسب الذوق.

*** طريقة الإعداد**

- نقشر الثوم ونهرسه ليصبح ناعما.
- تعد تتبيلة السمك المتكونة من الثوم المرحي مع إضافة كمية الملح ونصف كمية الزيت ونضيف إليها الكزبرة المجففة.
- تحرك المكونات حتى تصبح ممزوجة جيدا.
- تتبل شرائح السمك الفيليه بالخليط الثوم.
- يوضع السمك المتبل في البراد لمدة بين 15 و30 دقيقة حتى يتشرب التتبيلة.
- يشغل الفرن حتى يسخن.
- تقشر البطاطس وتقطع إلى شرائح رقيقة.
- توزع كمية الزّيت المتبقية في صينية الطبخ، وتصفف شرائح البطاطس فوقها.
- ترش البهارات والقليل من الملح عليها.
- تصفف شرائح السمك فوق البطاطس، ثمّ يضاف إليها الماء.
- تغطى الصينية بورق الألمنيوم، وتدخل للفرن الساخن في درجة حرارة 250 لمدة 25 دقيقة تقريبا.
- بعد أن تنضج نخرجها من الفرن وتقدم مع صلصة أو سلطة حسب الرغبة.

نصائح

المبالغة في ترتيب المنزل تضيع السعادة

❏ يحذر خبراء من السماح للرغبة في أن يكون المنزل مرتبا دائما حتى تصبح هوسا، فالقيام بمقدار معقول من الأعمال المنزلية يمكن أن يجعلك أكثر سعادة.

ويتمحور الأمر حول وضع أهداف قابلة للتحقيق، بحسب اختصاصية علم النفس ساندرا يانكوفسكي. وتقول "أهم شيء هو المكافآت والفوائد... إذا حددت لنفسك هدفا معقولا وحققته، ستمتلئ أنظمة الجسم بالهرمونات التي ستجعلك تشعر أنك أكثر سعادة. وتوجد أنظمة المكافأة والتحفيز تلك في مواقف أخرى، على سبيل المثال في الرياضات التنافسية".

وتصف يانكوفسكي، وهي عضو بالرابطة المهنية لأطباء علم النفس الألمان، نظام المكافأة هذا بالتدفق، موضحة "يمكن أن تسفر تجربة التدفق خلال التنظيف عن أثر استرخائي وتأملي"، مضيفة أن التخلص من النفايات يمكن أن يعطي شعورا مماثلا.

وتؤكد الخبيرة أن العنصر الرئيسي هو تحديد هدف وتحقيقه، محذرة في الوقت نفسه من أن الحماس في التنظيف والترتيب يمكن أن يتحول إلى هوس وتنصح بتوخي الحذر. وتقول "لا تدع الأمر يصل إلى النقطة التي تشعرك بأنك لم تعد سعيدا، أو حينما تبدأ في التفكير قد تمنعك من أن تعيش حياتك".

وليس لدى الجميع الاستعداد الجيني للحصول على شعور التدفق من خلال التنظيف، فبعض الأشخاص ليسوا من هذا النوع فحسب. وهناك عوامل أخرى.

وتشير يانكوفسكي إلى "أن هناك أشخاصا يحتاجون إلى فوضى خلاقة ليكونوا سعداء"، ويرجع ذلك إلى عوامل أخرى مثل التنشئة والضغوط الاجتماعية.

تشيفرين يعد بمستقبل مشرق للاتحاد الأوروبي

مواجهة إنفانتينو و«سوبر ليغ» أكبر التحديات المعقدة في الولاية الجديدة

وعد السلوفيني ألكسندر تشيفرين بإجراء إصلاحات شاملة لمسابقات الأندية الأوروبية، لكنه نفى مجددا وجود خطط لإقامة دوري سوبر أوروبي على جدول أعماله. وذلك بعد إعادة انتخابه بالتزكية رئيسا للاتحاد الأوروبي لكرة القدم لأربع سنوات جديدة. وشدّد الأخير على أن الشكل الجديد للبطولات الذي سيظهر اعتبارا من 2024 سيضيف "بعدا جديدا" لكرة القدم في أوروبا.

ملفات ساخنة على طاولة الاتحاد الأوروبي في حقبة تشيفرين الجديدة

❑ **روما – تعهّد السلوفيني ألكسندر تشيفرين بمستقبل إيجابي للاتحاد الأوروبي لكرة القدم على رغم "التحديات المعقدة" التي يواجهها، وذلك في أعقاب انتخابه بالتزكية الخميس على رأس الهيئة القارية لولاية جديدة من أربعة أعوام. وأعيد انتخاب تشيفرين المرشح الوحيد للمنصب، خلال كونغرس الويفا الذي عُقد في روما، ليواصل المحامي البالغ من العمر 51 عاما مهامه على رأس الاتحاد الذي تولى مسؤوليته في سبتمبر 2016.**

وتبوأ تشيفرين منصبه في المرة الأولى بدلا من الفرنسي ميشال بلاتيني الذي يُنهي في أكتوبر المقبل عقوبة إيقاف لأربعة أعوام عن مزاولة أي نشاط كروي، على خلفية دفعة مشبوهة تلقاها من الرئيس السابق للاتحاد الدولي (فيفا) السويسري جوزيف بلاتر.

وقال تشيفرين الذي ترأس سابقا اتحاد اللعبة في بلاده، بعد إعادة انتخابه "أنا فخور"، متوجها بالشكر إلى الأعضاء الـ55 للاتحاد القاري.

وأعرب السلوفيني عن رغبته في وضع "الأمل والتضامن في صلب استراتيجية" الاتحاد الأوروبي للسنوات المقبلة، مؤكدا أنه سيخوض غمار ولايته الثانية "بشكوك أقل من ذي قبل".

وقال إن "الجميع كان يسأل: ماذا سيحدث الآن؟"، في إشارة إلى انتخابه للمرة الأولى في خضم فضائح الفساد التي هزت الاتحاد الدولي (فيفا) ولم يسلم منها بلاتيني أو كرة القدم الأوروبية. وأضاف متوجها إلى ممثلي الاتحادات "في ذلك الحين، كانت كرة القدم على المستويين الدولي والأوروبي في خضم أخطر أزمة حوكمة في تاريخها، ورغم ذلك، عهدتم بالمسؤولية إلى شخص مجهول نسبيا".

وتابع "أخطر ما يمكن أن نقوم به هو الركون إلى إنجازاتنا والتمتع بالوقت الحالي (...) يجب ألا نسمح للنجاحات الأخيرة بأن تغطي على التحديات المعقدة، أكثر مما نتوقعه. يجب ألا نقف هنا وألا نتكئ على ما حققناه، وإنما علينا أن نعمل أكثر".

مواجهة صعبة

من أبرز التحديات التي يواجهها تشيفرين في الوقت الراهن، الوقوف في وجه طموحات السويسري جياني إنفانتينو، الرئيس الحالي للاتحاد الدولي (فيفا) والأمين العام السابق للاتحاد الأوروبي، لجهة تعديلاته المقترحة على كأس العالم للأندية وإنشاء دوري عالمي للأمم.

وفرضت المعارضة الأوروبية لهذه الاقتراحات التي يؤكد إنفانتينو أنها ستدرّ عائدات إضافية من المستثمرين تصل إلى 25 مليار دولار، إرجاء البحث في إقرارها، إلا أنه من المتوقّع أن تحضر الشهر المقبل على طاولة اجتماع مجلس الفيفا في مدينة ميامي الأميركية.

ومدّ إنفانتينو الذي حضر كونغرس الاتحاد الأوروبي في روما، يد التفاهم إلى تشيفرين، بتأكيده "علينا أن نكون مجدّدين. يجب أن نستمر في تطوير أنفسنا. هذا لا يحصل إلا إذا عملنا سويا، إذا ناقشنا وإذا تناقشنا. لنحاول إيجاد ما يجب القيام به معا من أجل تعويض الوقت الضائع".

لكن في رد غير مبهم، قال السلوفيني "عندما نقول للفيفا أننا نختلف مع اقتراحاته الحالية لدوري الأمم وكأس العالم للأندية، نحن نعرب له عن احترامنا، ونعرب عن احترامنا لكرة القدم، اللعبة التي نحبها وعلينا أن نحميها (...) نأمل بصدق في أن يبدي الفيفا احترامه أيضا حيالنا من خلال الاستماع لآرائنا. الويفا وكرة القدم الأوروبية يستحقان الاحترام".

ويخشى المسؤولون الأوروبيون من أن تؤثر الاقتراحات الجديدة للفيفا على المسابقات القارية، لاسيما دوري الأبطال ودوري الأمم (للمنتخبات) الذي انطلقت نسخته الأولى في أواخر العام الماضي.

وفي ما بدا أنه تمسك إضافي بدرة تاج المسابقات الأوروبية (دوري الأبطال)، أكد تشيفرين معارضته لرئيس رابطة الأندية الإيطالي أندريا أنييلي لإقامة "دوري سوبر" بين الأندية الكبرى في القارة العجوز. ووجّه تشيفرين "رسالة واضحة: طالما بقينا نحن الاثنان على رأس منظمتينا، لن يكون هناك دوري سوبر. هذا ليس وعدًا. هذا واقع".

وأضاف "لإثبات ذلك، وقّعنا مذكرة تفاهم مع رابطة الأندية الأوروبية والتي تستمر حتى عام 2024. وهذه ليست سوى البداية".

وكانت تسريبات لرسائل البريد الإلكتروني ووثائق نشرت في نوفمبر الماضي عرفت باسم "فوتبول ليكس"، قد أشارت إلى أن ريال مدريد الإسباني كان يبحث مع أندية بارزة أخرى، في خطط لإقامة دوري سوبر بمشاركة 16 فريقا، ينطلق بدءا من عام 2021. وقال تشيفرين "كما كشفت وسائل الإعلام في نوفمبر، يبدو أنه قبل فترة وجيزة، وخلال الأشهر التي أعقبت انتخابي، كانت مجموعة من الأندية الأوروبية الكبرى تفكر في الانفصال".

وتابع "تحدثنا إلى بعضنا البعض. واستمعنا إلى بعضنا البعض. فهمنا بعضنا بعضاً. واليوم، نحن متحدون مرة أخرى"، متوجها إلى الإيطالي "أندريا، أشكرك على كل ما قمتم به على مدى الأشهر القليلة الماضية من أجل جمع الكرة الأوروبية مرة أخرى خلف المثال الأعلى المشترك".

وأشاد أنييلي، رئيس نادي يوفنتوس بطل إيطاليا في المواسم السبعة الأخيرة ومتصدر الترتيب حاليا، بالاتفاق ووصفه الأربعاء بأنه "لحظة مهمة في تاريخ كرة القدم الأوروبية".

وشدد رئيس الويفا على سعيه إلى استضافة مونديال 2030 في القارة بعد 12 عاما من النجاح الكبير الذي حققته كأس العالم الأخيرة في روسيا.

بلا منافس

في سياق متصل ضمن جياني إنفانتينو ولاية ثانية على رأس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، مع إعلان الأخير أن السويسري الذي تولى منصبه عام 2016 في أعقاب فضيحة فساد، هو المرشح الوحيد للانتخابات المقررة هذا العام.

وقبل أربعة أشهر من الانتخابات المقررة في الخامس من يونيو في باريس على هامش الكونغرس الـ69 للفيفا، أعلن الأخير في بيان مقتضب وجود مرشح وحيد للرئاسة، ما يضمن لإنفانتينو (48 عاما) ولاية جديدة من أربعة أعوام في منصب انتخب لتوليه في فبراير 2016، بعد فضيحة هزت اللعبة وأطاحت برؤوس كبيرة أبرزها سلفه مواطنه جوزيف بلاتر.

من أبرز التحديات التي يواجهها تشيفرين، الوقوف في وجه طموحات إنفانتينو، لجهة تعديلاته المقترحة على مونديال الأندية وإنشاء دوري عالمي للأمم

وكان الدولي السويسري السابق ومدافع توتنهام الإنكليزي رامون فيغا أبدى رغبته في دخول السباق نحو الرئاسة، إلا أنه لم يتمكن من الحصول على دعم خمسة اتحادات وطنية من أصل 211 منضمة إلى الاتحاد. وتولى إنفانتينو منصبه في إحدى المراحل الأكثر حساسية في تاريخ الفيفا، وعزّز نفوذه بشكل تدريجي لاسيما في أوساط الاتحادات القارية.

ومن أبرز الخطوات التي اتخذها، رفع عدد المنتخبات المشاركة في نهائيات كأس العالم من 32 إلى 48 فريقا اعتبارا من نسخة عام 2026 المقررة في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك. كما يحاول جاهدا تسويق فكرة اعتماد 48 فريقا في نسخة قطر 2022، على أن يتخذ الاتحاد الدولي قراره بهذا الشأن خلال اجتماعاته في مدينة ميامي الأميركية في مارس المقبل.

ويطمح إنفانتينو أيضا إلى رفع عدد الأندية المشاركة في كأس العالم للأندية من 7 إلى 24 اعتبارا من 2021، وتعديل صيغة المسابقة، إضافة إلى إطلاق دوري عالمي للأمم، في إصلاحات يؤكد أنها ستدرّ على اللعبة عائدات إضافية بقيمة 25 مليار دولار. ويلقى هذا المشروع معارضة من رئيس الاتحاد الأوروبي السلوفيني ألكسندر تشيفرين. ودفع إنفانتينو لاعتماد تقنية المساعدة بالفيديو في التحكيم ("في. آيه.آر").

وأقرّت في عهده سلسلة خطوات، مثل تحديد عدد ولايات الرئيس (3)، وتوسعة اللجنة التنفيذية التي باتت تعرف باسم "مجلس الفيفا". بيد أن الشفافية التي وعد بتطبيقها على صعيد رواتب مسؤولي الاتحاد، لا تزال تقتصر عليه حتى الآن (4,1 مليون يورو سنويا).

فرح وشغف

كان إنفانتينو أعلن ترشحه رسميا على هامش مونديال روسيا 2018، معتبرا أن الاتحاد كان "منظمة ميتة سريريا" يوم انتخابه، وأصبح منظمة "تنبض بالحياة، مليئة بالفرح، الشغف، مع رؤية مستقبلية". وأضاف الأمين العام السابق للاتحاد الأوروبي للعبة "بعد عامين وثلاثة أو أربعة أشهر من انتخابي، حان الوقت ربما للعودة بالزمن إلى الوراء، إلى 26 فبراير 2016، يوم الانتخاب، كانت الفيفا منظمة ميتة سريريا".

وتابع "اليوم، الفيفا منظمة تنبض بالحياة، مليئة بالفرح، الشغف مع رؤية مستقبلية. تم انتخابي على أساس برنامج ومعكم جميعا حاولنا وضعه موضع التنفيذ"، وانطلاقا من ذلك "أعلن لكم بأني مرشح لإعادة انتخابي".

وفي إطار إصلاحات الفيفا وتحت شعار "إعادة كرة القدم إلى الفيفا والفيفا إلى كرة القدم"، قام إنفانتينو بالتعاقد مع لاعبين سابقين أمثال الكرواتي الدولي زفونومير بوبان وعينه أمينا عاما مساعدا، كما ينظم مناسبات مع "أساطير" اللعبة (الأرجنتيني دييغو مارادونا، الفرنسي دافيد تريزيغيه، البرتغالي لويس فيغو.

> **رئيس الويفا السلوفيني ألكسندر تشيفرين شدد على سعيه لاستضافة مونديال 2030 في القارة بعد 12 عاما من النجاح الكبير الذي حققته كأس العالم الأخيرة في روسيا**

وأحاط السويسري نفسه بمساهمين سابقين في الاتحاد الأوروبي كالسويدي ماتياس غرافستورم كبير مستشاريه، أو الكونغولي فيرون موسنغو الموكل باتحادي أفريقيا والكونكاكاف (أميركا الشمالية والوسطى والبحر الكاريبي).

وإنفانتينو هو الرئيس التاسع في تاريخ الفيفا الممتد 112 عاما، وانتخب في 26 فبراير 2016 خلفا لبلاتر، متفوقا على رئيس الاتحاد الآسيوي الشيخ البحريني سلمان بن إبراهيم آل خليفة (115 صوتا مقابل 88).

وتداول على عرش الفيفا ثمانية رؤساء هم الفرنسي روبير غيران (1904–1906)، الإنكليزي دانيال وولفول (1906–1918)، الفرنسي جول ريميه (1921–1954)، البلجيكي وليام سيلدرييرز (1954–1955)، الإنكليزي أرثر دروري (1955–1961)، الإنكليزي ستانلي راوس (1961–1974)، البرازيلي جواو هافيلانج (1974–1998)، والسويسري جوزيف بلاتر (1998–2015).

عمل إنفانتينو خلال مسيرته مستشارا لهيئات عدة في إيطاليا وإسبانيا وسويسرا قبل الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي للعبة عام 2000 في قسم الشؤون القانونية والتجارية الذي ترأسه بين عامي 2004 و2007، قبل أن يتولى منصب الأمين العام عام 2009 بعد عامين كمساعد له.

ودرس القانون في سويسرا، ويتقن سبع لغات أهمها الإيطالية والفرنسية والألمانية والإنكليزية والإسبانية، بحسب الموقع الإلكتروني للفيفا. وهو متزوج من اللبنانية لينا الأشقر ولهما أربعة أولاد.

ليفربول يعود للصدارة بثلاثية في شباك بورنموث

مانشستر يونايتد ينتصر على فولهام ويدخل المربع الذهبي

عاد ليفربول بشكل مؤقت إلى صدارة البريميرليغ إثر تفوقه، السبت، على ضيفه بورنموث بثلاثة أهداف دون رد، وبالنتيجة ذاتها تغلّب ما نشستر يونايتد عل مُضيفه فولهام ليصعد بدوره إلى المركز الرابع في افتتاح الجولة السادسة والعشرين من الدوري الإنكليزي.

❑ **لندن** – استطاع ليفربول أن يحقق الفوز على بورنموث بثلاثية نظيفة، في المباراة التي جمعت الفريقين، السبت، على ملعب آنفيلد في الجولة السادسة والعشرين من الدوري الإنكليزي.

وأحرز أهداف ليفربول كلا من ساديو ماني وفينالدوم ومحمد صلاح في الدقائق 24 و34 و48، ليرتفع رصيد ليفربول إلى 65 نقطة في صدارة جدول الترتيب، بينما توقف رصيد بورنموث عند 33 نقطة في المركز الـ11.

وبدأ بورنموث المباراة سريعا عن طريق انطلاقة من فريزر من الجبهة اليسرى في الدقيقة الثانية، وسدد بقوة من داخل منطقة الجزاء، ولكن الحارس أليسون أخرج الكرة بنجاح.

وكانت أول محاولة لليفربول في الدقيقة العاشرة، عن طريق انطلاقة لمحمد صلاح من الجبهة اليمنى، وسددها بيسراه ولكنها ذهبت بعيدة عن مرمى بورنموث لتخرج ضربة مرمى.

وشهدت المباراة أول أهداف ليفربول في الدقيقة 24 من المباراة، وذلك بعد عرضية من جيمس ميلنر من الجبهة اليمنى على رأس السنغالي ساديو ماني، الذي حولها برأسه بشكل رائع في شباك بورنموث.

وأحرز فينالدوم الهدف الثاني في الدقيقة 34 بعد تمريرة من روبرتسون ليستلمها فينالدوم داخل منطقة الجزاء بشكل رائع ويضعها من فوق حارس المرمى.

وفي الدقيقة 45 سدد محمد صلاح كرة من خارج منطقة الجزاء، ولكن الحارس بوروك تمكن من التصدي لها بنجاح وأخرجها إلى ركنية.

ومع بداية الشوط الثاني، ومن أول محاولة على المرمى تمكن ليفربول من إحراز الهدف الثالث في الدقيقة 48، عن طريق محمد صلاح، بعد تمريرة بالكعب من فيرمينو، ليسددها صلاح بيسراه على يمين الحارس.

وكانت أول محاولة لبورنموث في الشوط الثاني عن طريق البديل موسيت في الدقيقة 74 فور نزوله، ولكنه سدد الكرة بجوار قائم الحارس البرازيلي أليسون.

وحتى نهاية المباراة حافظ ليفربول على تقدمه وشباكه النظيفة، ليعود إلى صدارة جدول ترتيب الدوري الإنكليزي مرة أخرى في انتظار نتيجة مباراة مانشستر سيتي أمام تشيلسي، الأحد.

وشهدت أيضا هذه الجولة فوز أرسنال على هيديرسفيلد تاون (2–1) وكارديف سيتي على ساوثهامبتون (2–1) وواتفورد على إيفرتون (1 –صفر) وتعادل كريستال بالاس مع ويستهام (1–1).

وفي افتتاح الجولة فاز مانشستر يونايتد للمرة العاشرة في 11 مباراة مع المدرب المؤقت أولي جونار سولشار بانتصاره (3 –صفر) على فولهام ليتقدم إلى المربع الذهبي في الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم.

وتقدم مانشستر يونايتد بهدف سجله بول بوغبا في الدقيقة 15 وأضاف أنتوني مارسيال الهدف الثاني في الدقيقة 23، ثم أضاف بوغبا الهدف الثاني له والثالث لمانشستر يونايتد في الدقيقة 65 من ركلة جزاء.

ورفع مانشستر يونايتد رصيده إلى 51 نقطة في المركز الرابع، بفارق نقطة أمام تشيلسي الذي يواجه مانشستر سيتي الأحد، وتوقف رصيد فولهام عند 17 نقطة في المركز التاسع عشر قبل الأخير.

يذكر أن هذا الفوز هو الخامس عشر لمانشستر يونايتد في الدوري هذا الموسم مقابل الخسارة في خمس مباريات والتعادل في مثلها، فيما تعد هذه الخسارة هي السابعة عشرة لفولهام في الدوري هذا الموسم مقابل الفوز في أربع مباريات والتعادل في خمس.

وجاءت بداية المباراة سريعة من الطرفين، ففي الدقيقة الأولى حصل مانشستر يونايتد على ركلة حرة من الناحية اليمنى أبعدها دفاع فولهام لتصبح هجمة مرتدة حيث انطلق ألكسندر ميتروفيتش بالكرة من الناحية اليمنى ومرر كرة عرضية داخل منطقة جزاء مانشستر يونايتد ليقابلها لوسيانو فيتو بتسديدة قوية من داخل منطقة الست أمتار، لكنها مرت بجوار القائم الأيمن للحارس ديفيد دي خيا.

وأعطت هذه الهجمة الثقة للاعبي فولهام الذين فرضوا سيطرتهم على مجريات اللعب وبادروا بشن هجمات بحثا عن تسجيل هدف مبكر يربك حسابات منافسهم.

وفي الدقيقة الرابعة كاد فولهام أن يفتتح التسجيل عندما مرر جو برايان كرة عرضية من الجانب الأيسر قابلها ألكسندر ميتروفيتش بضربة رأس من داخل منطقة الست أمتار، لكنها مرت بعرض الملعب ليبعدها دفاع مانشستر يونايتد حيث تهيأت أمام أندريه شورليه الذي سدد كرة قوية علت العارضة.

صلاح يسجل مجددا

استعاد فريق مانشستر يونايتد توازنه بعد تلك الهجمة وبدأ لاعبوه يدخلون أجواء المباراة، حيث تمكن لاعبو يونايتد من فرض سيطرتهم على مجريات اللعب وحاولوا إيجاد ثغرة في دفاعات فولهام بحثا عن تسجيل الأهداف، في الوقت نفسه تراجع لاعبو فولهام واعتمدوا على شن الهجمات المرتدة.

وأسفرت هجمات مانشستر يونايتد عن تسجيل الهدف الأول في الدقيقة 15 عندما مرر أنتوني مارسيال تمريرة بينية إلى بول بوغبا داخل منطقة جزاء فولهام من الناحية اليسرى ليسدد كرة قوية إلى داخل المرمى.

وانحصر اللعب في وسط الملعب حتى جاءت الدقيقة 23 والتي شهدت تسجيل مانشستر يونايتد الهدف الثاني عندما انطلق أنتوني مارسيال بالكرة وراوغ مدافعي فولهام ليدخل منطقة الجزاء، حيث انفرد بالحارس سيرجيو ريكو وسدد الكرة على يساره لحظة خروجه من مرماه لتعانق الكرة الشباك.

ومر الوقت المتبقي من هذا الشوط دون جديد قبل أن يطلق الحكم صافرة نهاية الشوط الأول بتقدم مانشستر يونايتد بهدفين نظيفين.

ومع بداية الشوط الثاني، واصل فريق مانشستر يونايتد سيطرته على مجريات اللعب وتوالت هجماته بحثا عن تسجيل هدف ثاني، في الوقت نفسه اعتمد فريق فولهام على شن الهجمات المرتدة بحثا عن تقليص الفارق.

ورغم وجود محاولات هجومية من الفريقين، إلا أن كليهما فشل في تشكيل خطورة حقيقية على المرميين مما أدى إلى انحصار اللعب في وسط الملعب في الربع ساعة الأولى من هذا الشوط.

وكاد مانشستر يونايتد أن يسجل الهدف الثالث في الدقيقة 63 عندما سدد أندير هيريرا كرة قوية من خارج منطقة الجزاء أبعدها الحارس سيرجيو ريكو بصعوبة.

وفي الدقيقة 64 احتسب الحكم ركلة جزاء لمانشستر يونايتد عندما انطلق روميلو لوكاكو بالكرة من الناحية اليمنى ومرر الكرة إلى خوان ماتا الذي تمت عرقلته من قبل مكسيم لي مارشان، مدافع فولهام، ليسددها بول بوغبا على يسار الحراس مسجلا الهدف الثالث لمانشستر يونايتد في الدقيقة 65.

وفي الدقيقة 73 كاد فولهام أن يسجل الهدف الأول عندما لعبت كرة عرضية من الجانب الأيمن داخل منطقة جزاء مانشستر يونايتد ارتقى إليها ميتروفيتش وقابلها بضربة رأس، لكن دي خيا تألق وأمسك بالكرة.

ورد مانشستر يونايتد في الدقيقة 74 عندما تمكن أليكسيس سانشيز من استغلال خطأ مدافعي فولهام وقطع الكرة لينفرد بالحارس ريكو الذي تألق وأخرج الكرة إلى ركلة ركنية.

ومر الوقت المتبقي من المباراة دون جديد ليطلق الحكم صافرة نهاية المباراة بفوز مانشستر يونايتد بثلاثية نظيفة.

بائس في مملكة السعداء

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ عام انقضى على قدوم اللاعب البرازيلي فيليبي كوتينيو إلى برشلونة. عام ولى وانتهى لكن رحلة الاندماج والتأقلم مع حياة "البلوغرانا" لم تنته بعد. فكوتينيو مازال لم يحفظ الدور بعد، وخطواته ظلت مرتبكة ثقيلة في البيت الكتالوني.

في برشلونة إذا لم تكن رفيع المستوى وتملك قدرة عجيبة على تطوير مهاراتك وتطويعها خدمة للفريق ويكون أسلوب لعبك يتماشى مع العبقري ليونيل ميسي، فأنت لا تصلح للعب مع هذا النادي.

في برشلونة حيث تبزغ شمس ميسي باستمرار، يخفت بريق كل النجوم الآخرين حتى وإن كانوا بلمعان النجم البرازيلي كوتينيو الذي دفع لأجله النادي الغالي والنفيس من أجل استقدامه خلال الموسم الماضي.

إدارة النادي الكتالوني حرصت منذ صائفة 2017 على التعاقد مع هذا اللاعب من ليفربول مهما كلفها ذلك ولم يهدأ بالها، إلا بعد أن ضمنت توقيع كوتينيو فدفعت مبلغا خرافيا يناهز 160 مليون يورو من أجل إقناع ليفربول بالتخلي عنه، وهو ما حصل في نهاية المطاف، خاصة وأن اللاعب كان مهووسا ومتلهفا للغاية للخروج من عرين "الريدز" والارتماء في أحضان البلوغرانا.

جاء كوتينيو كعريس متوج. جاء يحمل معه سجلا رائعا من التألق مع الفريق الأحمر في إنكلترا. جاء وهو يمنّي النفس بأن يكون أفضل معوض لمواطنه نيمار، الذي رحل قبل قدومه بقليل إلى فريق باريس سان جيرمان.

كل الظروف كانت مهيأة وممهدة كي يحقق هذا اللاعب نجاحا ساحقا مع برشلونة. فهو النجم المتألق وصاحب اللمسات السحرية مع ليفربول، وهو اللاعب الذي لهثت أقوى الأندية في العالم من أجل التعاقد معه. كان ببساطة مرشحا كي يكون خليفة مواطنه رونالدينيو، اللاعب السابق لبرشلونة والمنتخب البرازيلي.

انتهت حكاية كوتينيو مع ليفربول. لقد قطع نهائيا كل علاقاته مع ناديه القديم ورفض الانصياع لمطالب جماهير "الليفر" والمدرب يورغن كلوب. كان سيكون أسطورة هناك. كان سيشكل مع صلاح وماني وفيرمينو رباعيا مرعبا وقويا للغاية، لكنه آثر الرحيل. لقد أغوته أضواء عاصمة مقاطعة كتالونيا فراح يبحث عن مجد ربما يوصله إلى عنان السماء. ربما له الحق في ذلك، فاللعب بجوار "الأسطورة" ميسي هو شرف ليس في متناول الجميع.

حمل كوتينيو كل أوراقه وأمتعته ووضب حقائبه ثم غادر مدينة ليفربول في بداية شهر يناير 2018. حمل معه أحلامه السعيدة، وانطلق ليخط فصول حياته الجديدة في كتالونيا.

بدأت حكاية كوتينيو مع برشلونة بخطوات متعثرة. لم تسر الأمور بالشكل المطلوب، فاللاعب لم يندمج بعد مع الفريق. بدا وكأنه لاعب هاو لم تطأ قدماه في السابق ملاعب كرة القدم، حيث فشل في أن يتقمص سريعا دورا مؤثرا في الفريق.

لقد أخفق في أن يكون عنصرا فاعلا مساهما في تألق برشلونة في الموسم الماضي على الصعيد المحلي. كان حضوره ضعيفا ومشاركاته متواضعة.

في تلك الفترة بالذات ازداد فريقه السابق ليفربول قوة، حيث تألق بشكل لافت وصعد إلى المباراة النهائية لدوري أبطال أوروبا، كما نافس بكل قوة على لقب الدوري الإنكليزي، والأهم من ذلك أن المصري محمد صلاح أنسى كل جماهير "الريدز" كل ما فعله كوتينيو سابقا مع الفريق.

انتهى الفصل الأول ببؤس وتعاسة لم يعهدهما كوتينيو الطامح إلى أخذ كل أسباب السعادة مع برشلونة، والحالم بأن يسير على خطى لويس سواريز.

فسواريز سار على الدرب ذاته سابقا، حيث تألق مع ليفربول قبل أن ينتقل إلى الفريق الكتالوني، لينجح ببراعة فائقة في ترك بصمته مع الفريق، بل بات من أعمدته وأهم ركائزه وأصبح اللاعب المقرّب من ميسي.

ربما طمع كوتينيو في أن يسير على خطى سواريز مع "البارسا"، لكن هيهات، فالموسم الثاني له مع برشلونة يكاد ينتهي ولا وجود لأي بصمة فعلية لهذا اللاعب إلى حد اللحظة، بل إنه كان في أغلب المباريات لاعبا احتياطيا بسبب فشله في تقديم الإضافة.

كوتينيو لم ينجح في البداية وأخفق إلى اليوم، إذ لم يُحسن استغلال كل العوامل التي كانت ستساعده على تحقيق انطلاقة جديدة. ففي مباراة الكلاسيكو الأخيرة ضد ريال مدريد ضمن منافسات الكأس، منحه المدرب فرصة اللعب أساسيا بحكم وجود بعض الغيابات، لكنه سقط مجددا ولم ينجح في الاختبار. كان بمثابة الشبح فوق الميدان.

كوتينيو لم يقدر بعد على التخلص من الضغط، ففشل في تأكيد جدارته باللعب مع هذا الفريق العريق، ووصل الأمر إلى حد اتفاق أغلب جماهير "البلوغرانا" على أن اللاعب يجب أن يرحل في نهاية الموسم. لقد فقدوا الثقة فيه بعد أن أصابهم بالإحباط، إلى درجة أن أحد الأحباء قال "يجب أن نشعر بالخجل، هذا اللاعب لا يستحق دفع 160 مليون يورو للتعاقد معه".

اليوم يتعيّن عليه أن يستوعب الدرس، عليه أن ينتفض ويتخلص من كل الشوائب. ففي برشلونة وفي حضرة ميسي لا وجود سوى للاعبين المتألقين والمؤثرين.

لكن قبل كل شيء يتوجب على كوتينيو أن يعي جيدا أن الاختباء خلف رداء الأتقياء لا يمنح صكوك الغفران، والانضمام إلى مملكة السعداء لا يضمن السعادة. الأثر الطيب لوحده يسمو بالنفس ويمسح كل علامات الفشل والبؤس.

ديربي مدريد يبتسم للريال

❑ **مدريد** – حقق فريق ريال مدريد الانتصار بنتيجة (3–1) في ديربي العاصمة الإسبانية ضد جاره اللدود أتلتيكو مدريد السبت، ضمن منافسات الجولة الـ23 من الليغا.

وسجل الأهداف لريال مدريد كاسيميرو في الدقيقة 16، وراموس في الدقيقة 43، وبيل في الدقيقة 74، بينما سجل غريزمان هدف أتلتيكو الوحيد في الدقيقة 25. وبهذا الانتصار يرفع ريال مدريد رصيده إلى النقطة 45 في المركز الثاني، بينما تجمد رصيد أتلتيكو مدريد عند 44 نقطة في المركز الثالث.

وبدأت المباراة باستحواذ أصحاب الأرض على الكرة، وانطلق الفرنسي أنطوان غريزمان مهاجم أتلتيكو مدريد على الجبهة اليسرى، وسدد كرة مرت بجانب المرمى في الدقيقة 2.

وجاء أول رد من ريال مدريد في الدقيقة 10، حيث أرسل داني كارفاخال كرة عرضية، سددها لوكا مودريتش بالرأس على يسار مرمى الحارس أوبلاك.

ونجح ريال مدريد في تسجيل الهدف الأول في الدقيقة 16، حيث حصل الملكي على ركلة ركنية نفذها كروس، ولعبها راموس برأسه أمام المرمى، ليُسددها كاسيميرو بركلة مقصية رائعة.

ونجح أنطوان غريزمان في تسجيل هدف التعادل لأتلتيكو مدريد في الدقيقة 25، حيث انطلق بالكرة وسدد بين أقدام الحارس البلجيكي تيبو كورتوا، حيث لجأ حكم المباراة إلى تقنية "الفار" نظرا لوجود شك في التسلل قبل أن يُعلن عن شرعية الهدف.

وعرقل خيمينيز مدافع أتلتيكو مدريد البرازيلي فينيسيوس في منطقة الجزاء، ليحصل الملكي على ركلة جزاء نفذها سيرجيو راموس قائد الميرينغي بتسديدة قوية أقصى يمين الحارس أوبلاك ليُضيف الهدف الثاني للريال في الدقيقة 43.

ومع بداية الشوط الثاني، حاول ألفارو موراتا مهاجم أتلتيكو مدريد، تهديد مرمى ريال مدريد بتسديدة قوية علت مرمى كورتوا في الدقيقة 47.

ونجح موراتا في تسجيل هدف لأتلتيكو مدريد، حيث استغل تقدم الحارس كورتوا عن مرماه، لكن حكم المباراة ألغى الهدف بداعي التسلل على مهاجم "الروخي بلانكوس".

ونجح الويلزي غاريث بيل في تسجيل الهدف الثالث لريال مدريد في الدقيقة 74، حيث بدأ بنزيمة الهجمة ومرر لمودريتش الذي أرسل كرة بينية على اليسار استقبلها بيل وسددها بقوة أقصى يسار أوبلاك.

ديربي مثير

مغنو الراب والنساء على قوائم جوائز غرامي.. رغم الشكوك

تتجه أنظار العالم إلى حفل توزيع جوائز غرامي على أمل أن يحظى مغنو الراب والنجمات من النساء بفرصة لنيل الجائزة التي طالما انتظروها على الرغم من دخولهم السباق محمّلين بعدد كبير من الترشيحات.

❑ **لوس أنجلس** – يهيمن مغنو الراب والفنانات على ترشيحات جوائز "غرامي" الموسيقية العريقة التي ستوزّع، الأحد، في لوس أنجلس تحت إشراف قطاع موسيقي لطالما انتُقد على عدم إيلائه ما يكفي من الأهمية لمسألة التنوّع.

وسيطر للسنة الثانية على التوالي الهيب هوب على الترشيحات مع ترشيح النجم كندريك لامار في 8 فئات ويليه بفارق بسيط الكندي دريك.

وتنافس على جائزة "موهبة العام" ثمانية فنانين من بينهم ست نساء، ذلك أن الجنس اللطيف حاضر بقوة في دورة العام 2019 خلافا للدورات السابقة، والنساء مرشحات في أبرز الفئات وعلى رأسهن مغنية الراب كاردي بي وفنانة الإلكترو بوب جانيل مونيه ومغنية الفولك روك براندي كارلايل.

وفي ظل الانتقادات الموجّهة إلى أكاديمية "ريكوردينغ أكاديمي" القائمة على هذه الجوائز والتي تضم 13 ألف شخص من أهل الاختصاص، ومفادها أنها تبالغ في مكافأة الفنانين البيض والذكور، أنشأت هذه الأخيرة العام الماضي فريقا خاصا يعنى بمسائل التنوّع والاندماج. وقد رفعت من 5 إلى 8 عدد المرشحين في الفئات الرئيسية ليتسنى لها عكس التنوّع في القطاع.

لكن الأهمّ يبقى أن تتحوّل هذه الترشيحات إلى مكافآت، فجاي زي غادر خالي الوفاض العام الماضي بالرغم من ترشيحه في 8 فئات.

حضور قوي لكن هل هناك جوائز

ولم يرق له الأمر، وقد أعرب عن امتعاضه في أغنية سجّلها مع زوجته بيونسيه.

أما لامار، الذي كان أوّل مغني راب ينال جائزة بولتزر عن ألبومه "دام"، فقد أخفق ثلاث مرات في السباق إلى جائزة "ألبوم العام". وقد تنقلب الآية هذه السنة مع موسيقى فيلم "بلاك بانثر" التي سجّلها.

وحصد درايك، سبعة ترشيحات في المجموع، أحدها عن ألبومه "سكوربيون" وآخر عن أغنيته "غادز بلان".

وبالرغم من ترشيح عدد قياسي من أعمال الراب في الدورة الحادية والستين من جوائز "غرامي"، إلا أن بعض المحللين لا يزالون يشككون في حظوظ فوز أصحابها.

وقال غثري رامسي، العالم المتخصص في شؤون الموسيقى في جامعة بنسيلفانيا، "ليست المسألة مسألة افتقار السود إلى عدد من المواهب أو غيابهم عن الساحة الفنية، بل إنها تقضي أكثر بحصرهم في فئات 'عرقية' الطابع". ويشير آخرون إلى أن ما يعطي الراب زخمه هو طابعه المتمرّد والمهمّش.

ويصرّح أكيل هيوستن، المتخصص في شؤون الهيب هوب في جامعة أوهايو، بأن "الحصول على هذه المكافأة يعني أيضا نيل تقدير الثقافة المهيمنة".

وأثار رئيس الأكاديمية نيل بورتنوو في مايو الماضي، جدلا بعد دعوته النساء إلى "تكثيف الجهود" إن أردن تمثيلا أوسع.

رسام يجوب شوارع باريس بلوحاته بحثا عن معرض لها

❑ **باريس** – اختار الفنان الكاميروني فرنسيس إسوا كالو، الملقب بـ"أنفان بريكوس"، عرض لوحاته في شوارع باريس في غياب أيّ معرض لها، وهي لوحات معبّرة بألوان زاهية تضفي لمسة ملوّنة على العاصمة الفرنسية.

وهذا الفنان العصامي البالغ 29 عاما لم يتلق دروسا في الرسم، فهو يرى نفسه طفلا يريد تعلّم رسم العالم من خلال الألوان.

وبدأ أنفان بريكوس رحلته في مجال الرسم قبل ست سنوات، قائلا "بدأت قصتي مع الرقص، لكن عندما أصبحت في العشرين من العمر، أردت ابتكار علامة تجارية لثياب كنت أرسمها. وهي لم تر النور لكنها ولدت لدي حبّ الرسم".

ولا يدّعي الفنان العشريني، بأعماله البسيطة ذات الألوان الزاهية، أنه يبتكر نماذج فنية متأثرا بعمّه الذي كان يستخدم مواد مختلفة في رسومه. وفي جعبته اليوم 60 عملا، بعضها رسوم زيتية وبعضها الآخر رُسم بالأكليريك.

ولجأ هذا الفنان أثناء بحثه عن معرض لرسومه التي شارك من خلالها في "بينالي داكار" 2018، إلى وسائل التواصل التي ينشر عبرها صور أعماله المعروضة أمام معالم باريس البارزة مع لافتة كتب عليها "قدّموا لي معرضا".

فئران تحظى بمدرسة لتعلم الرقص في السويد

❑ **مالمو (السويد)** – ينحني رجل لالتقاط صورة لحاوية نفايات وإشارة مرورية مصغّرتين عند أسفل مبنى في مدينة مالمو السويدية، وهذه المنشأة المصغرة المخصصة للفئران هي أحدث ابتكارات مجموعة من الفنانين المعروفين بـ"أنونيماوس" يصنعون ديكورات صغيرة مميزة أشبه بعالم الرسوم المتحركة.

وقالت إيرين بينغتسون البالغة 74 عاما التي تسكن في المبنى "ذات صباح رأينا حشودا من الناس أمام المبنى ولم نعرف السبب. وعندما نزلنا إلى الشارع، رأينا المنشأة الصغيرة".

وتضمّ المنشأة أماكن مختلفة للفئران على شكل مدرسة لتعليم الرقص، وصالون حلاقة ومأوى للفئران الضالة والمسافرة. وأقام أعضاء مجموعة أنونيماوس منشأتهم بسرية.

وأفادت ياشا ماوسكيويتز، وهي أحد أعضاء المجموعة، "نحن مجموعة أصدقاء نجلس ونتحدث عن حبنا للقصص التي تدور حول عيش الحيوانات في عالم موازٍ لنا واهتمامها بالأمور التي نفقدها". ربما هذا ما دفع هؤلاء الفنانين إلى إنتاج صورة مصغرة لهذا العالم.

وأضافت ماوسكيويتز "اعتقدنا أن ذلك سينشر الفرح بين المارة، إلا أن الأمر استحوذ على إعجاب فاق توقعاتنا، لذلك قررنا الاستمرار".

تألقت الفنانة اللبنانية كارول سماحة في حفل غنائي استثنائي أحيته على مسرح دار الأوبرا في أوكرانيا، وهي بذلك تكون أول مطربة عربية تقف على خشبة هذا المسرح، حيث تُعد هذه الدار من أعرق دور الأوبرا في العالم. وقدمت كارول باقة من أجمل أغانيها برفقة ما يقرب من 90 عازفا وموسيقيا ضمن أوركسترا كبير.

صابرين منصور تتربع على عرش الجمال في تونس

❑ **تونس** – توجت صابرين خليفة منصور بلقب ملكة جمال تونس، خلال الإعلان عن نتائج المسابقة في دورتها الـ18 التي انتظمت بالمسرح البلدي وسط العاصمة، والتي تنظمها "جمعية تاج" (مستقلة).

وتهدف التظاهرة التي شاركت فيها 15 فتاة من مختلف المحافظات، بحسب المنظمين، إلى إبراز صورة المرأة التونسية المسؤولة والمنفتحة على الثقافات الأخرى بالحفاظ على أصالتها وثقتها بنفسها.

وتم التركيز في الدورة الحالية على العمل التطوعي الذي شرعت كل المشاركات في العمل عليه منذ اختيارهن في يونيو 2018.

وقالت منصور إنها سعيدة جدا بهذا اللقب الذي تعتبره فخرا لها ولمسيرتها خاصة وأن هذا الاختيار هو بمثابة تعيين لها كسفيرة لبلدها في الخارج.

وتابعت أن هذا اللقب سيحفزها على تحقيق مشروعها الإنساني الذي سيتجسد من خلال عمل تطوعي في مساعدة قافلة صحية وتهيئتها.

وأحيت حفل التتويج العازفة ياسمين عزيز، والفنان محمد الجبالي الذي قدم أغنيته الجديدة باللغتين التركية والعربية.

صباح العرب

لبنى الحرباوي

حفنة ألماس

❑ منذ عشرة أعوام أو تزيد قليلا، كنت أنا وصديقتي نقف في محطة حافلات الحي الجامعي مفلستين تماما، كان يوم سبت وكان الفصل شتاء والمكان مقفرا.

لا جديد في الأمر فنحن دائمتا الإفلاس بشعار "اصرف ما في الجيب يأتك ما في الغيب". كنا ننتظر الحافلة لنذهب إلى مركز البريد لسحب حوالة أرسلها لي أبي.

أتت الحافلة بعد انتظار طويل. ولكن، ولسوء الحظ أو لحسنه، فقد كان مكتب البريد قد أغلق أبوابه.. لقد تأخرنا.

دخلنا في نوبة ضحك ماذا سنفعل في "الويكاند" (عطلة نهاية الأسبوع)؟ لقد تبخّر حلمنا بعشاء لذيذ في مطعم محترم والعودة في سيارة أجرة إلى الحي الجامعي، بعد أن خضنا سائق الحافلة خضّا في رحلة الذهاب. ثم قررنا العودة إلى الحي الجامعي أين نقطن مشيا. وفي الطريق مررنا بمقبرة وخطرت لي فكرة "لماذا يا عبير لا ندخل المقبرة، ما دام لا شغل لنا، ونختار قبورا مهملة لنقرأ على أصحابها الفاتحة؟". أعجبت صديقتي بالفكرة. فقد كانت مجنونة مثلي تماما.. ودخلنا المقبرة وبدأنا المهمة.

وفجأة ظهر أمامنا رجل رث الثياب في الخمسينات من عمره أو يزيد، لكن محياه يوحي بالراحة والطمأنينة، وقال "هلا تساعداني في العثور على قبر فلان، مرت 30 سنة منذ آخر زيارة له ونسيت أين قبره".

بحثت أنا وصديقتي دون كلل أو ملل لكن فشلت المهمة. قال الرجل "لا بأس". أدخل يده إلى جيبه ومد إلى صديقتي حفنة ألماس، ومثلها أو يزيد فقدمها لي. قلنا "لم نفعل شيئا يستحق الألماس" لكن الرجل كان قد اختفى. مرت سنوات على الحادثة لكنها مازالت محفورة بذهني وأسأل نفسي هل هناك طيّبون إلى هذه الدرجة أم أنه اعترضنا أحد الرهابين (جمع راهب أو رهباني) الذين يملأون قصص الجدات.

في مدينتي، الكاف الجميلة، كما تقول قصة جدتي، جزء علوي لا يعرفه العامة، أعلى من حصن القصبة بكثير، سماه العرب "الدير" لأنه كان فيه دير أرثوذكسي، لا يحبه أهالي المدينة بسبب مشقة الصعود إليه ثم إنه ليس فيه سوى صخور عملاقة يسكنها رهابين، يكفي أن تمسك بأحدهم وتتعاهدا حتى تملك الجاه والثروة الطائلة.

والرهباني هو ذلك "الشخص" الذي اكتسب مع الزمن خبرة للتخفي من الناس والعيش في عزلة، وقد يكون متخفيا في دهاليز الأرض.

أجدني اليوم أتساءل "هل فوتُّ فرصة عمري في الحصول على الثروة؟". لكني أجيب ساخرة انطلاقا من شعار: اصرف ما في الجيب يأتك ما في الغيب، "لم ولن يستقر المال أبدا في يدي.